كتاب اليوم

NATIONAL SECURITY AGENCY

وكالة الأمن القومى الأمريكى

NSA

أسرار

أخطر جهاز مخابرات فى العالم

عرض وتلخيص:

حسين عبد الواحد



قطاع الثقافة

كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

□ مايو ٢٠٠١ □
□ عدد ٤٤١ □

أسعار كتاب اليوم الثقافى فى الخارج

الجماهيرية العظمى	٢	دينار
المغرب	٣٠	درهم
لبنان	٥٠٠٠	ليرة
الأردن	٢,٥٠٠	دينار
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١,٧٥٠	دينار
السعودية	١٥	ريالاً
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٣,٥	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتا
سوريا	١٥٠	ل. س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١,٥٠٠	دينار
سلطنة عمان	١,٥٠٠	ريال
غزة	٣	دولار
ج. اليمنية	٣٠٠	ريالاً
الصومال، نيجيريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنكا
الإمارات	١٥	درهماً
قطر	١٥	ريالا
انجلترا	٢	جك
فرنسا	١٠	فرنكات
ألمانيا	١٠	ماركات
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنكات
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلنا
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا - أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك - واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٦	دولار

● العنوان على الانترنت

WWW. akhbarelyom. org\ketab

● البريد الالكترونى

akhbar el yom@akhbarelyom. org

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٧٢ جنيها مصريا

● البريد الجوى ●

دول اتحاد البريد العربى ٣٢ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٣٨ دولارا

أوربا وأمريكا ٤٢ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٥٣ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

● تلكس دولى : ٢٠٣٢١٠

● تلكس محلى : ٢٨٢

● قطاع الثقافة ٦ ش الصحافة

● تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

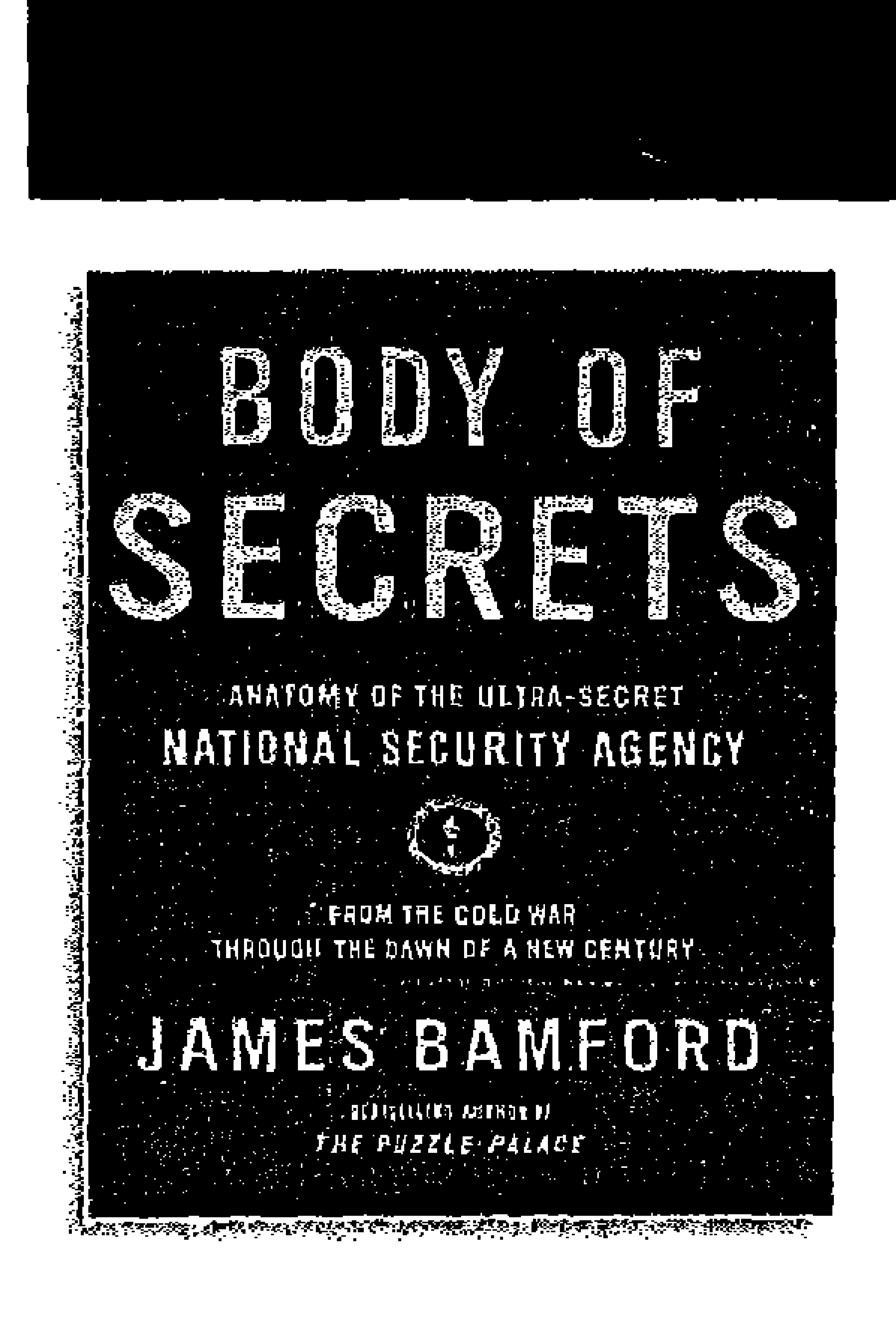
وكالة الأمن القومى الأمريكى

N. S. A

أخطر جهاز مخابرات فى العالم

عرض وتلخيص:

حسين عبد الواحد



مقـــدمـة الـكـتـاب

وكالات الأمن السرى والمخابرات ، أجهزة سيئة السمعة بوجه عام.. ارتبطت أسماء هذه الأجهزة فى أذهان الكثيرين بالقمع والقهر والإرهاب إلى الحد الذى جعل مجرد الحديث عنها يثير الهلع ويجمد الدماء فى العروق !! ورغم ذلك ، فهناك نوعية خاصة من وكالات أو أجهزة المخابرات لا تنطبق عليها تماما تلك الفكرة المخيفة ومنها وكالة الأمن القومى الأمريكى التى يتحدث عنها هذا الكتاب .

عرفت الولايات المتحدة الأمريكية أجهزة الاستخبارات لأول مرة فى أغسطس عام ١٧٧٥ فى عهد الرئيس جورج واشنطن .. وكانت البداية غريبة وأقرب ما تكون إلى الصدفة .

كان ذلك خلال حرب التحرير التى خاضها الأمريكيون ضد البريطانيين فى القرن الثامن عشر .. فقد طلبت فتاة من شخص أمريكى يدعى جودفرى وينوود أن يعرفها على بعض الضباط الإنجليز فى أمريكا وعلم وينوود أن لديها رسالة تريد تسليمها لهؤلاء الضباط فأقنعها بأن تعطيه هذه الرسالة ليوصلها بنفسه .. وعندما فتح الرسالة اكتشف أنها مكتوبة برموز غريبة غير مفهومة .. وتمكن وينوود من توصيل هذه الرسالة إلى الرئيس جورج واشنطن الذى أمر اثنين من الضباط الأمريكيين فى سلاح الإشارة بمحاولة فك

شفرتها.. واتضح بعد ذلك أن مرسل الرسالة هو الدكتور بنيامين تشيرش المستشار الطبى الخاص للرئيس واشنطن وعضو الكونجرس المحلى فى ولاية ماساتشوسيتس .

وتم اعتقال تشيرش بعد فك شفرة الرسالة واتضح أنها تحتوى على معلومات موجهة لقائد القوات البريطانية فى أمريكا حول تسليح الجيش الأمريكى وتفاصيل خطة لغزو كندا وبعض المعلومات الاقتصادية الهامة وعدد المدافع فى منطقة نيويورك .

وتم طرد الجاسوس تشيرش من عضوية الكونجرس وفى عام ١٧٨٠ ، حكم عليه بالنفى .. وأثناء ترحيله عن طريق البحر ، غرقت السفينة التى كانت تقله فى ظروف غامضة وأشارت بعض التقارير إلى أن المخابرات الأمريكية هى التى أغرقت السفينة لاغتيال هذا الجاسوس الذى يصفه البعض بأنه كان أول شخص يلقى مصرعه بأيدى عملاء للمخابرات .

وخلال السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر ، لفت بعض العسكريين نظر الرئيس الأمريكى جورج واشنطن إلى أهمية إنشاء جهاز للاستخبارات للتجسس على الاتصالات بين الوحدات العسكرية البريطانية .

وفى عهد الرئيس جيفرسون ، تم اختراع أول آلة أمريكية لفك الشفرات ، ويقال إن الرئيس جيفرسون نفسه هو الذى اخترعها .. ومنذ ذلك الحين ، بدأت ملامح تنظيم المخابرات الأمريكية تتضح وتوصلت أمريكا إلى نظام لإرسال البرقيات بالشفرة كان أول من استخدمه هو الرئيس إبراهام لينكولن .. الذى أبدى اهتماما كبيرا بسرية الاتصالات خلال الحرب الأهلية الأمريكية .

وخلال الحرب العالمية الأولى عرفت أمريكا « الحبر السرى » لأول مرة بعد اكتشاف رسالة داخل كعب حذاء جاسوسة ألمانية فى المكسيك .. وظهر خبراء أمريكيون فى فك الشفرات السرية أشهرهم يدعى هربرت ياردلى الذى اقترح على وزارة الدفاع الأمريكية إنشاء أول وكالة للمخابرات العسكرية وتم تعيينه رئيسا لهذه الوكالة عام ١٩١٧ .. وبعد عام آخر ، أى فى عام ١٩١٨ ، اقترح ياردلى إنشاء وكالة خاصة بالرموز والشفرات السرية فقط .. وفى أول أكتوبر من ذلك العام تم تشكيل هذا الجهاز الذى أطلق عليه اسم « الغرفة السوداء » وكانت مهمته اعتراض الاتصالات السرية اليابانية ولكن هذه المهمة اتسعت بعد ذلك لتشمل التنصت على عدد كبير من دول العالم .. وكان الرئيس الأمريكي هربرت هوفر رافضا لأسلوب التجسس والتنصت وهو نفس الموقف الذى اتخذه وزير خارجيته هنرى ستيمسون الذى كان يؤمن بأن أمريكا بلد حر وليس من اللائق أن يكون فيه جهاز للمخابرات حيث لا يجوز التجسس وهتك حرمة الآخرين حتى ولو كان ذلك فى سبيل خدمة الوطن .. وهكذا توقف تمويل الغرفة السوداء .. وأحس رئيسها ياردلى بالهزيمة .. وتفرغ لوضع كتاب عن العمليات التى قامت بها وكالته .

وفى عام ١٩٣٨ ، استعان الزعيم الصينى المنشق شيانج كاى تشيك رئيس جمهورية الصين الوطنية بياردلى ولكنه عاد بعد ذلك إلى كندا حيث توفى عام ١٩٥٧ بعد أن لفت انتباه العالم إلى أهمية التنصت على الاتصالات وعالم الشفرات السرية المثير .

وكان الهجوم اليابانى الشهير على الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور خلال الحرب العالمية الثانية من أهم الأسباب التى دعت

الأمريكيين إلى التفكير بجدية فى إنشاء وكالة متخصصة فى شئون التنصت على الاتصالات وفك الرموز السرية والشفرات وهى التى عرفت بعد ذلك بوكالة الأمن القومى الأمريكية التى أصبحت أضخم وكالة مخابرات فى العالم ويعمل بها حوالى أربعين ألف شخص من الخبراء فى جميع المجالات وخاصة اللغات والالكترونيات والشفرة والاتصالات وغيرها .

ورغم أن الشهرة الأكبر كانت من نصيب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية « سى. آى. إيه » إلا أن وكالة الأمن القومى الأمريكى « إن. إس. إيه » هى بكل تأكيد الأكبر والأهم : والأخطر أيضا .. وتصل ميزانية هذه الوكالة إلى أضعاف ميزانية المخابرات المركزية .

وتنقسم مهمة وكالة الأمن القومى الأمريكى إلى قسمين أساسيين: الأول : هو جمع المعلومات من جميع شبكات الاتصالات فى العالم بشتى الوسائل وفك رموزها وتحليلها .

أما القسم الثانى فيغلب عليه الطابع الأمنى ويتمثل فى المراجعة المستمرة والدائمة لقواعد السرية المتبعة فى جميع أجهزة الدولة .

ووكالة الأمن القومى الأمريكى هى وكالة سرية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى حيث يحيط بها نطاق من السرية لا مثيل له فى أى جهاز آخر على مستوى العالم بما فى ذلك وكالة المخابرات المركزية الأمريكية نفسها .

ويتم اختيار العاملين بوكالة الأمن القومى الأمريكى « إن. إس. إيه» بعناية شديدة ويتعرض جميع العاملين فى هذه الوكالة للاختبار كل ٤ سنوات للتأكد من التزامهم التام ويوضع كل منهم على جهاز كشف الكذب حتى لا تكون هناك أى فرصة للخطأ .

ورغم ذلك ، تعرضت وكالة الأمن القومي الأمريكي لبعض الانتكاسات في هذا المجال كان أشهرها عام ١٩٦٠ عندما عمل اثنان من رجالها كجواسيس لحساب الاتحاد السوفيتي وهربا إلى موسكو حيث تنازلا عن جنسيتهما الأمريكية ، وأصبحا مواطنين سوفيتيين .. ولم تكن هذه مجرد انتكاسة لوكالة الأمن القومي الأمريكي بل كانت فضيحة مروعة .

وبعد هذه الكارثة ، تم تفويض رئيس الوكالة لطرد أي شخص يعمل بها لمجرد الشك في عدم صلاحيته لسبب أو لآخر .

ولاشك أن هناك العديد من عناصر القوة التي جعلت وكالة الأمن القومي الأمريكي تكتسب هذا الوضع المتميز والمتفوق بين جميع وكالات المخابرات ومنظمات وأجهزة الأمن على مستوى العالم .. ومن أهم هذه العناصر بكل تأكيد توافر الامكانيات العلمية والتكنولوجية بجانب القدرات المالية الهائلة .. والكوادر البشرية القادرة على استثمار وتوظيف هذه الامكانيات والقدرات .

وغني عن القول أن الولايات المتحدة لا تنفرد بين دول العالم بامتلاكها لجهاز مخابرات للأمن القومي مهمته الأساسية متابعة ورصد جميع أشكال الاتصالات على كوكب الأرض ولكن الذي لا جدال فيه أن أمريكا تمتلك أكبر وأحدث وأقوى ترسانة للاتصالات وأيضا للتنصت على اتصالات الآخرين تليها دول أخرى مثل روسيا وبريطانيا وفرنسا والصين وغيرها .

وتشمل هذه الترسانة الأقمار الصناعية والسفن والطائرات والمحطات الأرضية بالإضافة إلى أعقد أجهزة الكمبيوتر وغيرها من المعدات الالكترونية .

وقد اكتسبت أجهزة المخابرات الأخرى فى الولايات المتحدة ، وخاصة المخابرات المركزية الأمريكية « سى. آى. إيه » سمعة سيئة حتى بين الأمريكيين أنفسهم بسبب الكثير من العمليات القذرة التى تورطت فيها وجرائم الاغتيال التى دبرتها فى مختلف أنحاء العالم .. ونفس هذه السمعة السيئة اكتسبتها معظم أجهزة الأمن السرى الأخرى ليس فى أمريكا وحدها بل فى كل مكان على وجه الكرة الأرضية .

وهناك الكثيرون الذين ينظرون إلى هذه الأجهزة والوكالات المتخصصة فى مجال الاستخبارات والأمن القومى على أنها مؤسسات مشبوهة تنتهك حقوق الإنسان وتقمع المعارضين فى الداخل والخارج وتدوس بأقدامها الثقيلة على كل القوانين والتشريعات والأعراف .. ولاشك أن السجل الأسود للعديد من هذه الأجهزة والمنظمات يبرر موقف الريبة والتوجس بل والخوف الذى يعترى الملايين فى أنحاء العالم من مجرد ذكر أسماء هذه الأجهزة .

فقد شهدت تنظيمات المخابرات والأمن القومى فى العالم العديد من التجاوزات المروعة والبشعة وارتكب أفرادها أحقر أنواع الجرائم مثل الاغتيال والتعذيب الوحشى وإرسال المعارضين فى رحلات لا عودة منها إلى ما وراء الشمس .

حدثت هذه التجاوزات الإجرامية بحجة حماية الأمن القومى للدولة! وليس أدل على ذلك من جرائم اغتيال زعماء الدول أمثال زعيم شيلى الراحل سلفادور الليندى والزعيم الأفريقى باتريس لومومبا وغيرهما والتى ارتكبتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

وتكفى أيضا الإشارة إلى الجرائم الحقيرة التى ارتكبها جهاز

المخابرات الإسرائيلى المعروف باسم « الموساد » لإظهار المدى الإجرامى الذى يمكن أن تصل إليه مثل هذه الأجهزة .. والأخطر من ذلك أن العاملين فى الموساد يحصلون على الأوسمة والنياشين والميداليات عقب كل جريمة يرتكبونها حتى ولو كانت قتل طفل فلسطينى أو اغتيال مدنى أعزل مثل الدكتور يحيى المشد العالم المصرى الذى قتله عملاء المخابرات الإسرائيلية فى غرفة فندقه فى باريس بضربه بآلة حادة على رأسه حتى الموت .. وبالنسبة للموساد بوجه خاص ، فإن التكريم يتضاعف كلما ازدادت وضاعة ودناءة العملية التى نفذها رجل الموساد ..

أما بالنسبة لوكالة الأمن القومى الأمريكى بالتحديد فالبعض ينظر إليها باعتبارها وكالة مخابرات نظيفة لا علاقة لها بشعار بقية وكالات المخابرات المرعب وهو « العباءة والخنجر » .

ويحاول رجال وكالة الأمن القومى توضيح هذه الحقيقة بقولهم أنهم لا يستخدمون عملاء أو جواسيس من نوعية العميل السرى الشهير جيمس بوند الذى يحمل تصريحا بالقتل ! ويؤكدون أن عملهم يغلب عليه الطابع العلمى أكثر من أى شىء آخر .. وإذا كان مجال تخصصهم هو الاتصالات السرية والشفرات والتنصت على الآخرين فإن ذلك يتم بهدوء ودون قتل أو إراقة دماء أو اعتقالات وتعذيب .. بل إن الدماء التى تسيل فى بعض الأحيان تكون هى دماء رجال وكالة الأمن القومى الأمريكى أنفسهم كما حدث خلال الهجوم الإسرائيلى الغادر على سفينة التجسس الأمريكية ليبرتى أمام سواحل العريش يوم ٨ يونيو عام ١٩٦٧ حيث قتل وجرح العشرات من الخبراء والفنيين التابعين للوكالة عندما قصفت المقاتلات وزوارق الطوربيد

الإسرائيلية السفينة ليبرتى دون إنذار أو تحذير لمنعها من متابعة أحداث حرب يونيو وخاصة جرائم قتل الأسرى المصريين فى سيناء .

لذلك ، يعتقد البعض أن وكالة الأمن القومي الأمريكى « إن .إس. إيه » جهاز مخابرات من النوع النظيف .. ويقول هؤلاء إن السعى لمعرفة أسرار الآخرين عملية تقوم بها كل دول العالم .. وهى عملية مشروعة لأنها على الأقل تعد إحدى وسائل الدفاع عن النفس من خلال معرفة النوايا العدوانية لدى الآخرين .

ورغم ذلك ، فهناك تيار آخر يرى أن مجرد التنصت على اتصالات وأسرار الآخرين يعد عملا « غير أخلاقى » ويتعين الامتناع عنه مهما كانت الدوافع والمبررات .

ويأتى الرد على وجهة النظر هذه على لسان الكثيرين وهو أننا لا نعيش فى « المدينة الفاضلة » وأن العالم تحكمه صراعات ومصالح وأطماع تجعل الكثير من المبادىء الأخلاقية المتفق عليها غير عملية وبعيدة عن أرض الواقع .. ويصبح أقصى ما هو متاح هو محاولة إيجاد تعايش بين المطلوب والممكن .. بين الاعتبارات الإنسانية والأخلاقية من ناحية وبين الضرورات التى تحتمها العلاقات الدولية في العصر الراهن .

وبمقاييس عديدة ، تعتبر وكالة الأن القومى الأمريكي بالتحديد إحدى المحاولات لتحقيق هذا الهدف .. فهى جهاز مخابرات أكاديمى أمكن تقليم أظافره إلى حد بعيد لكى لا يرتبط باسمه سوى الحد الأدنى من العمليات القذرة التى تستفز ذوى التوجهات الليبرالية وأنصار البيئة وحقوق الإنسان .

وعلى أية حال ، فإن طبيعة مهام وكالة الأمن القومى ساعدتها

كثيرا على الابتعاد إلى حد كبير عن « الشق القذر » من أعمال أجهزة المخابرات .

وفى الوقت الراهن ، تتركز هذه المهام على عمليات التنصت واعتراض الاتصالات خارج الولايات المتحدة .. أى أن هذه الوكالة لم تعد معنية بمراقبة المواطنين الأمريكيين داخل بيوتهم وذلك لسبب بسيط هو أن هناك أجهزة أمنية أخرى تقوم بهذه المهمة .

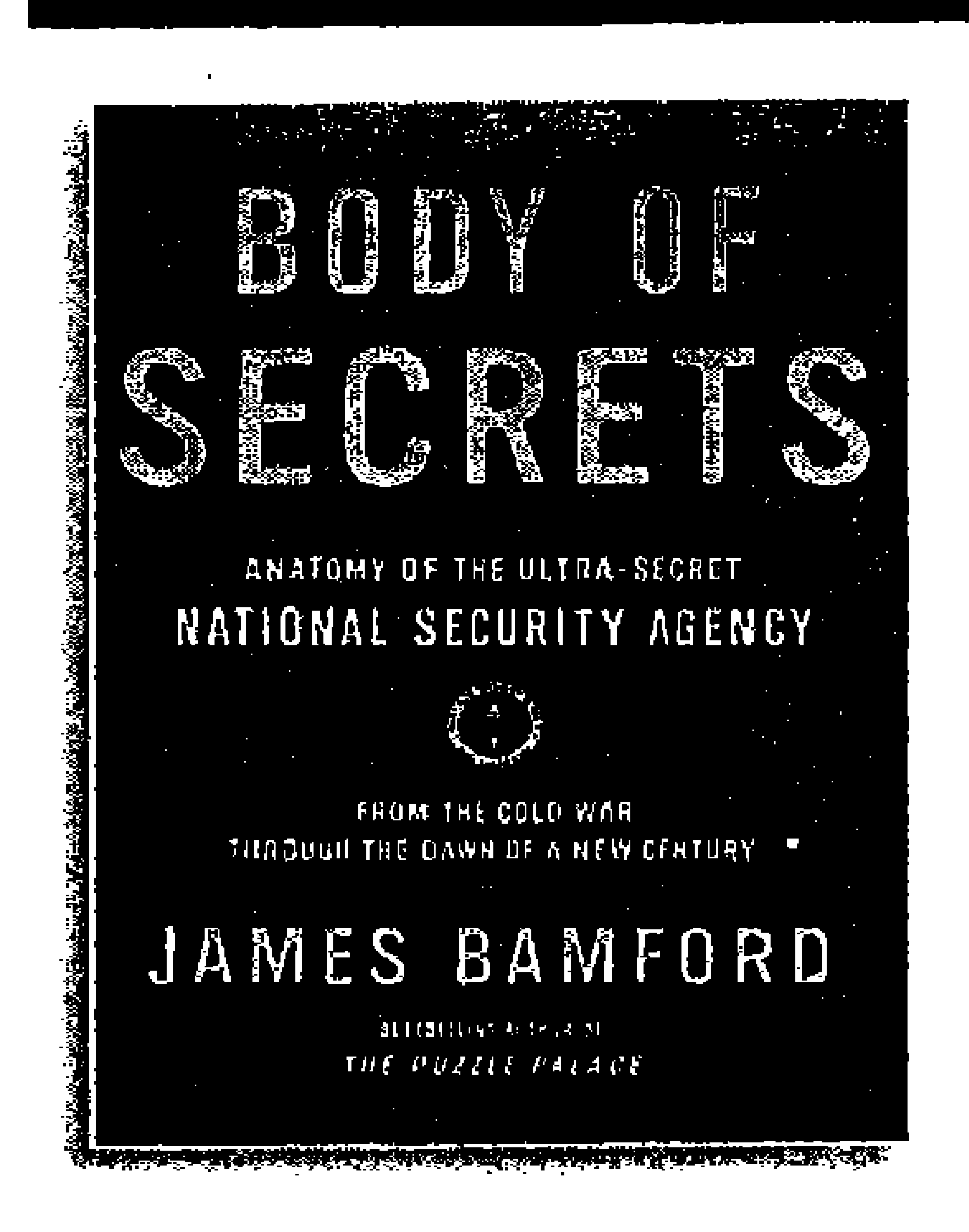
إلى جانب ذلك ، فإن الطابع العسكرى الذى يغلب على معظم العاملين فى وكالة الأمن القومى يضفى المزيد من الالتزام على أساليب العمل خاصة أنه يتركز على التعامل مع الأجهزة الإلكترونية والبرقيات السرية والشفرات وغيرها من وسائل الاتصال .

وعلى أية حال ، تبقى حقيقة لا مفر من الاعتراف بها وهى أن مجال عمل هذه الوكالة بالتحديد هو الوثائق والمستندات بشتى أشكالها ، لذلك فإن الهامش المتاح أمامها للتلفيق والتزوير وقلب الحقائق يعد محدودا للغاية .. وتبقى فى النهاية مسألة كيفية استخدام المعلومات التى تحصل عليها وكالة الأمن القومى الأمريكى.. وهل تصل هذه المعلومات إلى أيد أمينة تتعامل معها بشكل أخلاقى يخدم الحق والعدالة والخير أم تستغلها كأداة لتحقيق أبشع الأهداف وأسوأ النوايا .

أما ما يتبقى بعد ذلك من اتهامات وانتقادات ، فإن المسئولين عن وكالة الأمن القومى يكتفون بالرد عليها قائلين .. من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر !!

حسين عبد الواحد

الفصــل الأول



لهيب الحرب الباردة

• بـدأت أول مـعركـة في الحـرب البـاردة قـبل أن تنتـهى الحـرب العالمية الثانيـة ، بالتـحديد قبل شـهر من انتـحار الزعيم النـازى أدولف هتلـر مـع عشيقتـه ايفابراون .. فقـد تم تشكيل فريق من رجال المخابرات الأمريكية والبريطانية وتوجـهوا إلى ألمـانيا فى مهـمـة سـرية للغـاية .. وكانت هـذه المهمـة باختـصار ، هى اعتـقال أكبـر عـدد ممكن مـن خـبـراء الشـفـرة فـى الجـيش النـازى الألمـانى •

خلال الحرب العالمية الثانية ، توحدت صفوف العالم كله تقريباً لمواجهة الخطر النازى الرهيب .. كانت الولايات المتحدة وجميع بلدان أوربا ومعهم الاتحاد السوفيتى على ثقة من أن أدولف هتلر هو التهديد الأكبر والعاجل لهم ..

وكان العداء للنازية هو نقطة الالتقاء التى تجمع حولها الفرقاء فى الشرق والغرب والتى دفعت ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا خلال فترة الحرب العالمية الثانية للرد على منتقدى تحالفه مع الزعيم الشيوعى جوزيف ستالين بمقولته الشهيرة « إننى مستعد للتحالف مع الشيطان من أجل بريطانيا » .

ولا شك أن تحالف الغرب كله بقيادة الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتى خلال الحرب ضد هتلر كان بالفعل تحالفاً مع الشيطان من وجهة النظر الغربية .. وقد أثبتت أحداث التاريخ التالية أن هذا التحالف قد أنهار فى نفس لحظة انهيار الخطر النازى .

فى الليلة الأخيرة من شهر أبريل عام ١٩٤٥ ، انتحر الزعيم النازى أدولف هتلر مع عشيقته إيفا براون بعد زواجهما بساعات فى وكر الذئب ، وهو خندق تحت الأرض فى برلين كان مقراً لقيادة الزعيم النازى .. فى تلك اللحظات ، كانت النازية تحتضر وتلفظ

أنفاسها الأخيرة بينما كانت نيران أخرى تتأجج تحت السطح تمهيداً لاندلاع اللهيب الذى سيلفح وجه العالم وهو الشيوعية السوفيتية ..

وبعد خمسة أيام من رحيل هتلر ، قدم الجنرال وليام دونوفان رئيس مكتب الخدمات الاستراتيجية الأمريكية تقريراً سرياً للرئيس هارى ترومان حدد فى بكل وضوح وحسم أخطار هذا الصراع الجديد بين الغرب والشيوعية .. فى هذا التقرير ، قال الجنرال دونوفان : بعد الانتصار فى الحرب العالمية الثانية ، ستواجه الولايات المتحدة موقفاً ربما يكون أشد خطورة من كل المواقف السابقة .. وسوف تشكل روسيا تهديداً رهيباً يتجاوز كل التهديدات الأخرى التى واجهتها الولايات المتحدة من قبل ..

والحقيقة أن الإحساس بهذا الخطر السوفيتى القادم يرجع إلى عام ١٩٤٤ أى قبل سنة كاملة من انتهاء الحرب العالمية الثانية .. فمنذ ذلك التاريخ بدأت الولايات المتحدة التخطيط سراً لأول معركة فى الحرب ضد الشيوعية والتى عرفت باسم « الحرب الباردة » وكانت هذه الحرب من نوع جديد بمعنى أنها كانت شديدة الاختلاف عن الحرب الباردة .. فمعاركها كانت تدور فى منطقة الظل التى يحيط بها الغموض .. وهدفها لم يكن هو احتلال المدن والمواقع العسكرية بل كان الاستيلاء على الأسرار والتنصت على الاتصالات وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن العدو ..

لهذا السبب ، كانت أسلحة الحرب الباردة أيضا شديدة الاختلاف وبدلاً من الصواريخ والقذائف ودانات المدافع أصبحت هناك أجهزة الكمبيوتر ومعدات التنصت على الاتصالات السلكية واللاسلكية وأدوات فك الشفرات السرية .. وخبراء اللغات والالكترونيات الذين

يستطيعون تفسير طلاسم الرموز والاشارات وتحويلها إلى رسائل مفهومة تكشف أخطر الأسرار والمعلومات .

وفى هذا الإطار ، بدأت واشنطن ولندن فى العمل الذى أطلق عليه اسم « استخبارات الإشارات » «Signal intelligence» أو سيج إنت «Sig int» .

وكان هذا الاسم تعبيراً مهذباً عن مهمة قد يراها البعض لا أخلاقية .. وهى التنصت أو التجسس على اتصالات الآخرين ورسائلهم ..

وانقسمت « استخبارات الإشارات » أو السيج إنت إلى وحدتين .. الأولى مخابرات الاتصالات «Communication intelligence» ومهمتها التجسس والتنصت على الاتصالات التى تتم باللغات المعروفة وأطلق عليها اسم « كوم إينت » على سبيل الاختصار ..

أما الوحدة الثانية فكانت مختصة بالمخابرات الالكترونية «Electronic signals» واختصارها إل إينت «El int» ومهمتها التنصت على وسائل الاتصال الالكترونية مثل محطات الرادار .

وقد بدأت أول معركة فعلية فى هذه الحرب ، الحرب الباردة ، بالتحديد قبل أكثر من شهر من انتحار هتلر حيث تم تشكيل فريق مشترك من الخبراء الأمريكيين والبريطانيين فى فك الشفرات السرية .. واستقل أفراد هذه الفريق طائرات خاصة عبروا بها القنال الإنجليزى (بحر المانش) فى طريقهم إلى المانيا .

وكان أفراد هذا الفريق جزءاً من منظمة سرية للغاية أطلق عليها اسم تيكوم «Ticom» اختصاراً لعبارة « لجنة استخبارات الهدف «Target intelligence committe» وكانت مهمتها خلال تلك الأيام

الأخيرة من الحرب العالمية الثانية هى اعتقال أكبر عدد ممكن من خبراء الشفرة الألمان والاستيلاء على معدات وأجهزة الشفرة السرية فى الجيش النازى الألمانى ..

وكان الهدف من هذه العلمية هو أن يعرف الخبراء الأمريكيون والبريطانيون أى أنظمة الشفرة الخاصة بهم نجح الألمان فى اختراقها وفك رموزها وبالتالى أصبحت عديمة الفائدة .. وفى نفس الوقت ، كان المطلوب أيضاً معرفة أنظمة الشفرات السوفيتية التى تمكن الخبراء الألمان من اختراقها وفك رموزها بعد أن طوروا أجهزة متقدمة للغاية لمهاجمة الاتصالات والشفرات السوفيتية .. وكان هدف الغرب هو الحصول على هذه الأجهزة والمعلومات والخبرات الألمانية فى مجال التجسس على الاتصالات السوفيتية .

وكانت أهم نقطة لتحقيق هذا الهدف هى الوصول إلى الخبراء الألمان والمعدات والأجهزة الألمانية قبل أن يصل إليهم الروس لأن وقوع هؤلاء الخبراء الألمان ومعداتهم فى أيدى موسكو كان سيتيح للسوفيت فضل السبق ويجعلهم قادرين على استغلال النجاحات الألمانية فى مجال التجسس وفك الشفرات ضد الغرب بوجه عام وضد أمريكا وبريطانيا بوجه خاص .

وقد تولى الكولونيل جورج بيشر مدير فرقة مخابرات الاتصالات فى أوربا مسئولية منظمة « تيكوم » فى عام ١٩٤٤ . وأحيطت أعمال هذه المنظمة بنطاق من السرية لم يسبق له مثيل لدرجة أن جميع عملياتها وانشطتها التى مر عليها أكثر من نصف قرن مازالت حتى الآن تعتبر سرية للغاية ولا تسمح الحكومتان الأمريكية والبريطانية بتداولها تحت أى ظرف من الظروف .. وفى عام ١٩٩٢ ، أصدر مدير

وكالة الأمن القومى الأمريكى أوامره بمد نطاق السرية المفروض حول منظمة « تيكوم » حتى عام ٢٠١٢ لتصبح هى آخر الأسرار الكبرى للحرب العالمية الثانية والتى لم يكشف عنها شىء حتى الآن ..

وقد أدرك كبار القادة والزعماء على جانبى الأطلنطى ، فى الولايات المتحدة وأوربا ، أهمية وخطورة هذه المنظمة منذ وقت مبكر للغاية .. ففى أغسطس ١٩٤٤ ، بعث الجنرال جورج مارشال رئيس أركان القوات المسلحة الأمريكية رسالة مشفرة بالراديو إلى الجنرال دوايت أيزنهاور فى مقر قيادته بلندن .. وطلب منه فى هذه الرسالة أن يعطى موضوع منظمته « تيكوم » أولوية قصوى .. وفى نفس اليوم .

بعث الجنرال مارشال برسالة أخرى إلى الجنرال ايزنهاور يحدد فيا المهام المطلوبة من هذه المنظمة والأشياد التى يجب أن تحصل عليها ، بما فى ذلك كل الوثائق المتعلقة بالشفرات السرية النازية وطقر فكها والمعدات التى يستخدمها الألمان فى مجال تشفير الرسائل وفك رموزها والتنصت على جميع أنواع الاتصالات .

وكان أعضاء منظمة تيكوم من بين أفراد فئة محدودة للغاية يعرفون السر الأكبر وهو أن الولايات المتحدة وبريطانيا ترغبان فى اختراق أعلى مستويات التنصت والتجسس على الاتصالات فى ألمانيا النازية .. وكان هؤلاء يدركون أيضاً أن من سيصل أولاً إلى خزانة هتلر التى تحتوى على أسرار الشفرة ستكون له اليد العليا فى الحرب القادمة سواء كانت ساخنة أم باردة .

ونظراً لأن أفراد منظمة « تيكوم » كانوا هم الذين يتولون العمل فى وكالة الأمن القومى الأمريكى والمركز البريطانى لفك الشفرات بعد الحرب ، لذلك كان جميع أفراد المنظمة على وعى بأنهم هم أنفسهم

الذين سيخوضون حرب التجسس والتنصت على السوفيت والدول الشيوعية الأخرى مستقبلاً ..

لقد ظل خبراء الشفرات الألمان لمدة تزيد على الأربع سنوات يهاجمون أنظمة الشفرات الأمريكية فى هذا الشأن . وقد حالف الحظ الحلفاء عندما عثروا بين حطام المواقع الألمانية على المفاتيح التى يمكن أن تفتح لهم عدداً من أنظمة الشفرات السوفيتية المعقدة ..

وأدى ذلك إلى توفير سنوات من العمل المضنى من أجل تحقيق هذا الهدف .. كما عثر الحلفاء أيضاً على العديد من الرسائل السرية السوفيتية التى قام الخبراء الألمان بفك طلاسمها ورموزها مما أتاح لهم اختراق دائرة النوايا العسكرية والسياسية للسوفييت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ..

وفى نفس الوقت ، كانت هذه الوثائق النازية تلقى الضوء أيضاً على نقاط الضعف فى أنظمة الشفرات البريطانية والأمريكية والتى كان يمكن أن تتسبب في كارثة خلال أى صراع مستقبلى إذا وقعت فى أيدى السوفيت ..

ونظراً لأن الأهداف الرئيسية الألمانية فى مجال الشفرات السرية كانت توجد فى برلين ، فإن الحاجة كانت ملحة للتحرك بسرعة من أجل الوصول إلى هذه الأهداف قبل السوفيت خاصة وأن القوات الروسية كانت تندفع نحو العاصمة الألمانية تمهيداً لاحتلالها .. لهذا السبب كانت خطة الحلفاء تقضى بالاستيلاء الفورى على المراكز الألمانية للتنصت على الاتصالات وذلك عن طريق عملية تقوم بها قوات محمولة جواً ..

ووفقاً لأحد التقارير السرية لمنظمة « تيكوم » فإن الأهداف

الرئيسية لهذه العملية يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ - معرفة المدى الذى وصل إليه خبراء فك الشفرات الألمان فى العمل ضد أمريكا وبريطانيا ..

٢ - الحيلولة دون سقوط هذه المعلومات الخطيرة ضد أمريكا وبريطانيا فى أيد غير مسئولة مثل أفراد القوات الألمانية المتقهقرة ..

٣ - الاستفادة من الخبرات والمخترعات الألمانية فى مجال الشفرة قبل أن يدمرها الألمان .

٤ - الاستفادة من هذه المعلومات التى سيتم الحصول عليها من الألمان فى الحرب ضد اليابان التى كانت مستمرة فى القتال ..

وقد وصف تقرير سرى لمنظمة « التيكوم » هذه المهمة ، باختصار ، بأنها « على درجة عالية جدا من السرية » وقال التقرير « لم يكن خبراء الشفرة الأمريكيون يعرفون على وجه اليقين ما إذا كانت الاتصالات السرية الأمريكية تحظى بالأمان المطلوب أم أنها تعرضت للاختراق» .. وفى نفس الوقت ، لم يكن هؤلاء الخبراء يعرفون المدى الذى وصلت إليه إمكانيات العدو فى مجال التنصت على الأسرار وفك الشفرات الأمريكية .

وهكذا ، كانت خطة تيكوم تقضى باعتقال خبراء الشفرة الألمان والاستيلاء على وثائقهم وأجهزتهم ومعداتهم فى الوقت الذى بدأت فيه آلة الحرب الألمانية فى الانهيار .. وقد استكملت هذه الخطة تقريباً فى ليلة الكريسماس عام ١٩٤٤ . ولكن خلال شهور قليلة ، أصبحت ألمانيا فى حالة من الفوضى وبدأت الوكالات تسقط وتتفكك الواحدة بعد الأخرى .

وفى ضوء هذه الفوضى على الجانب الألمانى أصبح من غير

الممكن تنفيذ الخطة الأصلية وأصبح فى حكم الاستحالة أن تتمكن المجموعة الأمريكية والإنجليزية المحمولة جواً من اعتقال الخبراء الألمان وأجهزتهم والوثائق والمستندات التى فى حوزتهم ثم نقل كل ذلك عبر خطوط القتال المشتعلة .

وبدلاً من ذلك قررت (تيكوم) استخدام ست مجموعات موجودة بالفعل فى انجلترا وارسالهم إلى المناطق التى يسيطر عليها العدو فى الوقت الذى كانت فيه القوات الأمريكية والبريطانية تتقدم لاجتياح هذه المناطق .

كانت مهمة هذه المجموعات هى السيطرة على الأهداف الألمانية الخاصة بالاستخبارات والتنصت على الشفرات السرية وأيضا البحث عن أهداف مماثلة أخرى ليست معروفة بالنسبة للحلفاء بما فى ذلك الخبراء الألمان من رجال الاستخبارات المتخصصين فى مجال الشفرة .

كانت هذه المجموعة من رجال (تيكوم) قد عملت خلال الفترات المبكرة من الحرب العالمية الثانية فى مبنى على الطراز الفيكتورى يطلق عليه اسم « بريتشلى بارك » وكان هذا المبنى مختفيا فى ضباب الريف الانجليزى بمقاطعة باكنجهام شاير .

وكان هذا المبنى يعرف رسميا من قبل باسم المدرسة الحكومية للشفرات والرموز السرية .

وبعد الحرب تغير هذا الاسم إلى المركز الرئيسى للاتصالات الحكومية (جى سى اتش كيو) (g.c.h.q) وقد تم اختيار هذا الموقع بعناية شديدة نظرا لأنه يقع فى منطقة الضواحى بين جامعتى اكسفورد وكامبردج حيث يمكن العثور على الخبراء والأفراد

للاستفادة بهم فى هذا المجال وكان هذا الموقع يبعد ٤٧ ميلاً عن لندن .

فى هذا المكان كان خبراء الرياضيات واللغات والإليكترونيات يعملون فكرهم من أجل ما يمكن وصفه بأنه أشد الأسلحة فتكاً فى الحرب ضد ألمانيا . وكما يوضح أحد تقارير منظمة (تيكوم) السرية فإن المعلومات التى أمكن الحصول عليها من خبراء الشفرة الألمان كانت لا تقدر بثمن حيث اضافت الكثير والكثير لقدرة الحلفاء على التنصت على الكثير من الاتصالات النازية وأدى ذلك مؤخراً إلى إثارة تساؤلات حرجة حول الوقت المبكر من الحرب الذى اكتشف فيه الحلفاء أدلة على وقوع مذابح النازى ضد اليهود المعروفة باسم (هولوكوست) كانت وكالات التنصت على الاتصالات التابعة للحلفاء تستغل عدداً من الرموز السرية والشفرات الفرنسية منذ بداية الحرب .

ويقول روبرت هانيوك ، وهو من مؤرخى وكالة الأمن القومى الأمريكى ، إن إس إيه (N.S.A) إن الحلفاء وجدوا أدلة على السياسات المعادية لليهود فى حكومة (فيشى) الفرنسية .

وتحت ضغط من سلطات الاحتلال الألمانى بدأت فرنسا عام ١٩٤٢ فى تجميع اليهود وشحنهم إلى (مواقع إعادة التوطين) وهو تعبير يقصد به معسكرات الاعتقال النازية .

ووفقاً لدراسة أعدها البروفسير هانيوك لوكالة الأمن القومى الأمريكى فإن مخابرات الاتصالات التابعة للحلفاء التقطت معلومات حول هذا الموضوع من خلال خطوط الاتصالات السلكية واللاسلكية التى كانت تربط بين حكومة فيشى الفرنسية والعواصم الأجنبية ..

ولكن التركيز الأساسى كان دائما على المعلومات ذات الطابع العسكرى والاستراتيجى .

ويقول البروفسير هانيوك بوضوح (إن معلومات الاستخبارات المتعلقة بالهولوكوست لم تكن ذات أهمية قصوى بالنسبة لاستراتيجية الحلفاء) ويبقى السؤال : هل كشفت مخابرات الحلفاء الهولوكوست فى مراحله الأولى والمبكرة وهل أدركت الهدف من ورائه ؟

إن المشكلة الحقيقية فى نهاية الأمر لم تكن هى تفسير معلومات المخابرات ولكنها كانت الموقف الذى اتخذه الحلفاء وبقية العالم من هذه القضية فى وقت كان ما لا يمكن التفكير فيه يحدث بالفعل .

فى مارس ١٩٤٥ ، وبينما كانت برودة الشتاء الانجليزى الطويل تتلاشى بالتدريج بدأت المجموعات التى أرسلتها تيكوم تنتشر عبر أراضى ألمانيا بحثاً عن خبراء الشفرة الألمان ووثائقهم وأجهزتهم ووصلت بعض هذه المجموعات إلى قلعة ألمانية فى إقليم سكسونيا كانت تعتبر بمثابة معقل التنصت وفك الشفرات والرموز السرية بالجيش النازى .

كانت الحرب مازالت مشتعلة وتمكن أفراد مجموعة الاستخبارات الأمريكية والبريطانية من القبض على العديد من الخبراء الألمان وتم التحقيق معهم لمعرفة ما الذى يفعلونه بالتحديد كما استولوا على كل الوثائق والمستندات وكانت المشكلة هى ما يتعين عمله مع هؤلاء الخبراء الألمان خاصة أن لديهم الكثير من المعلومات الهامة وكان هؤلاء الخبراء الألمان يعملون أيضا فيما يمكن تسميته بالمشكلة الروسية وحققوا نجاحاً كبيراً فى اختراق الاتصالات والشفرات السوفيتية وكانوا بمثابة « منجم ذهب » للحلفاء لأنهم لم يعرفوا فقط

الشـفـرات الروسـيـة بل كـان لديهم أرشـيف كـامل للشـفـرات والاسـتخبارات الألمانية . وعلم الحلفاء بأن هذا الكنز الألمانى موجود فى قاعدة تقع فى أراض اسندت مهمة الاستيلاء عليها للسوفيت أى أن القوات الروسية كانت تتحرك بسرعة نحو هذه المنطقة ولذلك كان يتعين إخراج الخبراء الألمان ووثائقهم ومعداتهم من هذه المنطقة فى أسرع وقت ممكن واقـتـرح الكولونيل جـورج بيـتـشـر قـائد إحـدى المجموعات شحن الوثائق الألمانية بحراً ومعها خبراء الشفرة الألمان إلى انجلترا ووافق البريطانيون على ذلك بشرط أن تكون العملية سرية وأن يتم النقل عن طريق الجو وبالفعل تم إعداد طائرة نقلت الجميع إلى لندن وأعد البريطانيون مكاناً ملائما لاستجواب خبراء الشفرة الألمان وبعد يومين فقط استولت القوات السوفيتية على المنطقة .

كان من أهم الأجهزة التى حصل عليها الحلفاء من هذه العملية ماكينة ألمانية لفك الشفرات أطلق عليها اسم « نجما » ولكن معلومات الاستخبارات الغربية أشارت إلى وجود ماكينة أخرى أكثر تطوراً لدى النازى يطلق عليها « السمكة » وآلة أخرى اسمها « الكاتب السرى » كانت مخصصة للرسائل على أعلى المستويات بما فيها رسائل هتلر نفسه وأطلق عليها الخبراء الألمان اسم « سمكة السيف » ولكن الأمريكيين والبريطانيين أسموها « السمكة » فقط .

وكانت هذه الآلة قادرة على أداء مهمة مزدوجة هى تشفير الرسائل وفك الشفرات فى نفس الوقت وبدلا من الحروف الابجدية وعددها ٢٦ كانت تستخدم ٣٢ رمزاً وكوداً مما اتاح لها سرعة فائقة فى العمل .

وكان هدف منظمة تيكوم هو الحصول على نموذج من هذه الماكينة ومعرفة الكيفية التى تمكن بها الألمان من ابتكار هذه الآلة المعقدة .

وكان الحلفاء أيضا يريدون معرفة كيفية التغلب على مثل هذه الأجهزة الألمانية المتطورة فى المستقبل خوفاً من احتمال وقوعها فى ايدى الروس وتمكنهم من تقليدها وتوجهت مجموعة من رجال الاستخبارات من الأمريكيين والانجليز إلى الأراضى الألمانية باستخدام عربة نقل عسكرية وسيارة جيب وكان هدفهم قاعدة جوية ألمانية بها مركز لمخابرات الإشارة وتقع فى مدينة « كاوف بورين » جنوبى بافاريا وكان أشد ما لفت أنظار فريق الاستخبارات هو حجم الدمار فى كل مكان حولهم حيث كانت الدبابات والعربات تحترق على جانبى الطريق وكانت معظم القرى الصغيرة قد سحقت سحقا ويتصاعد منها الدخان وفى حوالى منتصف الليل وصلت المجموعة إلى منطقة « أوجوسبرج » التى أصبحت بعد ذلك من أهم مواقع التنصت على الاتصالات فى أوروبا وفى الصباح التالى ، توصلت المجموعة إلى المركز الألمانى للتنصت على الاتصالات وكان فى بدروم القاعدة الجوية الألمانية وكان من الواضح أن الألمان قد انسحبوا من هذا المكان وهم فى عجلة شديدة لدرجة أن بعض الأجهزة كانت مازالت تعمل ، وأشارت آخر الرسائل إلى أن الجنود الألمان كانوا فى حالة من الهلع وهم يرون قوات الحلفاء تتقدم نحوهم وبعد عملية بحث مكثفة عبر رجال المخابرات الأمريكيون والبريطانيون على أربع عربات نقل عسكرية ألمانية بداخل كل منها جهاز فك الشفرات المطلوب والمعروف باسم « السمكة » كما أسروا عدداً من خبراء الشفرات الألمان ومعهم ضابط نازى برتبة ملازم وتم أخذ الجميع إلى انجلترا ، حيث تسلم المهندسون أجهزة فك الشفرة لفحصها ومعرفة كيفية تصميمها وطريقة عملها .

بعد ذلك بدأ رجال المخابرات الأمريكيون والإنجليز حملة مطاردة شرسة لخبراء فك الشفرة الألمان واعتقلوا الكثيرين منهم وبدأت التحقيقات معهم حيث اعترف عدد منهم بأنهم كانوا يعملون فى القيادة العليا الألمانية وأدت اعترافات هؤلاء الأسرى الألمان إلى كشف الكثير من الأسرار الهامة والخطيرة ومنها أسرار كان لها تأثيرها الكبير على الفترة اللاحقة التى عرفت باسم « الحرب الباردة » وأوضحت اعترافات هؤلاء الألمان أن قياداتهم توصلت إلى صنع جهاز خاص استطاع اختراق أعلى مستويات أنظمة الشفرة السوفيتية وقالوا إن هذا الجهاز ما زال مدفوناً تحت الأرض وقد صمم لمهاجمة واختراق أعقد أجهزة الشفرة الروسية والذى كان لا يقل كفاءة عن الجهاز الألمانى المعروف باسم « السمكة » وكانت هذه النقطة بالتحديد ذات أهمية شديدة بالنسبة لأمريكا وانجلترا خاصة وأن كل جهودهما فى هذا المجال كانت تتركز على اختراق الشفرات الألمانية واليابانية أما الآن وبعد انتهاء الحرب العالمية وبعد ظهور روسيا الشيوعية كعدو جديد للغرب فإن انظمة التنصت على الاتصالات وفك الشفرات الغربية يجب أن تتغير تماماً لتكون فى خدمة الأهداف الجديدة . ولكن مع وجود آلة أو جهاز لديه القدرة بالفعل على اختراق وفك الشفرات الروسية مثل ذلك النوع الموجود لدى النازى فإن حصول الغرب عليه سيوفر وقتاً كبيراً وجهداً هائلاً على العالم الغربى الذى يدخل الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتى . وقد وافق خبراء الشفرة الألمان على التعاون مع منظمة تيكوم وارشادها إلى هذا الجهاز الألمانى لفك الشفرات الروسية وفى اليوم التالى بدأت مهمة أخرى لإحضار هذا الجهاز الذى يتكون من أجزاء عديدة يصل وزنها إلى ٧,٥ طن وتم

إعداد الجهاز للعمل وكانت المفاجأة أنه بدأ على الفور بالتقاط رسائل الشفرة السرية الروسية وتفسيرها وبذلك حصل الغرب على نافذة سحرية يطل منها على أخطر المعلومات والأسرار السوفيتية . والتقط الخبراء الغربيون أنفاسهم بعد إعادة تركيب وتجميع هذا الجهاز فى انجلترا وتشغيله بشكل ناجح وقد نقل هذا الجهاز أو نموذج منه بعد ذلك إلى واشنطن وبالاضافة إلى هذه الأجهزة حصلت أمريكا وانجلترا أيضا على خمسة أطنان من وثائق ومستندات النازى المتعلقة بالاتصالات والشفرات بجانب عشرات الأجهزة والمعدات الأخرى ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل كانت هناك ثروة أخرى من المعلومات التى تم الحصول عليها من خبراء الشفرة الألمان الذين كان عددهم يصل إلى حوالى ٢٠٠ شخص وحتى الآن لم يعرف أحد أين ذهب الخبراء الألمان بعد ذلك وهل قدمت الحكومتان الأمريكية والبريطانية أوراق هوية جديدة لبعض مجرمى الحرب الألمان الذين تم استخدامهم للعمل فى أنشطة الاستخبارات والتنصت على الاتصالات السوفيتية .

ولكن المؤكد أنه كان من بين هؤلاء الخبراء الألمان الدكتور « إيك هوتنهاين » الذى كان وحده يمثل ثروة حقيقية لدرجة أن إحدى الوثائق السرية تؤكد أن الفضل يرجع إليه فى أى نجاح حققته منظمات ووكالات التنصت على الاتصالات فى الولايات المتحدة الأمريكية التى نقل إليها وعاش فيها بعد ذلك .

ويصف الأمريكيون النجاح الذى تحقق بالحصول على أسرار أعقد الشفرات الروسية بأنه كان أمراً لا يقل أهمية عن الانتصار فى الحرب العالمية الثانية . فقد أتاح هذا الإنجاز لهم أن يظلوا لسنوات

قادرين على قراءة جميع البرقيات والرسائل السرية السوفيتية فى جميع المجالات تقريبا مثل القوات المسلحة والأمن والسياسة والصناعة والتجارة وبذلك استطاع الخبراء الأمريكيون تكوين صورة كاملة وواضحة ودقيقة لأوضاع الأمن القومى السوفيتى ولكن فجأة وبين عشية وضحاها تغير هذا الوضع تماماً وساد الصمت واطفئت الأنوار نتيجة لما تصفه التقارير السرية الأمريكية بأنه أخطر فشل فى تاريخ الاستخبارات الأمريكية ! حدث هذا الفشل فى يوم جمعة ولذلك أطلقت عليه وكالة الأمن القومى الأمريكى اسم « يوم الجمعة الأسود » .

فكما نجحت المخابرات الأمريكية فى اختراق شبكة الاتصالات السوفيتية ، نجح الروس أيضاً فى اختراق اتصالات وكالة الأمن العسكرى الأمريكى وأيضاً وكالة أمن القوات المسلحة المعروفة باسم « إيه إف إس إيه » وقد اتهم ويليم ويسبند وهو خبير لغات من أصل روسى بأنه المسئول عن تسريب أسرار هذه الوكالات إلى موسكو . وقد ولد ويسبند لأبوين روسيين فى مصر عام ١٩٠٨ ثم هاجر إلى الولايات المتحدة فى العشرينيات وحصل على الجنسية الأمريكية ١٩٣٨ وبعد أربع سنوات انضم للعمل فى وكالة أمن الاتصالات الأمريكية حيث عمل فى قسم التنصت على الاتصالات فى شمال أفريقيا وإيطاليا قبل أن يعمل فى إدارة الشئون الروسية . ورغم أن (ويسبند) لم يكن خبيرا فى فك الشفرات إلا أن اجادته التامة للغة الروسية اتاحت له التواجد مع الخبراء الأمريكيين فى فك الشفرات الروسية . وفى عام ١٩٥٠ تم وقفه عن العمل للشك فى عدم الولاء وقدم إلى محكمة فيدرالية بتهمة الانتماء إلى أنشطة حزب شيوعى

وصدر عليه الحكم بالسجن لمدة عام .

وتوفى فى عام ١٩٦٧ وهو مصر على إنكار تورطه فى أنشطة تجسسية .

وقد توقفت أجهزة التنصت على الاتصالات السوفيتية فى أمريكا فى وقت شديد الحرج والخطورة . ففى أواخر يونيو ١٩٥٠ اخترقت قوات كوريا الشمالية خط العرض ٣٨ إلى جنوب كوريا لتشعل الحرب الكورية . وللمرة الثانية فوجئت أمريكا بهذا الحدث الكبير تماماً كما حدث فى المرة الأولى وهو الهجوم اليابانى على ميناء بيرل هاربر . وقبل عام من هذا التاريخ وكانت أجهزة فك الشفرات الأمريكية فى الجيش والبحرية والقوات الجوية قد اندمجت فى كيان واحد أطلق عليه اسم « إيه . اف . اس . إيه » وهى إختصار لعبارة وكالة أمن القوات المسلحة . وكان بدلا من إقامة منظمة مركزية قوية تستطيع التنصت على عمليات المخابرات فى جميع أنحاء العالم انشغلت كل وحدة من وحدات هذه المنظمة فى محاولة السيطرة على الوحدتين الأخريين .

وهكذا لم يتبق شىء لمدير الوكالة المركزية لكى يفعله خاصة فى ضوء التعقيدات البيروقراطية . لذلك شبه هيربرت كونلى الذى كان مسئولا عن تحليل الرسائل الروسية فى أواخر الأربعينات ، والذى أصبح بعد ذلك رئيسا لقسم فك الشفرات الروسية لوكالة الأمن القومى ، المنظمة بوحش له ثلاثة رؤوس ولكنه عاجز عن الحركة .

وخلال الأسابيع التى سبقت هجوم كوريا الشمالية على الجنوب كانت كوريا الشمالية مسجلة باعتبارها هدفاً أساسياً للتنصت على اتصالاتها مثلها فى ذلك مثل روسيا والصين ولكن وكالة أمن القوات

المسلحة « إيه . إف . اس . إيه » لم تعط الاهتمام الكافي للتنصت على البرقيات والرسائل الكورية مما أدى إلى أن تكون حرب كوريا مفاجئة لواشنطن . وهكذا ففي الساعة الثالثة والنصف من صباح ٢٥ يونيو ١٩٥٠ استيقظت القيادة العسكرية الأمريكية على دوى المدافع وفي نفس اللحظة كانت قوات كوريا الشمالية البرية تدعمها ١٥٠ دبابة سوفيتية من طراز ت ٣٤ تبدأ هجومها الكبير على كوريا الجنوبية ووصلت المفاجأة إلى حد أن أول نبأ يصل لواشنطن عن هذه الحرب جاء في تقرير إخباري بعثه مراسل صحفي من سيول عاصمة كوريا الجنوبية . وخلال أيام قليلة كانت قوات كوريا الشمالية قد استولت على سول وأخذت تتقدم جنوبا بهدف توحيد شطري شبه جزيرة كوريا تحت راية الشيوعية .

ورداً على ذلك تم ارسال قوات أمريكية لمساعدة كوريا الجنوبية كجزء من قوات الأمم المتحدة . وفي نهاية الأسبوع الأول من الحرب كان ٤٠ ألفا من جنود كوريا الجنوبية قد قتلوا أو أسروا أو اعتبروا في عداد المفقودين .

وبعد هذا الهجوم بدأت وكالة أمن القوات المسلحة الأمريكية جهداً عاجلاً لاستعادة توازنها وكثفت أنشطة التنصت على شمال كوريا التي أصبحت رسائلها تحظى باهتمام كبير .

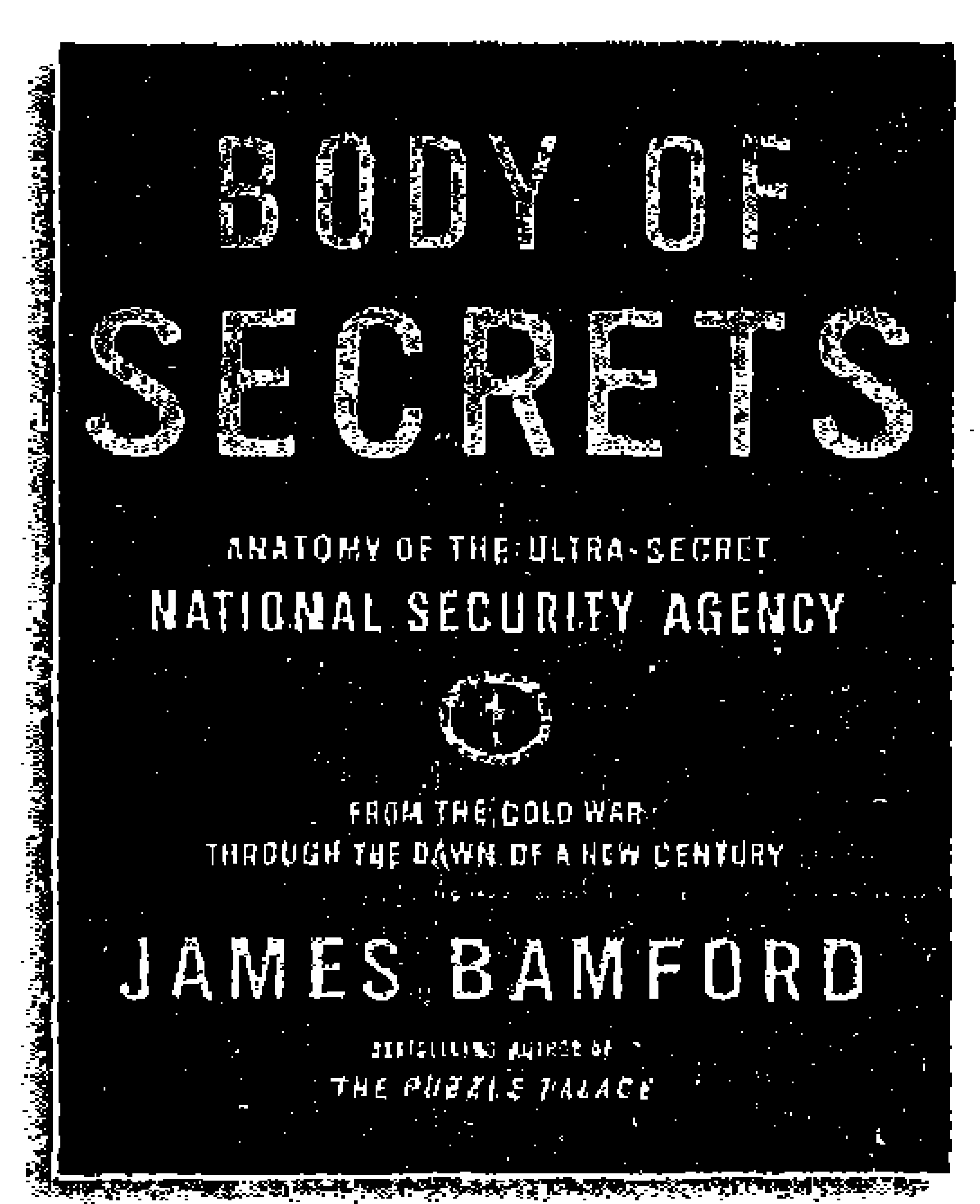
وفي نهاية الأمر وبالتحديد في منتصف ١٩٥١ وفي شهر يوليو بدأت مفاوضات الهدنة في كوريا وكانت أجهزة التنصت الأمريكية تتجسس على مناقشات ومراسلات أعضاء وفد كوريا الشمالية ولكن الكوريين أدركوا أن اتصالاتهم تتعرض للتنصت فقرروا أن تتم كل هذه الاتصالات عبر الخطوط السلكية التي يمكن حمايتها وقيل وقتها

أن الروس هم الذين نصحوا الكوريين الشماليين بأن يأخذوا حذرهم.
وقرب نهاية حرب كوريا حققت وكالة أمن القوات المسلحة الأمريكية عدداً من النجاحات ربما كان أبرزها اختراق أجهزة الشفرة السرية الصينية ورغم ذلك فقد ظلت الاتصالات الهامة والخطيرة بين الصينيين والكوريين الشماليين بعيدة عن متناول أيدى خبراءالشفرة الأمريكيين .. باختصار لم تعد وكالة أمن القوات المسلحة الأمريكية قادرة على القيام بمهامها بكفاءة إلى الحد الذى دفع الجنرال جيمس فان فليت قائد الجيش الثامن الأمريكى فى يونيو ١٩٥٢ لأن يقول إن الصراعات داخل هذه الوكالة والإهمال وعدم الاهتمام كانت كلها عناصر أدت إلى افتقاد فعالية أعمال المخابرات التى كانت متاحة أثناء الحرب العالمية الثانية . أما اليوم فإن عمليات مخابراتنا فى كوريا لم تصل أبداً إلى المستويات التى كانت عليها خلال السنة الأخيرة من الحرب العالمية . والحقيقة أن هذا الاحساس بالفشل كان منتشراً على نطاق واسع ففى ديسمبر ١٩٥١ قدم وولتر بيل سميث مدير المخابرات المركزية الأمريكية تقريراً عن هذا الموضوع لمجلس الأمن القومى حذر فيه من التدهور الخطير للأداء فى أنشطة مخابرات الاتصالات الأمريكية وقال (إن المنظمات العاملة فى هذا المجال اصبحت بلا فاعلية نتيجة للتناحر وتضارب الاختصاصات) وأشار سميث إلى تسرب الأسرار الذى حدث فى واقعة المترجم الروسى ويسبند والذى جعل السوفييت يغيرون أنظمة شفراتهم وقال إن تكرار فشل مخابرات الاتصالات الأمركية من الصعب أن يكون وليد الصدفة وطالب الرئيس هارى ترومان بتكليف وزير الدفاع الأمريكى روبرت لوفيت ووزير الخارجية دين أتشسون بإجراء تحقيق دقيق فى أنشطة

الوكالة وبعد ثلاثة أيام وبالتحديد فى يوم ١٣ ديسمبر ١٩٥١ أصدر ترومان امره بإجراء هذا التحقيق . وتم تكليف « جورج أبوت براونيل» وهو محام من نيويورك وسكرتير سابق لوزير الطيران بالاشراف على التحقيق . وخلال ٦ شهور كان براونيل قد فحص كل كبيرة وصغيرة داخل وكالة أمن القوات المسلحة الأمريكية وفى النهاية قدم تقريره يوم ١٣ يونيو ١٩٥٢ لوزيرى الدفاع والخارجية ومعه مشروع لإقامة وكالة مركزية قوية جديدة لمخابرات الاتصالات بحيث يتمتع رئيسها بسلطات القيصر أكثر من صلاحيات الموظف البيروقراطى . ووافق وزيرا الدفاع والخارجية على هذا الاقتراح . وبعد أربعة شهور وبالتحديد فى يوم ٢٤ أكتوبر عقد الرئيس هارى ترومان اجتماعاً سريا استغرق ثلاث ساعات ونصفا فى مكتبه البيضاوى فى البيت الأبيض حضره وزير الدفاع ومندوبون من وزارة الخارجية ومجلس الأمن القومى وفى النهاية أصدر ترومان قراراً بالغاء وكالة أمن القوات المسلحة الأمريكية لتحل محلها وكالة جديدة بعيدة عن سيطرة الكونجرس وعيون الرأى العام والعالم .

وفى ساعة مبكرة من صباح ٤ نوفمبر ، وبينما كان ترومان يغادر أحد مراكز الاقتراع فى ولاية ميسورى الأمريكية ظهرت إلى الوجود وكالة الأمن القومى (إن . إس. إيه) ولم يعلق الكثيرون آمالا كبارا على الوكالة الجديدة وكان الرهان الأكبر على أن هذه المنظمة لن تعيش طويلا . وفى نفس تلك الليلة تم انتخاب دوايت ديفيد أيزنهاور ليكون الرئيس الرابع والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية .

الفصـــل الثانى



الجاسوس الطائر

« الحقيقة أن عمليات التجسس الأمريكية على طول الحدود السوفيتية لم تتوقف طوال الخمسينيات حيث كانت الطائرات الأمريكية تحلق كالذباب فوق الجسد السوفيتي .. وكان يمكن أن تؤدي هذه العمليات إلي اندلاع أول حرب نووية .. »

خـلال سنوات الخمسينيـات وأوائل الستينيات كانت الطائرة الأمريكية « آربى – ٤٧ » المعروفة باسم الجاسوس الطائر توصف بأنها « فيرارى » طائرات التجسس الاليكترونية فى العالم ، وذلك فى إشارة واضحة إلى فخامتها وارتفاع تكلفتها حيث كانت تقارن بالسيارة « الفيرارى » ومدى فخامتها وتفوقها فى عالم السيارات . كانت سرعة هذه الطائرة تصل إلى ٨٠٠ كيلو متر فى الساعة وتستطيع التحليق على ارتفاع ٤١ ألف قدم وقد بنيت على هيكل الطائرة القاذفة « بى – ٤٧ » وتم تصميمها خصيصا للقيام بعمليات التجسس والتنصت الاليكترونى وتتميز بأجنحتها الطويلة وبها ٦ محركات تربو نفاثة ضخمة وبوسعها الاقلاع من ممرات قصيرة وتحمل عددا من الهوائيات لالتقاط الاشارات اللاسلكية والاليكترونية .

فى ذلك الحين كانت عمليات التجسس الالكترونى الجوى تتم تحت غطاء كثيف من السرية لدرجة أن أفراد اطقم الطائرات انفسهم كانوا ممنوعين من الحديث عن أى شىء يتعلق بعملهم .

وكانوا يتوجهون إلى مطارات الاقلاع عادة تحت جنح الظلام وكان محظورا عليهم التواجد فى الأماكن العامة معا ووصلت اجراءات السرية إلى حد أن أفراد طواقم هذه الطائرات كانوا يرتدون ملابس

مدنية فوق زى الطيران الرسمى الخاص بهم قبل توجههم إلى المطار فى أى مهمة وبمجرد صعودهم إلى الطائرة يتم إغلاق جميع أجهزة الاتصال والراديو لتجنب أى محاولة تنصت سوفيتية حتى الاتصالات مع برج المراقبة كانت تتم بالاشارات الضوئية فقط وذات يوم اقلعت إحدى طائرات « آربى - ٤٧ » من مطار « نورث ستار باى » فى جرين لاند .. فى وسط الطائرة كان يجلس ثلاثة من ضباط القوات الجوية الأمريكية المتخصصين فى التجسس الالكترونى وحولهم معدات وأجهزة التجسس والتنصت كانت المهمة التى ستقوم بها الطائرة تستغرق ١٢ ساعة يعيش خلالها أفراد الطاقم وسط دوى المحركات حيث لم يكن جسم الطائرة مبطنا بمواد عازلة وكانت درجة الحرارة داخلها مرتفعة للغاية ويتحملها أفراد الطاقم بصعوبة لذلك كانوا يطلقون على الطائرة « آربى - ٤٧ » اوصافا تنم عن الكراهية فيقولون إنها طائرة قبيحة وبدينة وخطيرة ومرهقة . ورغم ذلك فإن جميع الذين ركبوها وقعوا فى حبها . وقد قامت هذه الطائرة بأخطر رحلاتها فى ربيع ١٩٥٦ عندما اصدر الرئيس ايزنهاور اوامره بغزو المجال الجوى السوفيتى باستخدام قاذفات القنابل التى تحمل معدات تجسس وتنصت اليكترونى وكاميرات بدلا من الأخيرة والقنابل والصواريخ وقد انطلقت هذه الرحلة للقيام بعملية اطلق عليها اسم المشروع (أوميرون) وأقلعت من قاعدة جوية سرية بالقرب من « تولى » وهى إحدى قرى الاسكيمو فى جرين لاند وسط الصحراء الجليدية على مسافة ٦٩٠ ميلا شمالى الدائرة القطبية . كانت الولايات المتحدة قد اعدت ٥٠ قاذفة قنابل أمريكية للقيام بمهمة غزو المجال الجوى السوفيتى فى مهام تجسسية وصفت بأنها كانت الأكثر سرية طوال الحرب الباردة وفى هذه المنطقة الجليدية تم اعداد مساكن

خاصة لمسئولى الصيانة والطيارين والخبراء تشبه عربات الثلاجات الخاصة بالسكك الحديدية .

وكانت مهمة هذه الطائرات بالتحديد هى اختراق كل المناطق الشمالية السوفيتية التى كانت عبارة عن هلال من الجليد طوله ٣٥٠٠ ميل يمتد من مضيق بيرينج قرب ألاسكا وحتى ميناء مورمانيسك وشبه جزيرة قولة فى روسيا الاوربية .. فى ذلك الحين لم تكن هناك معلومات كثيرة عن المنطقة القطبية السوفيتية .

ورغم ذلك ونظرا لأن الطيران عبر القطب الشمالى كان هو اقصر طريق يمكن أن تصل منه القاذفات والصواريخ الروسية إلى الولايات المتحدة فإن هذه المنطقة كانت هى أكثر المناطق احتمالا لأن تكون ساحة للمعركة فى الحرب القادمة وفى نفس الوقت كانت أيضا الطريق الأكثر احتمالا للقيام بغزو أمريكا لروسيا وهكذا فإن أى فنى رادار سوفيتى يرى القاذفات الأمريكية فى سماء هذه المنطقة لن يكون بوسعه معرفة أنها فى مهمة تجسس وليست فى مهمة حرب . ورغم المخاطر الهائلة بأن تؤدى مهام التجسس الجوى الأمريكى إلى إشعال حرب عالمية ثالثة إلا أن الرئيس ايزنهاور وافق على القيام بهذه المهمة .

وفى يوم ٢١ مارس ١٩٥٦ اقلعت مجموعة من طائرات الاستطلاع القاذفة (آربى ٤٧) نحو أهداف معينة داخل روسيا . وبشكل يومى استمرت مهام هذه الطائرات لمدة ٧ اسابيع متتالية حيث كانت تنطلق عشر طائرات يوميا ويتم اعادة تزويدها بالوقود فوق القطب الشمالى تقوم بمهام التنصت والاستطلاع فوق مواقع روسية . كانت هذه الطائرات تحلق فى مجموعات تتكون كل مجموعة من طائرتين تقوم إحداهما بالتنصت على الرادار والقواعد الجوية ومواقع الصواريخ

الروسية بينما تقوم الأخرى بمهام التصوير الجوى لهذه المواقع . وكانت مهام طائرات الاستطلاع من طراز (آربى - ٤٧) تشمل التحليق فوق مواقع روسية حساسة مثل جزيرة نوفايا زمليا حيث كان الروس يجرون أخطر تجاربهم السرية على الاسلحة الذرية . ومنذ لحظة اقلاع هذه الطائرات وحتى لحظة هبوطها كان يتم فرض صمت كامل على أجهزة الراديو بها ولم يكن مسموحا لأى منها بإجراء أى اتصال حتى لو اعترضتها طائرات الميج الروسية والسبب فى ذلك أن التعليمات كانت تقضى بإلغاء المهمة فى حالة حدوث أى اتصال بالراديو من جانب أى طائرة استطلاع أمريكية . وفى يوم ٦ مايو ١٩٥٦ بدأت أكثر عمليات الاستطلاع الجوى جرأة وجسارة فى تاريخ الحرب الباردة وحدث ذلك داخل المجال الجوى السوفيتى .

قامت بهذه المهمة ٦ طائرات استطلاع من طراز « آربى - ٤٧ » وعبرت هذه الطائرات القطب الشمالى ثم اخترقت المجال الجوى السوفيتى فى وضح النهار وكأنها فى مهمة لقصف مواقع معينة بالقنابل الذرية .

دخلت هذه الطائرات المجال الجوى السوفيتى فوق منطقة امبارشيك غربى سيبريا ثم اتجهت شرقا لتجمع معلومات شديدة الأهمية وهى تعبر فوق القواعد الجوية ومواقع الصواريخ الروسية . وبعد حوالى ١٢ ساعة من بداية المهمة عادت طائرات التجسس لتهبط فى قاعدة « بيلسون » الجوية الأمريكية فى ألاسكا . وبعد دقائق تم ارسال الأفلام وشرائط التسجيل فى طائرة خاصة إلى وكالة الأمن القومى الأمريكى لتحليلها . ولم توضح هذه الشرائط والأفلام أى اشارات رادار روسية وكان ذلك دليلا على أن روسيا لم تكن قادرة على رصد أى هجوم نووى أمريكى فى هذه المنطقة .

ورغم ذلك فقد كانت خطورة المهمة تكمن فى امكانية أو احتمال وجود محطة رادار سوفيتية ترصد طائرات الاستطلاع وتعتقد أنها قاذفات نووية تعتزم شن هجوم بالقنابل الذرية ففى مثل هذه الحالة كان الروس سيبادرون خلال ثوان بشن هجوم نووى مضاد . مما كان سيؤدى إلى كارثة . وقد بلغ عدد طلعات التجسس التى قامت بها الطائرات الأمريكية فى هذا المشروع الذى اطلق عليه اسم (هومى رون) ١٥٦ مهمة خلال فترة شهرين تقريبا . ولم يفقد الأمريكيون أى طائرة وأيضا دون أن تندلع حرب نووية ، ورغم ذلك فإن موسكو كانت على علم بالغزو الذى يتعرض له مجالها الجوى . وبعد ثمانية أيام من انتهاء المشروع (هومى رون) تسلم السفير الأمريكى فى موسكو مذكرة احتجاج ولكن الكرملين لم يتخذ أى خطوة علنية ليحتج على ما يفعله الأمريكيون نظرا لما كان يشكله ذلك من مهانة للاتحاد السوفيتى .

والحقيقة أن عمليات الاستطلاع الجوى الأمريكى على طول الحدود السوفيتية لم تتوقف طوال الخمسينيات حيث كانت طائرات التجسس الأمريكية تطير كالذباب فوق الجسد السوفيتى . وكانت هذه الطائرات تبحث عن ثغرات فى الحائط الذى تشكله مواقع الرادار والدفاعات الجوية الروسية . ولم يكن الروس حتى ذلك الحين قد انتهوا من اقامة الشبكة الكاملة للدفاع الجوى حول الحدود السوفيتية. ويقول تقرير لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية إن الولايات المتحدة لجأت إلى استخدام العنصر البشرى للتجسس على الاتحاد السوفيتى رغم الاجراءات الأمنية الصارمة التى فرضتها دول الكتلة الشيوعية لعرقلة وسائل جمع المعلومات التقليدية . وكان العملاء السريون يستخدمون الوسائل السرية لجمع المعلومات وسط

ظروف شديدة الصعوبة جعلت هذه العملية تفقد فاعليتها .

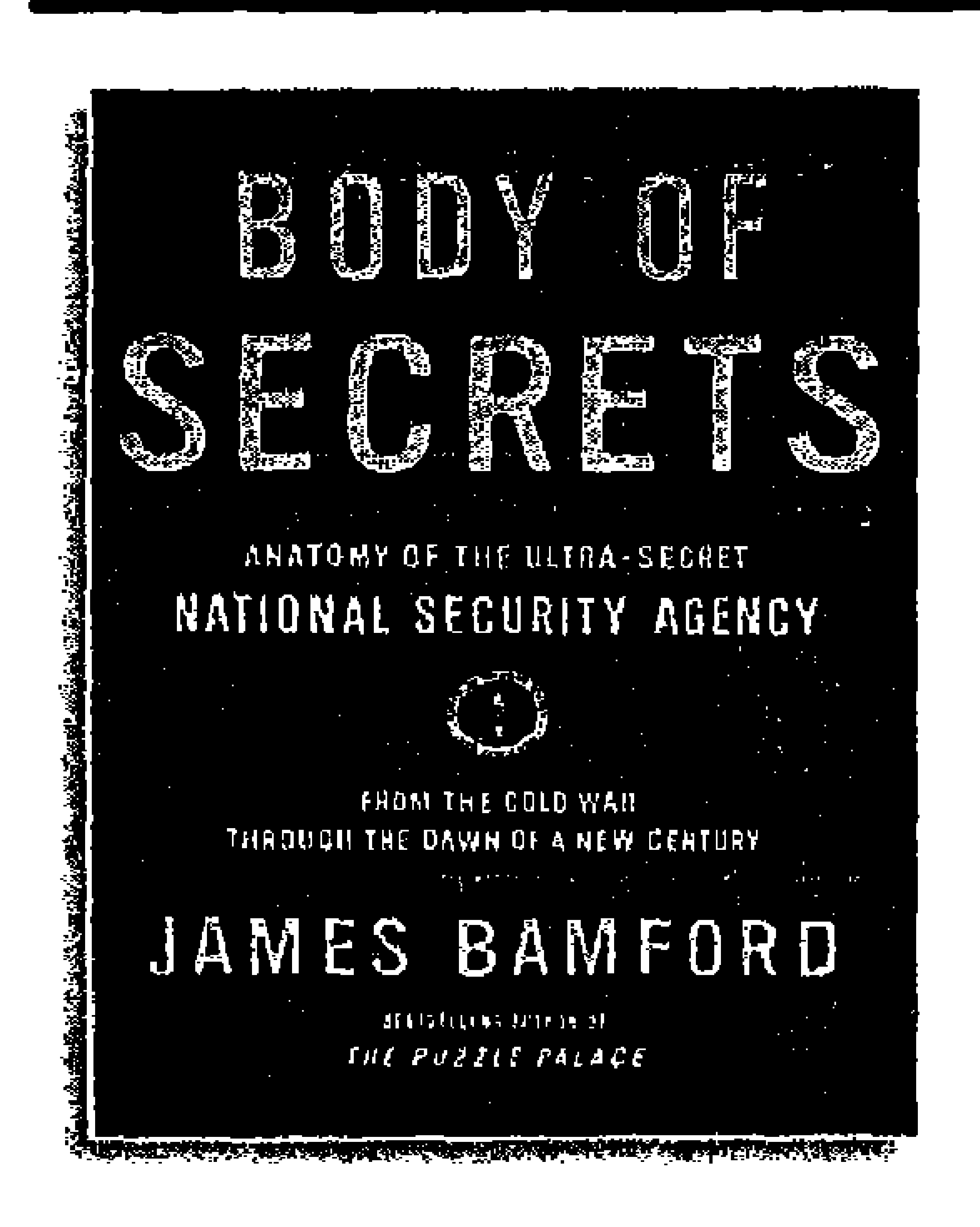
ولكن بينما كانت الحكومات الشيوعية فى شرق أوربا وآسيا قادرة على فرض السرية حول الأهداف الحيوية بها مثل موقع تطوير الصواريخ والأسلحة النووية إلا أنها كانت عاجزة عن بناء اسقف فوق هذه المنشآت الحساسة لحمايتها من الاستطلاع الجوى كما عجزت أيضا عن منع عمليات التنصت على اتصالاتها .

وكانت طائرات الاستطلاع تتعمد فى بعض الاحيان كشف نفسها أمام محطات الرادار السوفيتية حتى توجه أجهزتها نحوها وبالتالى يتم معرفة تردداتها وغير ذلك من المعلومات الفنية التى تتيح ضرب هذه المواقع بسهولة مستقبلا وأيضا تحدد مواقع الثغرات فى نظام الدفاع الجوى السوفيتى .. وإذا كانت بعض طائرات التجسس المعروفة باسم (يو ٢) تحلق على ارتفاعات عالية فإن قاذفات القنابل الثقيلة التى تم تحويلها إلى طائرات استطلاع كانت تحلق على ارتفاعات منخفضة تضعها فى مدى الصواريخ الروسية المضادة للطائرات . وفى عام ١٩٥٤ أى قبل عامين من مشروع (هومى رون) اقلعت ثلاث طائرات تجسس من طراز « اربى - ٤٧ » من إحدى القواعد فى انجلترا متجهة نحو جزيرة قوله الروسية . كانت هذه المنطقة شديدة السرية ويعتبرها الخبراء الأمريكيون أفضل موقع يمكن أن يشن منه السوفييت هجوما نوويا ضد الولايات المتحدة فى ذلك الحين كانت الولايات المتحدة تسعى بكل قوة للحصول على معلومات حول عدد ومواقع تواجد القاذفات السوفيتية بعيدة المدى التى اطلق عليها اسم كودى هو (بيسون) .

وعلى مسافة ١٦٠ كيلوا مترا من ميناء مورمانيسك الروسى عادت اثنتان من الطائرات الأمريكية كما هو متفق عليه بينما استمرت

الطائرة الثالثة فى طريقها نحو الساحل الروسى وكانت تشكل هدفا واضحا وتنعكس فوقها أشعة الشمس .. انطلقت الطائرة بسرعة ٨٠٠ كيلو متر فى الساعة وبدأت تلتقط الصور للمواقع العسكرية السوفيتية ولكن خلال دقائق كانت طائرات « الميج » تنطلق نحوها وتطلق عليها النار . كان الجو صحوا ولا توجد سحابة واحدة بالسماء كما يقول الكابتن كارل هولت قائد الطائرة الأمريكية الذى أكد أنه شاهد بعينيه حوالى عشر طائرات ميج سوفيتية .. وأصدر أوامره لمدفعى الطائرة لإطلاق النار عليها ولكن فوجىء بأن مدافع طائرته لا تعمل فأتجه بطائرته نحو حدود فنلندا ولكن احدى الطائرات الميج ارتفعت فوقه وأطلقت قذيفة أحدثت ثغرة فى خزان الوقود . ورغم ذلك انطلقت الطائرة الأمريكية بأقصى سرعة ولحسن حظه التقى بطائرة أمريكية تستعمل كخزان وقود قامت بتمويله فى الجو بعد أن هرب من مطاردة المقاتلات السوفيتية . وهكذا فإن الحرب الباردة التى اندلعت بين الشرق والغرب لم تكن فى واقع الأمر باردة تماما بل شهدت بعض المواجهات الساخنة التى اسفرت عن مصرع أكثر من مائتى أمريكى بالإضافة إلى أربعين طائرة أمريكية تم إسقاطها دون أن يعرف العالم الكثير عن ظروف إسقاطها فى ذلك الحين .

الفصـــل الثالث



أزمــــة الســـويس

● بعـد أن اتضـحت أبعـاد المـؤامـرة الثـلاثيـة بـين انجلترا وفرنسا وإسرائيل ضـد مصـر ، اجتـاحت الـرئيس أيزنهـاور حـالة من الغضب الشديد ، وأبلـغ لنـدن وبـاريس بألا يتوقعـا أى مساعدة أمـريكيـة فى هـذه المغـامـرة الطائشة .. وقـال أيزنهـاور أن أمـريكا سترتكب خطـا فـادحـاً إذا استمرت فى تقـديم أى نـوع مـن المساعدات لإسرائيل وهـى الـدولة المعتدية .. ●

بينما كان السوفييت يحتجون على طلعات التجسس الجوية الأمريكية ، كانت هناك أزمة كبرى تتطور فى أوروبا والشرق الأوسط وكانت هذه الأزمة هى الأولى من نوعها التى تواجهها وكالة الأمن القومى الأمريكية (إن . إس . إيه) ففى صباح يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ القى الرئيس المصرى جمال عبد الناصر خطابا حماسيا أعلن فيه تأميم قناة السويس . وكان من شأن هذه الخطوة أن تؤدى إلى اندلاع الحرب مع انجلترا وفرنسا وإسرائيل كما أدت أيضا إلى برودة فى العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الأوروبيين ووفقا لتقرير سرى لوكالة الأمن القومى الأمريكية فإن هذه الأزمة التى عرفت باسم « ازمة السويس » كانت أول اختبار كبير يواجه وكالة الأمن القومى وهو اختبار كان له تأثيره الهائل على مستقبل الوكالة ومصداقيتها . فى ذلك الحين كان مدير وكالة الأمن القومى الأمريكى هو اللفتنانت جنرال رالف جوليان كاناين وهو أول مدير لها ويعتبره الكثيرون الأب الروحى للوكالة .

وكان كاناين ممتلىء الجسم أبيض الشعر فى الخامسة والخمسين من عمره وقضى معظم حياته العسكرية كجندى مشاة ولديه خبرة محدودة بأعمال المخابرات وكان بعض العاملين معه فى الوكالة يتندرون قائلين إن أهم مؤهلاته لتولى منصب المدير كانت هى

(خبرته فى التعامل مع البغال) ورغم ذلك فقد كان الجميع يخشونه رغم طيبة قلبه .

وقد جاءت أزمة السويس لتكون بمثابة الورقة الأخيرة فى لعب البوكر أو مقامرة من ذلك النوع الذى عرفه العالم فى الحرب الباردة . فعبر شهور طويلة كانت المنافسة محتدمة ومشتعلة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على الحق فى مساعدة مصر لتمويل مشروع إقامة سد هام على النيل . فى ذلك الحين كان جمال عبد الناصر هو الزعيم الذى يملك مفتاح العالم العربى وكان أحد أبرز زعماء هذه المنطقة ويتولى رئاسة مصر ذات الموقع الاستراتيجى الهام لذلك كانت صداقة عبد الناصر تمثل فوزاً مغرياً خاصةً بالنسبة للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

وكان ثمن هذه الصداقة هو تمويل بناء السد العالى فى أسوان . وبالنسبة للرئيس ناصر فقد كان يعرف قيمته جيداً ويدرك اهميته للمتنافسين على صداقته لذلك سعى إلى إشعال المزاد ورفع السعر الذى يعرضه المتنافسون إلى أعلى مستوى . وأكثر من ذلك أن ناصر حاول أيضا أن يثير كل طرف ضد الطرف الآخر . وهنا تصرفت الولايات المتحدة الأمريكية بشكل مختلف فكشفت أوراقها وألقتها على المائدة معلنة انسحابها من هذا المزاد أو المنافسة . أما روسيا فعندما وجدت نفسها بلا منافس فقد بدأت تتردد فى رهانها وتخفض من قيمة عطائها . نتيجة لذلك سيطرت على ناصر مشاعر الغضب وأعلن قانون الطوارىء على طول قناة السويس وأصدر أوامره إلى شركات الملاحة لأن تدفع رسوم عبور القناة لمصر وليس لشركة قناة السويس العالمية .

واحقاقاً للحق فإن ناصر لم تصدر عنه أى إشارة تشير إلى رغبته

فى إغلاق قناة السويس أمام حركة الملاحة العالمية أو حتى فرض أى قيود على الملاحة فيها . ورغم ذلك فقد أعربت الحكومتان البريطانية والفرنسية وهما أكبر حملة الأسهم فى شركة قناة السويس عن مخاوفهما من احتمال إغلاق هذا الممر المائى الحيوى .

وكانت قناة السويس هى بمثابة شريان الحياة الذى تتدفق من خلاله شحنات بالبترول القادمة من معامل التكرير فى المملكة العربية السعودية وغيرها من دول النفط إلى خزانات الوقود الضخمة فى انجلترا وفرنسا .

وبعد فترة قصيرة من إعلان ناصر تأميم قناة السويس اشتركت بريطانيا وفرنسا فى خطة أو مؤامرة طموح لاستعادة القناة بالقوة وبدلا من الظهور أمام العالم فى صورة المعتدى دبرت فرنسا سراً لطلب مساعدة إسرائيل . وهكذا فقد كانت المؤامرة تقضى بأن تشن إسرائيل حرباً ضد مصر وبمجرد أن تبدأ مصر ممارسة حقها المشروع فى الدفاع عن نفسها ، تتقدم إنجلترا وفرنسا للظهور فى الصورة باعتبارهما تسعيان لحفظ السلام . وفى إطار هذا (السلام) المزعوم يتم انتزاع السيطرة على القناة من مصر لتحتفظ بها بريطانيا وفرنسا . أما نصيب إسرائيل من الكعكة فكان هو الاستيلاء على سيناء من مصر . والحقيقة أن هذه الخطة كانت خادعة وتمثل عودة إلى اسوأ أيام الاستعمار .

ورغم ذلك فقد وافق عليها تماما رئيس الوزراء الإسرائيلى ديفيد بن جوريون ووزير دفاعه شمعون بيريز ورئيس الأركان موشى ديان . أما رئيس الوزراء البريطانى أنطونى إيدن فبمجرد علمه بالدور الذى ستلعبه إسرائيل وافق على الفور . وقد اتفق جميع أطراف المؤامرة على ضرورة إخفاء التفاصيل الدقيقة لمؤامرتهم عن الولايات المتحدة

الأمـريكيـة ولكن فى نفس الوقت كـان من الضـــرورى الفــوز بدعم واشنطن لهم بمجرد أن يبدأ العدوان .

وبينما كانت الأزمة تتطور كانت وكالات المخابرات الأمريكية تدير عيونها وأذانها نحو الشرق الأوسط . وفى يوم الاثنين السادس من أغسطس ١٩٥٦ كان وزير الخارجية الأمريكى جون فوستر دالاس يجلس أمام الرئيس ايزنهاور ليقدم له آخر تقارير وكالة الأمن القومى الأمريكى والذى احتوى على عمليات التنصت على البرقيات والرسائل والاتصالات فى أسبانيا وسوريا وكانت هذه المعلومات توضح المواقف والنوايا بعد تأميم قناة السويس .

ولكن الغريب فى الأمر أنه لم تكن هناك أى معلومات من إسرائيل.

والسبب فى ذلك أن وكالة الأمن القومى لم تستطع إثبات فاعليتها فى هذه النقطة بالتحديد نتيجة لأن محور اهتمامها فى ذلك الحين كان يتركز فى منطقتين أساسيتين هما الدول الشيوعية الأوروبية والدول الشيوعية فى آسيا . ووفقا لاتفاق خاص وقعته الولايات المتحدة وبريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية فقد تم تقسيم العالم إلى دوائر نفوذ . وكانت بريطانيا مسئولة عن مراقبة منطقة غرب أوروبا والشرق الأوسط وتقوم بتزويد الولايات المتحدة بالمعلومات حول هاتين المنطقتين اللتين تخضعان للمراقبة الإنجليزية عن طريق مواقع التنصت الاليكترونى فى انجلترا وقبرص . ورغبة من بريطانيا فى إخفاء خطة غزو مصر عن واشنطن فإنها لم تقدم للأمريكيين المعلومات المتعلقة بهذا الغزو واكتفت باختيار بعض المعلومات غير الهامة وقدمتها لوكالة الأمن القومى الأمريكى . وهكذا كانت وكالة الأمن القومى الأمريكى ضحية للخداع من جانب شريكها البريطانى وفى نفس الوقت لم تكن قادرة على أن تفعل شيئاً بنفسها فيما يتعلق بأزمة السويس .

كان لدى الوكالة عدد قليل من المترجمين المتخصصين فى اللغتين العربية والعبرية كما أنها لم تكن مهيأة للتنصت على الاتصالات العسكرية البريطانية أو الفرنسية أو الإسرائيلية .. وكان كل ما عرفته وكالة الأمن القومى الأمريكى فى بداية الأزمة هو بعض المؤشرات التى توصل إليها خبراؤها والتى أشارت إلى أن الاتصالات بين باريس ولندن وتل أبيب كانت مكثفة للغاية . ومما جعل الأمور تزداد سوءاً أن وكالة الأمن القومى الأمريكى كانت فى ذلك الحين تمر بظروف صعبة حيث كان يجرى نقل مقرها الرئيسى من واشنطن إلى مبنى آخر يبعد ٤٠ كيلو مترا شمالا بمنطقة فورت ميد بولاية ميرى لاند كانت هناك حالة من الفوضى الملفات والأجهزة متناثرة فى كل مكان وحتى الخبراء أنفسهم كانوا فى حالة من عدم الاستقرار . وبالاضافة إلى كل ذلك كان الجنرال كاناين فى ذلك الحين يقوم بإخلاء مكتبه ويستعد للتقاعد . وباختصار ، وكما يقول أحد المسئولين بوكالة الأمن القومى فإن عام ١٩٥٦ كان وقتا سيئا بالنسبة للوكالة إلى الحد الذى جعلها عاجزة عن القيام بدورها المطلوب فى الأزمة .

وبعد أن اتضح مدى المؤامرة الفرنسية الإنجليزية الإسرائيلية ضد مصر اجتاحت الرئيس الأمريكى إيزنهاور حالة من الغضب وأبلغ بريطانيا وفرنسا بأنه يتعين عليهما عدم توقع أى مساعدة أمريكية فى هذه المغامرة الطائشة التى يقومان بها . واتصل وزير الخارجية دالاس تليفونيا بالرئيس ايزنهاور وابلغه صراحة رأيه فى هذه المؤامرة بأنها أكثر الأشياء التى رآها فى حياته فجاجة ووحشية . ووصف دالاس الانذار الانجلو فرنسى لمصر بأنه مرفوض وغير مقبول أما

الرئيس ايزنهاور فكان تعليقه لوزير خارجيته يأخذ شكل التحذير حيث قال له (توقع أن يتدخل الروس فى هذا الموضوع) .

أما آلان دالاس مدير وكالة المخابرات المركزية فى ذلك الوقت فقد وصف خطة العدوان الثلاثى على مصر فى حديث مع شقيقه جون فوستر دالاس بقوله (أن هذا هو أخطر موقف بين الولايات المتحدة وحلفائها منذ سنوات) .

وقد تفجر جدل ساخن داخل الإدارة الأمريكية حول الخطوة أو العمل الذى يتعين اتخاذه ضد إسرائيل وقال الرئيس ايزنهاور (سوف ترتكب الولايات المتحدة خطأ فادحاً إذا استمرت فى تقديم أى نوع من المساعدة لإسرائيل وهى الدولة المعتدية) . أما جون فوستر دالاس فقال (هناك شىء واحد على الأقل واضح تماما وهو أننا لا نقر القتل وسفك الدماء . وعلينا ببساطة أن نمتنع عن اللجوء إلى القوة لتسوية المنازعات الدولية ولووقفنا مكتوفى الأيدى فى هذه الأزمة فإن الأمم المتحدة برمتها سوف تنهار) . وقد وافق الرئيس ايزنهاور وزير خارجيته فى هذا الرأى .

وفى لندن كانت الضغوط الهائلة التى مارستها الولايات المتحدة وروسيا والمجتمع الدولى أكبر من أن تحتمل .

وفى النهاية تم الاتفاق على وقف إطلاق النار لتنهى بذلك أخطر ازمة واجهتها أمريكا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

وقد كان لأزمة السويس تأثير عميق على وكالة الأمن القومى الأمريكى (إن . إس . إيه) .

حيث كانت بمثابة دخول حزين لعالم استخبارات الأزمات أو بمعنى آخر الدور الذى تلعبه وكالات المخابرات خلال الأزمات الكبرى.

وقد جرى تحليل داخلى لأداء وكالة الأمن القومى الأمريكى خلال

أزمة السويس وانتهى إلى توجيه انتقادات قاسية ولاذعة ضدها . وقال هذا التقرير صراحة أن رد فعل الوكالة على أزمة السويس كان هو الفوضى وثبت عجز الأجهزة المكلفة لفك الشفرات والتنصت عن الاتصالات عن التعامل مع المواقف الطارئة فى مناطق الأزمات . وهكذا تحولت أزمة السويس إلى مجرد درس شديد القسوة لوكالة الأمن القومى الأمريكية ، وفى مقابل الاستفادة من هذا الدرس طلب الجنرال كاناين مدير الوكالة مساعدة خبراء من خارجها لحل مشاكلها وقام بهذا العمل مكتب استشارى هو شركة ماكنزى الذى قام بدراسة كل صغيرة وكبيرة داخل الوكالة . وفى النهاية أوصى المستشارون بإجراء تغيير كامل فى وكالة الأمن القومى الأمريكى وأعيد تنظيم معظم الإدارات والأقسام فى الوكالة . وأصبح هناك تخصصات بمعنى أن تكون هناك إدارة خاصة للاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية . أو للصين والدول الشيوعية فى أسيا وهكذا . وفى ٢٣ نوفمبر ١٩٥٦ ترك الجنرال رالف كاناين منصبه كمدير لوكالة الأمن القومى محفوفا باحترام الجميع .

والحقيقة أن أداء وكالة الأمن القومى الأمريكية قد استفاد كثيرا من فشلها الذريع خلال أزمة السويس هذا الفشل الذى يرى الكثيرون من الخبراء أنه أدى إلى منع الولايات المتحدة الأمريكية من محاولة التدخل فى الوقت المناسب للحيلولة دون شن العدوان الثلاثى ضد مصر عام ١٩٥٦ . والسؤال الذى مازال يتردد حتى الآن هو : هل كان حقا من الممكن منع العدوان الثلاثى على مصر إذا كانت المعلومات المتعلقة بهذا العدوان قد وصلت إلى الرئيس الأمريكى ايزنهاور فى وقت ملائم ؟ الإجابة على هذا السؤال بكل تأكيد لا يمكن أن تخرج عن حيز التوقعات والاحتمالات .

وقد كانت وكالة الأمن القومى الأمريكية طرفا أساسيا فى أزمات أخطر بكثير بعد ذلك بعضها حدث فى الشرق الأوسط بل وترتبت عليه آثار أخطر بكثير من تلك التى نتجت عن ازمة السويس ١٩٥٦ .

فى ربيع عام ١٩٦٧ اتخذت وكالة الأمن القومى الأمريكية قرارا بإعادة سفن التجسس « فالديز » من منطقة عملياتها أمام سواحل شرق أفريقيا إلى قاعدة نور فولك البحرية الأمريكية حيث ستخرج من الخدمة بسبب تقدمها فى العمر . وتقرر أيضا الاستفادة من رحلة عودة السفينة إلى الوطن عبر قناة السويس من خلال تكليفها بالتنصت على البرقيات والرسائل الشفرية فى المناطق التى ستمر بها خاصة الشرق الأوسط وشرق البحر الأبيض المتوسط . يقول أحد المسئولين فى وكالة الأمن القومى (لم نكن نظن فى ذلك الحين أنه من المرغوب فيه أن تتواجد السفينة فالديز فى الشرق الأوسط أو أن هذه المنطقة على وشك أن تشهد موقفا متفجرا . وقد احتاجت السفينة فالديز ٦ أسابيع كاملة حتى تعبر قناة السويس وتصل إلى مواجهة الساحل الشمالى لأفريقيا أمام شواطىء إسرائيل ومصر وليبيا . فى نفس الوقت تقريبا كانت السفينة الأخرى التى تعمل مع فالديز فى المياه الأفريقية وهى يواس اس ليبرتى تتواجد فى غرب أفريقيا للقيام بمهام دورية وكان قائد هذه السفينة هو القومندان ويليم ماك جوناجل الذى أصدر أوامره بخفض سرعتها إلى أربع عقد فى الساعة .

وبدأت السفينة تتحرك ببطء جنوبا فى المحيط الأطلنطى أمام سواحل غرب افريقيا وفى يوم ٢٢ مايو ١٩٦٧ دخلت السفينة ليبرتى ميناء ابيدجان عاصمة ساحل العاج (كوت ديفوار) حيث كان من المقرر أن تبقى لمدة أربعة أيام . وفى مقر وكالة الأمن القومى الأمريكية لم يكن الحديث يدور حول احتمال حدوث انقلابات عسكرية جديدة

فى أفريقيا بل إمكانية اندلاع الحرب فى الشرق الأوسط . كانت هناك مؤشرات متزايدة قبل أسابيع بأن النيران ستشتعل فى هذه المنطقة فعلى الحدود السورية الإسرائيلية كان الموقف يتوتر يوما بعد يوم وفى ١٧ مايو قررت مصر ، التى كانت تعرف حينئذ باسم الجمهورية العربية المتحدة ، إجلاء قوات الطوارىء الدولية ثم دفعت بقواتها إلى سيناء فى مواجهة الحدود مع إسرائيل وبعد أيام قليلة أشارت التقارير إلى أن إسرائيل تدفع بدباباتها إلى الحدود مع سيناء وفى اليوم التالى قامت مصر بتعبئة مائة ألف من قوات الاحتياط . وفى يوم ٢٣ مايو قرر الرئيس جمال عبد الناصر إغلاق مضيق تيران وكان ذلك يعنى إغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية ومنع أى سفن ترفع أى علم من الوصول إلى ميناء ايلات الإسرائيلى . وأعلن الإسرائيليون أن هذه الخطوة تمثل عملا عدوانيا ضد إسرائيل التى أعلنت التعبئة العامة بين قواتها . وبينما كانت وكالة الأمن القومى الأمريكية تتابع الموقف فى المنطقة عن كثب كان المسئولون الإسرائيليون يتدفقون على واشنطون ويقولون أن ناصر على وشك أن يشن الحرب ضدهم ولذلك فهم بحاجة إلى مساعدة أمريكا .

والحقيقة أن هذه كانت كذبة إسرائيلية باعتراف رئيس الوزراء الإسرائيلى مناحم بيجين الذى قال بعد ذلك صراحة أن إسرائيل هى التى كانت تخطط لتوجيه ضربة ضد مصر . وقال بيجين بالحرف الواحد عام ١٩٨٢ عندما كان رئيساً لوزراء إسرائيل إن حشود الجيش المصرى فى سيناء عام ٦٧ لم تكن تعنى أن ناصر كان بالفعل يعتزم شن الهجوم علينا . ومضى بيجين قائلا : يجب أن نكون أمناء مع انفسنا لقد كنا نحن الذين قررنا مهاجمته .

فى هذا الإطار فإن إسرائيل لو كانت نجحت فى استدراج الولايات

المتحدة لمشاركتها فى توجيه ضربة لمصر والعالم العربى لكانت النتائج التى سيسفر عنها ذلك كارثة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . ففى هذه الحالة كان الاتحاد السوفيتى سيتدخل بكل تأكيد للدفاع عن أصدقائه العرب وكان ذلك سيؤدى إلى مواجهة عسكرية مباشرة بين الولايات المتحدة والقوات السوفيتية . ومثل هذا الاحتمال الخطير كان يمكن لو تحقق أن يشعل حربا نووية . ومع تزايد احتمالات تورط الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط كانت رئاسة الأركان الأمريكية المشتركة بحاجة ملحة للحصول على معلومات سريعة حول الموقف فى مصر . والأهم من كل شىء كانت القيادة العسكرية الأمريكية تريد أن تعرف عدد القوات السوفيتية فى مصر إذا كانت هناك بالفعل قوات سوفيتية وأين تتمركز هذه القوات وما هى الأسلحة التى بحوزتها . أيضا ما إذا كان يتعين على الطائرات الحربية الأمريكية الدخول فى هذا الصراع وفى هذه الحالة سيكون من الضرورى معرفة مواقع بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات . ولو تم ارسال قوات أمريكية إلى المنطقة فإنه من الضرورى معرفة مواقع وإمكانيات القوات المعادية .

فى ذلك المناخ كان المسئولون فى وكالة الأمن القومى فى ضغط شديد لتقديم إجابات على كل هذه الأسئلة وبدأوا فى دراسة الخيارات المتاحة أمامهم لتحقيق هذا الهدف مثل المحطات الأرضية كتلك الموجودة فى قبرص ولكنهم أدركوا أنها بعيدة عن المنطقة إلى الحد الذى لا يتيح لها التنصت على الاتصالات أو التقاط الإشارات الصادرة عن محطات الرادار فى مواقع الدفاع الجوى أو الموجات الصادرة عن الاتصالات اللاسلكية وغير ذلك من الأهداف . أما الخيار الثانى فكان هو الاعتماد على طائرات التجسس والاستطلاع

الجوى مثل طائرات س - ١٣٠ أو أى سى ١٢١ ولكن اتضح أن هذه الطائرات أيضا لن تكون قادرة على جمع المعلومات المطلوبة لأسباب فنية .

وأخيراً كان الخيار المتبقى هو الاعتماد على سفن التجسس التى كانت بالفعل تمثل الخيار الأفضل لأنها تستطيع الإبحار بالقرب من منطقة الأحداث وبوسعها التقاط أهم الإشارات . وبالاضافة إلى ذلك فقد كان بوسع سفن التجسس أيضا أن تبقى لأسابيع فى منطقة العمليات لتمارس مهامها فى التنصت والتقاط الإشارات وتحليل معلومات المخابرات الأمر الذى لا يمكن أن تقوم به طائرات التجسس .

فى ذلك الوقت كانت السفينة يواس اس اكسفورد والسفينة جيمس تاون تبحران فى جنوب شرقى آسيا .

وكانت السفينتان يواس اس جورج تاون وبلمونت تقومان بمهام التجسس والتنصت فى منطقة أمريكا الجنوبية أما السفينة يو أس مولر فكانت تتجسس على الاتصالات فى كوبا .

وهكذا لم يعد هناك سوى السفينتين يوا اس ان اس فالديز ويو اس اس ليبرتى .

بالنسبة لفالديز فكانت قد استكملت لتوها مهمة طويلة وتوجد قرب مضيق جبل طارق فى طريقها للعودة إلى الولايات المتحدة .

أما السفينة ليبرتى فقد كانت أكبر وأسرع وقد بدأت لتوها مهمة جديدة وهى قريبة من منطقة الأحداث حيث تتواجد فى ميناء أبيدجان. والحقيقة أن وكالة الأمن القومى الأمريكية كانت قد رصدت مؤشرات على تفاقم الأزمة فى الشرق الأوسط قبل شهور ولذلك وضعت خطة طوارىء تتمركز بمقتضاها السفينة ليبرتى فى منطقة خليج غينيا

وكانت مهمتها الشكلية هو التجسس على أهداف فى المنطقة بينما كانت فى الواقع تتواجد قرب منطقة الشرق الأوسط للتحرك إليها إذا دعت الحاجة إلى ذلك .

وقد اعترض بعض مسئولى وكالة الأمن القومى على اسناد هذه المهمة للسفينة ليبرتى واعتبروها محفوفة بالمخاطر على أساس أن السفينة ستكون بلا حماية وإذا اندلعت الحرب ستكون عرضة للهجوم عليها ولذلك يتعين عدم ارسالها إلى الشرق الأوسط .

ورغم هذه الاعتراضات تقرر إرسال السفينة ليبرتى إلى الشرق الأوسط يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ وتم إبلاغ جون كونيل وهو مندوب وكالة الأمن القومى فى مركز الاستطلاع المشترك وهو وحدة داخل رئاسة الأركان الأمريكية المشتركة مسئولة عن تنسيق عمليات الاستطلاع فى البحر والجو وفى الأعماق أيضا بواسطة الغواصات .

وفى الساعة الثانية والعشرين دقيقة تم ارسال برقية إلى السفينة ليبرتى نصها (عليكم بالاستعددا فوراً للإبحار . وعند تمام الاستعداد غادروا ميناء ابيدجان وتوجهوا بأقصى سرعة ممكنة إلى ميناء روتا الأسبانى لتحميل معدات ومواد فنية وإمدادات . وبعد تمام الاستعداد عليكم الإبحار إلى منطقة العمليات أمام ميناء بورسعيد ـ سنوافيكم بمناطق محددة فى وقت لاحق) .

فى حوالى الساعة الثالثة وخمس واربعين دقيقة صباحا تم ايقاظ قائد السفينة ليبرتى وإبلاغه بالتعليمات الجديدة وبدأت السفينة تستعد لتنفيذ الأوامر الصادرة إليها وفى خلال أقل من ٣ ساعات كانت تغادر ميناء أبيدجان . ولمدة ثمانية أيام انطلقت السفينة بأقصى سرعة فى مياه المحيط الأطلنطى .

وكان أهم ما تحتاجه السفينة ليبرتى فى مهمتها الجديدة هو

خبراء اللغات . فى خلال مهماتها السابقة فى غرب إفريقيا كان على متنها خبراء فى الفرنسية والبرتغالية أما بالنسبة للشرق الأوسط فالأمر مختلف ولذلك صدرت الأوامر لخمسة من مترجمى اللغة العربية بينهم أثنان من مشاة البحرية وثلاثة مدنيين من وكالة الأمن القومى للتوجه لميناء روتا الأسبانى لمقابلة السفينة ليبرتى ورغم وجود عدد من خبراء اللغة الروسية على السفينة إلا أن أحد مترجمى اللغة الروسية انضم إليهم فى ميناء روتا ومعه خبير كبير فى تحليل الإشارات الاليكترونية واللاسلكية وفك الشفرة . كانت وكالة الأمن القومى قد طلبت أيضا تزويد السفينة ليبرتى بخبراء فى اللغة العبرية .

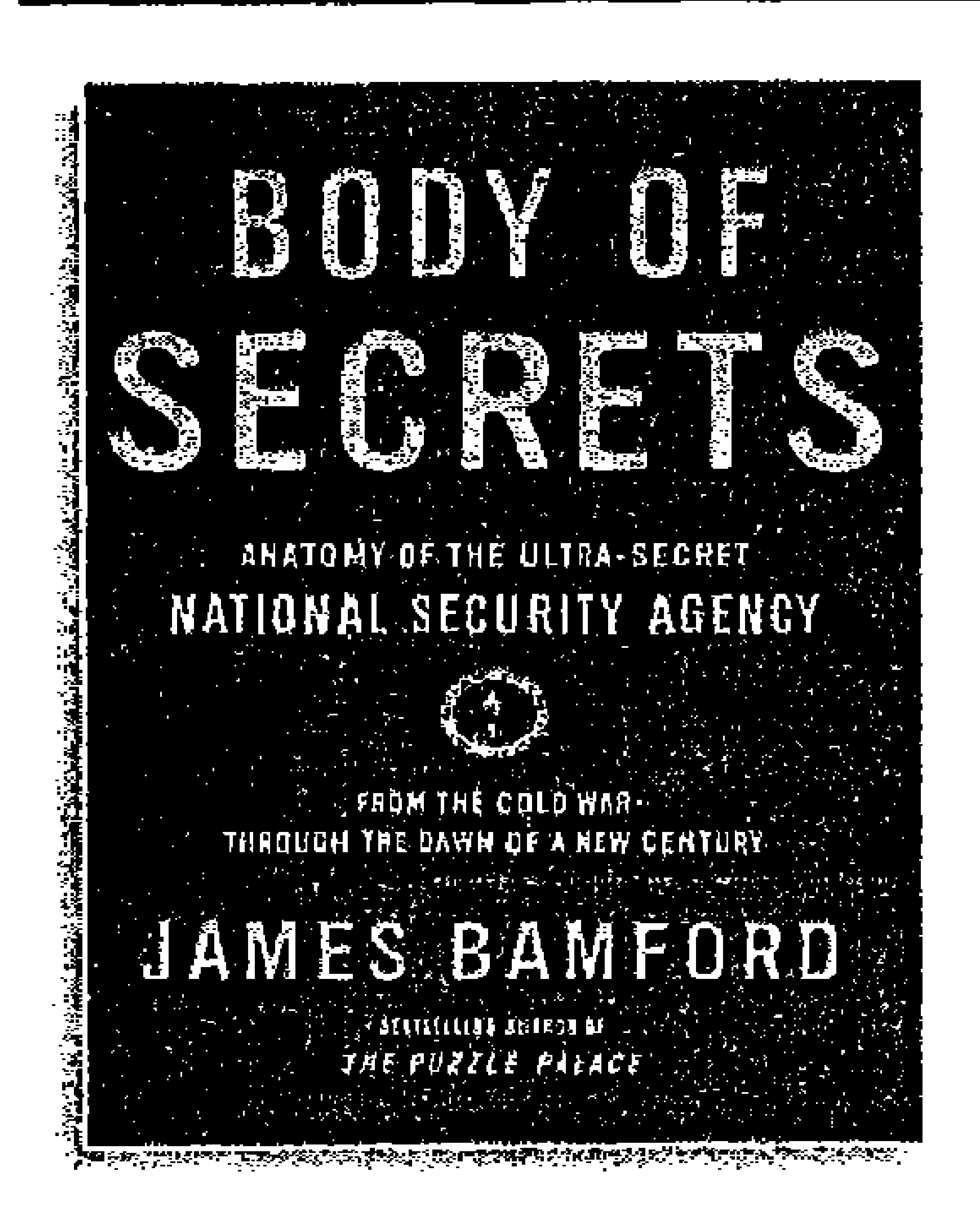
ولكن لم يكن لديها ما يكفى من مترجمى هذه اللغة واستاء بعض مسئولى الوكالة من ذلك قائلين إن السفينة تتوجه إلى منطقة أزمة الحاجة فيها ملحة لخبراء فى اللغة العبرية فمن أين تحصل عليهم ؟! هل تتوجه إلى أقرب معبد يهودى للبحث عنهم وبينما كانت ليبرتى تبحر شمالا كان السرجنت برايس ليكوود من مشاة البحرية الأمريكية وهو خبير فى اللغة الروسية على متن طائرة تجسس تطير على ارتفاع ٣٠ الف قدم فوق بحر النرويج أمام سواحل ايسلندا للتجسس على المناورات الصيفية للاسطول السوفيتى الشمالى وبعد أن انتهت مهمته عاد إلى قاعدة كيفلافك فى ايسلندا حيث كان من الفروض أن يتوجه إلى أحد مراكز التنصت الأمريكية بمنطقة بريمر هافن الألمانية عن طريق ميناء روتا الأسبانى وبعد وصوله إلى روتا كان عليه المبيت ليلة ليستقل طائرة فى اليوم التالى إلى المانيا ولكن فى الساعة الثانية صباحا استيقظ برايس ليكودو على صوت دقات على باب غرفته واعتقد أن بعض رفاقه يمزحون معه ففتح الباب

والغضب يكسو وجهه ليجد أحد الجنود ومعه رسالة من رئاسة الأركان الأمريكية المشتركة تبلغه بالانضمام إلى طاقم سفينة التجسس الأمريكية ليبرتى فى الساعة السادسة صباحاً . وتوجه خبير اللغة الروسية وتحليل برقيات الشفرة فى الموعد المحدد إلى الميناء لينضم إلى طاقم ليبرتى فجر يوم أول يونيو ١٩٦٧ وانضم إلى طاقم السفينة أيضا ٥ من مترجمى اللغة العربية .

وفى ميناء روتا الأسبانى تم تزويد السفينة ليبرتى بحوالى ٣٨٠ ألف جالون من الوقود وكميات هائلة من الأطعمة والمؤن وعدد كبير من الصناديق المغلقة التى تحتوى على أجهزة ومعدات تم نقلها من سفينة التجسس فالديز عند مرورها بالميناء فى طريقها إلى قاعدة نورفولك الأمريكية . وقبل الرحيل من ميناء روتا الأسبانى إلى شرق البحر المتوسط تلقى الكابتن ماك جوناجل قائد السفينة ليبرتى أوامره من رئاسة الأركان الأمريكية المشتركة بأن يتواجد أمام سواحل إسرائيل ومصر بحيث لا يقترب من الساحل المصرى لأكثر من ١٢,٥ ميل بحرى . ومن الساحل الإسرائيلى لأكثر من ٦,٥ ميل بحرى .

وغادرت السفينة ليبرتى ميناء روتا بعد ظهر يوم الثانى من يونيو ١٩٦٧ وهى تبحر بسرعة ١٧ عقدة وهى سرعتها القصوى . وخلال رحلتها التقت بثلاث سفن سوفيتية قرب مضيق جبل طارق الذى عبرته لتنطلق بعد ذلك بمحازاة ساحل شمال إفريقيا وعلى مسافة ١٣ ميلاً على الأقل من الشاطئ . وبعد ثلاثة أيام من مغادرة ميناء روتا أى يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ وبينما كانت ليبرتى تبحر جنوبى جزيرة صقلية بدأت إسرائيل ضربتها التى أعدت لها منذ وقت طويل ضد جارتها مصر واندلعت الحرب المصرية الإسرائيلية .

الفصل الرابع



حرب يونيو !

في صباح ٥ يونيو ، استدعى وزير الخارجية الإسرائيلي أبا إيبان ، السفير الأمريكي في تل أبيب ليطلق أمامه ستارا من الأكاذيب الإسرائيلية التي تتهم مصر بشن الحرب .. وتزعم أن إسرائيل ضحية لهجوم عبد الناصر .. واستمر أبا إيبان في الكذب بشأن أهداف إسرائيل والتي كانت في واقع الأمر هي الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي العربية ..

فى الساعة ٧,٤٥ من صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ بتوقيت سيناء (١,٤٥ صباحاً بتوقيت واشنطن) وجهت إسرائيل ضربتها الجوية ضد المطارات المصرية والتى استخدمت فيها كل طائرات سلاحها الجوى تقريبا . وخلال ٨ دقائق فقط تم تدمير غالبية القوة الجوية المصرية على الأرض فقد اندفعت الدبابات الإسرائيلية على ثلاثة محاور عبر سيناء فى اتجاه قناة السويس . وفى نفس التوقيت شنت إسرائيل هجمات أخرى على الحدود الأردنية والسورية . وقد أدلى المسئولون الإسرائيليون بتقارير زائفة وكاذبة للصحافة ووسائل الإعلام زعموا فيها أن مصر هى التى بدأت بشن هجوم كبير ضدهم وأنهم فقط يدافعون عن أنفسهم ضد هذا الهجوم .

وفى واشنطن كان يوم الأحد الرابع من يونيو يوماً عاديا لدرجة أن والت روستو مستشار الرئيس جونسون للأمن القومى لم يذهب إلى مكتبه وظل فى بيته حيث أطفأ نور غرفة نومه فى الساعة ١١ مساء ولكنه استيقظ فى الساعة ٢,٥٠ صباح الخامس من يونيو بتوقيت واشنطن على رنين التليفون وكان ذلك بالتحديد بعد حوالى ساعة من بدء الهجوم الإسرائيلى على مصر ليتلقى تقريرا من مكتب متابعة الإذاعات الأجنبية فى البيت الأبيض الأمريكى يقول إن هناك معلومات بأن الجمهورية العربية المتحدة قد شنت هجوما على إسرائيل ورد

روستو على المكالمة بأن طلب الرجوع إلى مصادر المخابرات الأمريكية للتأكد من هذه المعلومات ثم الاتصال به مرة أخرى . وبعد عشر دقائق اتصل أحد المساعدين بمستشار الأمن القومى وأكد له صحة المعلومات الأولية حول اندلاع الحرب فى الشرق الأوسط ورد روستو قائلا (حسنا سوف أحضر فورا ارسلوا لى سيارة من البيت الأبيض) .

وبينما كانت السيارة تنطلق فى شوارع واشنطن الخالية من المارة فى هذا الوقت المبكر من الصباح كان روستو يحاول ترتيب أفكاره والإجابة على بعض التساؤلات الهامة وكان أبرزها التأكد من الكيفية التى بدأت بها الحرب فى الشرق الأوسط وهل يجب إيقاظ الرئيس جونسون فورا أم الانتظار للتأكد من بعض النقاط . وصلت السيارة التى تقل مستشار الأمن القومى إلى سان بنسلفانيا ودخلت من بوابة البيت الأبيض الساعة الثالثة وخمس وعشرين دقيقة صباحا وبمجرد أن دخل روستو مكتبه اتصل بزير الخارجية الأمريكى دين راسك الذى كان ما زال بمنزله وبادره قائلا (أعتقد أنك تلقيت النبأ) ورد راسك بالإيجاب واتفق مستشار الأمن القومى مع وزير الخارجية على أنه إذا كانت الحقائق تؤكد صحة النبأ كما وصلهما فلابد من إيقاظ الرئيس جونسون خلال ساعة . وسرعان ما بدأت تقارير أجهزة المخابرات الأمريكية تتوالى مشيرة إلى أن عددا من المطارات العربية تبدو وقد توقفت عن العمل وأن الإسرائيليين يضغطون بقسوة وبسرعة على القوات الجوية المصرية . كان والت روستو يجلس على منضدة اجتماعات فى غرفة متابعة الموقف بالبيت الأبيض حيث علقت على الجدار خريطة لفيتنام والتقط روستو سماعة التليفون وقال : أريد الاتصال فورا بالرئيس وأرجو إيقاظه من النوم . وسرعان

ما كان الرئيس ليندون جونسون على الخط قائلا (نعم) ورد وزير الخارجية بقوله : (سيدى الرئيس لدى التقرير التالى : وصلتنا معلومات بأن الحرب قد نشبت بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة) ثم أعطى راسك السماعة لمستشار الأمن القومى الذى ظل لمدة ٧ دقائق يبلغ جونسون بتفاصيل المعلومات التى وصلت إليهم حول انفجار الموقف فى الشرق الأوسط .

فى نفس الوقت تقريبا فى تل أبيب كان أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل يستدعى وول وورث باربر السفير الأمريكى لدى إسرائيل لاجتماع عاجل فى مكتبه وخلال هذا الاجتماع أضاف أبا إيبان ستارا أكبر من الأكاذيب الإسرائيلية حول أنشطة إسرائيل ونواياها فى تلك اللحظات ، اتهم أبا إيبان مصر بأنها هى التى بدأت الحرب . وعلى الفور بعث السفير الأمريكى برقية سرية إلى واشنطن نقل فيها ما أبلغه به أبا إيبان ونصه : (فى ساعة مبكرة من صباح اليوم رصد الإسرائيليون وحدات عسكرية مصرية تتحرك بأعداد كبيرة نحو حدود إسرائيل وفى واقع الأمر اخترقت قوة مصرية كبيرة الأراضى الإسرائيلية واشتبكت مع القوات الإسرائيلية ونتيجة لذلك أصدرت حكومة إسرائيل أوامرها لقواتها بالهجوم) وأكد أبا إيبان للسفير الأمريكى أن حكومة إسرائيل تعتزم التقدم باحتجاج لمجلس الأمن على هذا العمل المصرى وقال ابا ايبان صراحة (إن إسرائيل هى ضحية عدوان عبد الناصر) .

بعد ذلك استمر أبا إيبان فى الكذب حول أهداف إسرائيل التى كانت فى واقع الأمر هى الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من الأرض .

وأكد أبا ايبان أن حكومة إسرائيل ليست لديها النية فى الاستفادة

من الموقف الراهن لتوسيع أراضيها وأن آمال السلام يمكن أن تتحقق فى إطار الحدود الحالية أى حدود ٤ يونيو . وأخيراً وبعد ساعة كاملة من الخداع الإسرائيلى طلب أبا إيبان من السفير الأمريكى أن تقف الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتى لصالح إسرائيل . وعلق السفير الأمريكى على ذلك بقوله إن أبا إيبان يطلب مساعدتنا فى تحجيم وتقييد أى مبادرة أو تحرك سوفيتى . وتلقى البيت الأبيض هذه الرسالة من الساعة الخامسة وثمان وخمسين دقيقة من صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وبعد ساعتين تلقى البيت الأبيض رسالة بالشفرة من موسكو عبر الخط الأحمر وقام أحد مترجمى البيت الأبيض وهو ضابط خبير باللغة الروسية بترجمة البرقية وبعث بها إلى وزارة الخارجية حيث قام مترجم آخر بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية ثم اتفق الخبيران بعد ذلك على نص نهائى لترجمة البرقية .

كانت مثل هذه البرقيات من واشنطن وموسكو تتم عن طريق جهاز يشبه التلكس ويتم استخدامه فى الظروف الطارئة وكانت آخر مرة تستخدم هذه الوسيلة للاتصال بين البيت الأبيض والكرملين فى الساعة ٦,٣٠ من صباح ٣٠ أغسطس ١٩٦٣ خلال ازمة الصواريخ الكوبية .

كانت الرسالة التى بعثت بها موسكو إلى واشنطن فى صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ موجهة من رئيس الوزراء الروسى إليكس كوسيجن إلى الرئيس الأمريكى ليندون جونسون وكان نصها :

(عزيزى السيد الرئيس ، بعد تلقى معلومات حول الاشتباكات العسكرية بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة فإن الحكومة السوفيتية مقتنعة بأن واجب كل القوى الكبرى هو العمل على ضمان

الوقف الفورى للعمليات العسكرية . وقد عملت الحكومة السوفيتية وسوف تعمل مستقبلا من أجل تحقيق هذا الهدف . ونحن نأمل أن تعمل حكومة الولايات المتحدة أيضا بنفس الطريقة وأن تمارس التأثير الملائم على حكومة إسرائيل خاصة وأن لديكم كل الوسائل لتحقيق ذلك . وهذا أمر يعد من صميم مصلحة السلام .. توقيع مع الاحترام أ. كوسيجين) .

بمجرد أن انتهى مترجم الرئاسة الأمريكية من ترجمة هذه البرقية سلمها إلى الجنرال المسئول عن (غرفة الحرب) الذى اتصل على الفور بوزير الدفاع روبرت مكنمارا الذى كان مكتبه فى الأدوار العليا من المبنى . وكان مكنمارا قد وصل إلى مكتبه قبل ساعة تقريبا عندما أبلغ تليفونيا بالرسالة التالية (رئيس الوزراء كوسيجين على الخط الأحمر ويطلب التحدث إلى الرئيس فماذا نقول له ؟) ورد مكنمارا على الجنرال قائلا (لماذا تتصل بى) قال الجنرال (لأن تليفون الخط الأحمر موجود فى البنتاجون) وقد اعترف مكنمارا بعد ذلك بأنه لم تكن لديه فكرة بأن تليفون الخط الأحمر مع موسكو موجود قرب مكتبه فى البنتاجون .

وقال مكنمارا (إذاً حولوا المكالمة إلى البيت الأبيض وسوف أتصل بالرئيس) .

ونظرا لأن مكنمارا لم يكن موجودا فى الساعات الأولى فى البيت الأبيض ولا يعلم أنه تم ايقاظ الرئيس فقد افترض أن جونسون مازال نائما ورغم ذلك أمر بتحويل المكالمة إلى البيت الأبيض وعندما دق جرس التليفون رفع أحد أفراد الحرس للبيت الأبيض السماعة وقال لوزير الدفاع (إن الرئيس نائم الآن وهو لا يحب أن يوقظه أحد) ولم يكن هذا الحارس أيضا يعلم أن جونسون قد استيقظ بالفعل الساعة

٤ صباحا وأنه يناقش الأزمة ورد مكنمارا (اعرف ذلك) ولكن ايقظوه. وعندما تلقى جونسون المكالمة قال له مكنمارا (سيدى الرئيس إن الخط الأحمر مفتوح وكوسيجين يريد التحدث إليك فماذا نقول له !) ورد جونسون قائلا (يا إلهى ماذا يجب أن نقول) وطرح مكنمارا على الرئيس فكرة بقوله (اقترح أن نبلغه بأنك سوف تكون فى غرفة متابعة الأزمات خلال ١٥ دقيقة . وفى نفس الوقت سوف اتصل بدين راسك ويلتقى بك هناك) .

وخلال نصف ساعة كانت أجهزة الاتصال الأمريكية تنقل رسالة من جونسون إلى كوسيجين مفادها أن الولايات المتحدة لا تعتزم التدخل فى الصراع . وخلال الأسابيع القليلة التالية ارسلت واشنطن بحوالى ١٢ رسالة أخرى إلى موسكو عبر الخط الأحمر .

وبينما كانت الطلقات الأولى فى الحرب تدوى عبر صحراء سيناء كانت وكالة الأمن القومى تتابع الموقف فى المنطقة وكان مركز للتنصت على متن طائرة من طراز سى – ١٣٠ تابعة للسلاح الجوى الأمريكى يحلق شرق البحر المتوسط قرب السواحل المصرية والإسرائيلية . وقد هبطت الطائرة بعد ذلك فى قاعدتها بإحدى القواعد اليونانية التى تشغل جزءا من مطار أثينا الدولى ومعها تغطية كاملة للساعات الأولى من الحرب . وتم نقل شرائط التسجيل والأفلام التى حملتها الطائرة إلى مركز تحليل المعلومات الذى كانت وكالة الأمن القومى تطلق عليه اسما كوديا هو يو اس ايه –٥١٢ جيه . وكان قد تم تأسيس هذا المركز قبل حوالى عام بواسطة مكتب أمن القوات الجوية الأمريكية الذى كان بمثابة الذراع الجوى لوكالة الأمن القومى وكانت مهمته تحليل المعلومات وفك الشفرات والبرقيات السرية التى تحصل عليها طائرات التجسس الأمريكية فى منطقة البحر الأبيض وشمال إفريقيا

والشرق الأوسط . ولسوء الحظ لم يكن بوسع الخبراء بهذا المركز الاستماع لأشرطة الساعات الأولى من حرب يونيو نظرا لعدم وجود مترجمين للغة العبرية ولذلك أرسلت وكالة الأمن القومى فريقا من مترجمين اللغة العبرية إلى أثينا . ومن أجل إخفاء طبيعة مهمة هؤلاء الخبراء وتجنب عواقب التجسس على إسرائيل كانت وكالة الأمن القومى تشير إلى مترجمى اللغة العبرية لديها باعتبارهم من مترجمى اللغة العربية . بمجرد وصول المعلومات الأولية حول الحرب لوكالة الأمن القومى تم إرسال برقية عاجلة إلى موقع التنصت التابع للاسطول الأمريكى فى ميناء روتا بأسبانيا . وكانت هذه القاعدة هى أهم موقع لانطلاق طائرات التجسس الأمريكية إلى منطقة الشرق الأوسط . وكان لدى هذه القاعدة أربع طائرات ضخمة من طراز اى سى - ١٢١ التى تشبه طائرات الركاب وكل طائرة منها مزودة بأربعة محركات قوية .وتعتبر هذه الطائرات مثالية فى أعمال التجسس نظرا لأنها بطيئة الحركة وتستطيع البقاء فى الجو لفترات طويلة تتراوح بين ١٢ ساعة و١٨ ساعة .

وبعد ساعات قليلة من تلقى هذه الرسالة انطلقت إحدى هذه الطائرات فى طريقها إلى أثينا حيث ستبدأ مهمتها وحيث كان قد تم إنشاء مركز طارىء لتحليل المعلومات بعد أن قرر مسئولو وكالة الأمن القومى أن يقوم هذا المركز بتحليل المعلومات والرسائل السرية التى ستحصل عليها طائرات التجسس فى المنطقة . وبعد أن هبطت الطائرات فى أثينا تم نقل أفراد طاقمها لفندق سيفيل بمنطقة إراكيلون قرب مطار أثينا وهو فندق يديره صديق نمساوى وسيدة يونانية تدعى زينا .

وقد ارتاح أفراد الطاقم كثيرا عندما علموا بأن مطبخ الفندق

والبار يعملان ٢٤ ساعة يوميا ولكن بمجرد وصولهم إلى ردهة الفندق تلقوا رسالة بأن عليهم القيام بمهمة فى أسرع وقت ممكن ولم يصدق أفراد الطاقم بأنهم يبدأون على الفور مهمتهم التى ستقودهم لمنطقة القتال وسط ظلام الليل .

وبعد ساعات كانت الطائرة أى سى - ١٢١ تنطلق شرقا وتخترق السماء المظلمة . وفى الظروف العادية فإن الرحلة من أثينا إلى منطقة العمليات فى شرق المتوسط تستغرق فترة زمنية تتراوح بين ٢ إلى ٣ ساعات . وبمجرد وصول الطائرة إلى شرق المتوسط كان يتعين عليها أن تحلق على مسافة تتراوح بين ٢٥ و ٥٠ ميلاً من السواحل المصرية والإسرائيلية وعلى ارتفاع ما بين ١٢٠٠٠ و ١٨٠٠٠ قدم .

وكانت منطقة عمل الطائرة تغطى مساحة من شمال شرق الاسكندرية فى مصر شرقا نحو بورسعيد وسيناء وحتى العريش بعد ذلك تتجه نحو الشمال الشرقى على طول الساحل الإسرائيلى إلى نقطة تقع غربى العاصمة اللبنانية بيروت ثم تعود مرة أخرى وهكذا بشكل مستمر . وفى نفس الوقت كان من المفروض أن تحلق طائرة تجسس أمريكية أخرى من طراز أى إيه ٣ بى على ارتفاع أعلى يتراوح بين ٣٠٠٠٠ و ٣٥٠٠٠ قدم .

فى تلك الليلة كان على متن طائرة أى سى - ١٢١ أحد كبار ضباط البحرية الأمريكية وهو مارڤين نويكى الذى كان يتميز بإجادته التامة للغتين العبرية والروسية . ويقول نويكى عن هذه الليلة (اتذكر أنها كانت ليلة معتمة تماما السماء كانت سوداء كالحة بلا قمر وبلا نجوم وبلا أى شىء . وقد رأى قائد المهمة أن من الأفضل أمنيا للطائرة أن تتجنب الطريق المعتاد والمرسوم لها لأنه فى حالة التوجه شرقا بموازاة ساحل مصر نحو إسرائيل فسوف تظهر على الرادار

للإسرائيليين وكأنها طائرة مهاجمة قادمة من مصر .

وبدلا من ذلك قرر قائد المهمة أن يحلق بين جزيرتي كريت وقبرص ثم يتجه نحو العريش في سيناء عبر أحد الممرات الجوية التي تستخدمها الطائرات المدنية وعند الوصول إلى نقطة تبعد ٢٥ ميلا شمال شرق العريش يتخذ وضعه الملائم لخطة الرحلة الأصلية ويبدأ مهمته . كان طاقم الطائرة وخبراء التنصت والاستطلاع الجوى يشعرون بالضيق ويسألون عن سبب تواجدهم وسط منطقة عمليات عسكرية وخلال ساعات الصباح الأولى كانت الطائرات الإسرائيلية عائدة إلى قواعدها بعد توجيه ضرباتها لإعادة التسلح والتزود بالوقود استعدادا لهجمات اليوم التالى وبينما كان العرب يعدون أنفسهم للهجمات الإسرائيلية التالية ويفكرون في شن هجوم مضاد على الإسرائيليين بدأت أجهزة التقاط الرسائل والبرقيات على متن الطائرة تؤدى عملها وتعترض اتصالات مكثفة معظمها من الجانب الإسرائيلى حيث كان الإسرائيليون يبدأون اليوم الثانى من هجماتهم وأخذ خبراء اللغة العبرية يلتقطون ويلخصون الرسائل المتبادلة بين الطيارين الإسرائيليين بينما كان بعض أعضاء الطاقم الآخرين يحاولون الربط بين هذه المعلومات وبين الإشارات التى تلتقطها أجهزة الرادار الموجودة على متن الطائرة .

وأشارت سجلات وكالة الامن القومى إلى أن المصريين شنوا هجوما جويا فاشلا على لواء مدرع إسرائيلى كان يتقدم شمالى سيناء حيث اسقطت الطائرات المصرية بواسطة طائرات الميراج الإسرائيلية . وسجلت طائرة التجسس الأمريكية فى المنطقة انفجار طائرة مصرية من طراز سوخوى ٧ فى الجو . وبعد ساعات من متابعة العمليات العسكرية والهجمات الإسرائيلية كان يتعين على

الطائرة أى سى ١٢١ أن تعود إلى أثينا للتزود بالوقود بينما توجهت طائرة أخرى من طراز سى ١٣٠ تابعة للسلاح الجوى الأمريكى لتحل محلها فى المنطقة وتقوم بمهمة الاستطلاع الجوى والتنصت على الاتصالات .

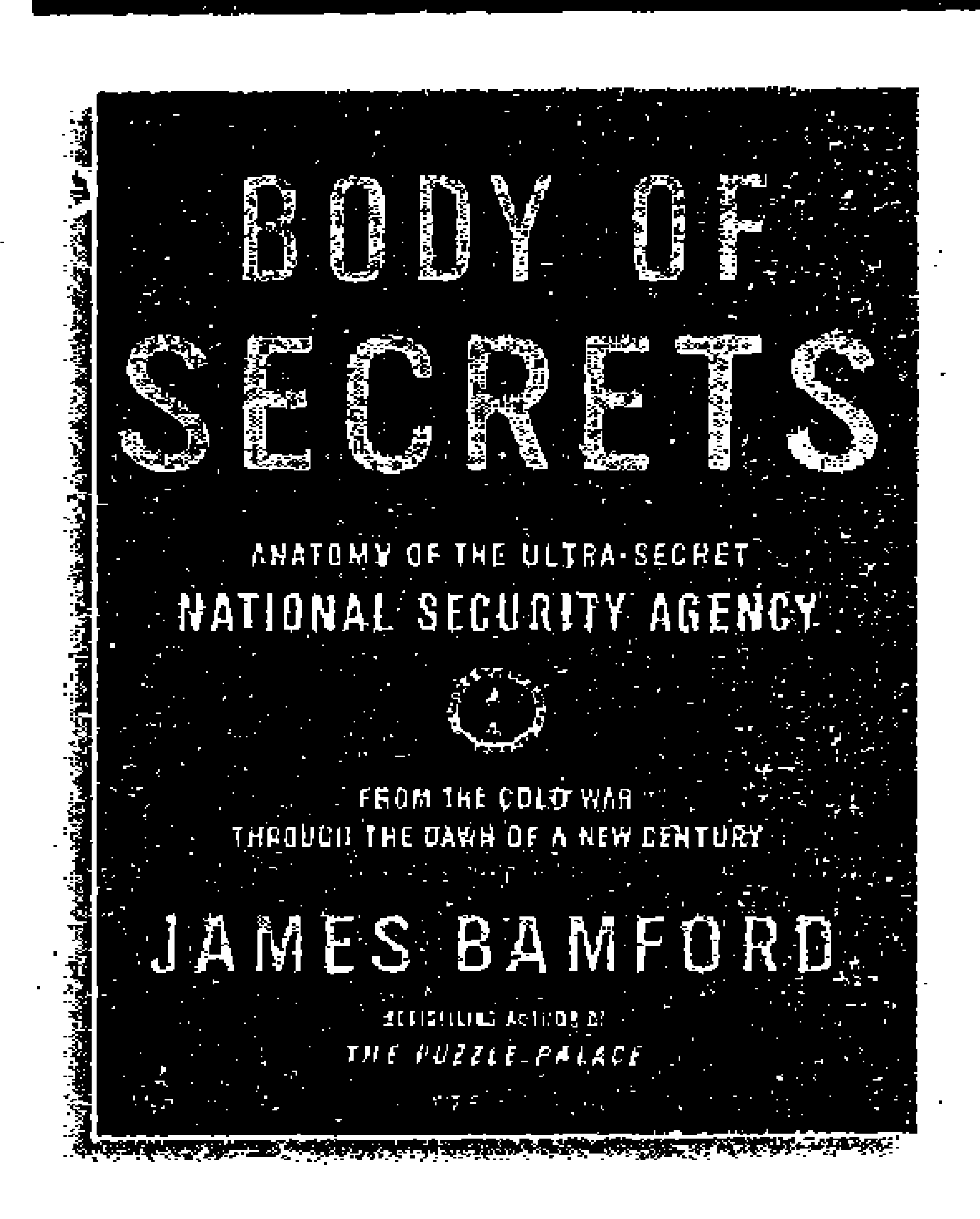
أما فى البحر الأبيض المتوسط فقد كانت السفينة ليبرتى تندفع وسط الأمواج متجهة نحو منطقة الحرب . وكان الاسطول الأمريكى قد أرسل تحذيرا إلى جميع السفن والطائرات فى المنطقة بالابتعاد لمسافة ١٠٠ ميل بحرى على الأقل من سواحل لبنان وسوريا وإسرائيل ومصر . ولكن ليبرتى كانت سفينة تجسس لا تنطبق عليها هذه التحذيرات وما لم تتلق أوامر محددة لتغيير مسارها فإن قائدها ماك جوناجل سيواصل إبحاره بأقصى سرعة نحو منطقة العمليات المحددة له سلفا . فى نفس الوقت كان الاتحاد السوفيتي قد حشد اسطوله وكانت حوالى ٢٠ سفينة حربية و٨ غواصات سوفيتية تبحر نحو منطقة الحرب شرقى المتوسط .

وقد شعر بعض المسئولين فى وكالة الأمن القومى الأمريكية بالقلق على السفينة ليبرتى لدى علمهم بتفجر القتال فى الشرق الأوسط رغم أن مسئولية سلامة السفينة كان قد تم نقلها من وكالة الأمن القومى إلى رئاسة الأركان الأمريكية المشتركة التى كلفت مركز الاستطلاع المشترك بمتابعة السفينة أثناء مهمتها شرقى المتوسط . ورغم ذلك ابلغ أحد مسئولى وكالة الأمن القومي جون كونيل ممثل رئاسة الأركان المشتركة فى الوكالة بواقعة حدثت من قبل وذلك على سبيل التحذير وكانت هذه الواقعة قد جرت خلال ازمة الصواريخ الكوبية قبل ٥ سنوات عندما تم سحب السفينة اكسفورد من ميناء هافانا وسأله إذا ما كان هناك أى تفكير فى تكرار نفس الموقف مع السفينة ليبرتى .

وقد اتضح أن هذه الفكرة غير واردة وقد تقدم بعض مسئولى وكالة الأمن القومى باحتجاج على تواجد السفينة ليبرتى فى منطقة الخطر وطالبوا بسحبها على الأقل لمسافة أبعد من سواحل مصر وإسرائيل بحيث تتواجد قرب جزيرة كريت حيث تستطيع القيام بنفس المهمة . ومع تصاعد مثل هذه الاحتجاجات بدأ بعض المسئولين فى رئاسة الأركان المشتركة يفكرون فى سلامة السفينة ليبرتى خاصة بعد أن بدأ المصريون يطلقون الاحتجاجات ويشتكون من أن أفرادا امريكيين يتصلون سرا بإسرائيل ويزودونها بمساعدات عسكرية . وقد اتهمت مصر الطائرات الأمريكية أيضا بالمشاركة فى الضربات الجوية الإسرائيلية . وأثارت هذه الاتهامات المصرية قلق المسئولين الأمريكيين بشدة خوفا من أن يؤدى ذلك إلى استفزاز السوفييت ودفعهم للإقدام على رد فعل ما .

ونتيجة لذلك بدأت التساؤلات حول مدى حكمة المهمة التى تقوم بها ليبرتى فى المنطقة . واسفر ذلك عن ارسال برقية من مركز الاستطلاعات المشترك إلى وكالة الأمن القومى تؤكد أن منطقة العمليات للسفينة ليبرتى ليست مقدسة وتقرر إبعاد السفينة لمسافة تتراوح بين ١٢,٥ و ٢٠ ميلا بحريا عن الساحل . ولكن مع صدور هذا القرار كانت الساعة حوالى ٦,٣٠ مساء فى واشنطن والثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل أى بعد نصف ساعة من بدء يوم ٨ يونيو . وكانت ليبرتى قد دخلت بالفعل إلى منطقة العمليات التى حددت لها من قبل والتى كانت قريبة جدا من الساحل كما أن البرقية الأخيرة التى طلبت منها الابتعاد لمسافة ٢٠ ميلا بحريا لم تصل إليها بكل أسف نتيجة خطأ ارتكبه مركز الاتصالات العسكرى الأمريكى فى وزارة الدفاع (البنتاجون) .

الفصـــل الخامس



جـــرائم إســرائيل ومــذابح الأســرى !

• بحلول يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ ، أى بعد ثلاثة أيام من شن إسرائيل للحرب ، أصبح الأسرى المصريون يمثلون مشكلة لإسرائيل .. لم يكن هناك مكان لاحتجازهم فيه .. ولم يكن هناك ما يكفى من الجنود الإسرائيليين لحراستهم .. ولا سيارات تكفى لنقلهم إلى معسكرات الاعتقال .. ورغم ذلك ، كانت هناك طريقة إسرائيلية أخرى للتعامل مع هؤلاء الأسرى المصريين هى قتلهم فى مذابح إجرامية ستظل إلى الأبد تشكل وصمة عار على جبين إسرائيل .. •

فى الساعة الخامسة وأربع عشرة دقيقة من صباح الخميس ٨ يونيو كانت أول أشعة للشمس تسقط على موجات الرمال الصفراءفى سيناء وعلى مسافة تزيد قليلا على ١٢ ميلا إلى الشمال وبالتحديد فى منطقة شرق البحر المتوسط كانت سفينة التجسس الأمريكية ليبرتى تواصل إبحارها شرقاً وكأنها شخص برىء تائه لا يعرف الأخطار المحيطة به وفى ذلك الموقع كانت ليبرتى على مسافة ٦٠٠ ميل من أقرب قاعدة يمكن أن تتلقاها فى حالة تعرضها للخطر . وقد صدرت خمس رسائل تحذير من وكالة الأمن القومى ورئاسة الأركان الأمريكية المشتركة لليبرتى بالابتعاد عن سواحل مصر وإسرائيل لمسافة لا تقل عن مائة ميل ولكن بكل أسف كل هذه الرسائل لم تصل إليها لسبب أو لآخر تماما كما حدث لرسائل التحذير التى حددت موعد الهجوم اليابانى على الأسطول الأمريكى فى ميناء بيرل هاربور . كان برنامج عمل ذلك اليوم على السفينة ليبرتى عاديا ولا يشير إلى الكارثة التى تنتظرها .

وبعد فترة قصيرة من شروق الشمس لاحظ الضابط المناوب جون سكوت إحدى الطائرات تحلق فوق السفينة فى دوائر ثم تنطلق فى اتجاه تل أبيب .. والتقطت مواقع التنصت التابعة لوكالة الأمن القومى الأمريكى إشارات من هذه الطائرة التى تم التعرف عليها بعد ذلك

على أنها طائرة إسرائيلية واتصلت الوكالة بالضابط المناوب على السفينة وسأله عما إذا كان لاحظ اقتراب إحدى الطائرات ورد بالايجاب وقال إنها انطلقت فى اتجاه تل أبيب . ونظر الضابط المناوب سكوت إلى العلم الأمريكى الذى يرفرف على ظهر السفينة وهو يشعر بالاطمئنان لاعتقاده بأنه ما دامت الطائرة الإسرائيلية قد رأت العلم الأمريكى فلا خطر على السفينة وقال لنفسه (ياله من صباح رائع).

ولكن هذا الهدوء كان خادعاً كالرمال المتحركة. وبينما كانت ليبرتى تبحر أمام مدينة العريش كان أفراد طاقمها يرون الشاطىء بوضوح على مدى البصر وعلى ارتفاع ٤ آلاف قدم فوق ليبرتى كانت هناك طائرة استطلاع إسرائيلية اتصل قائدها بمركز المراقبة فى مقر الأسطول الإسرائيلى ليبلغه بأن ما يراه بوضوح هو الحروف المكتوبة على جانبى السفينة وهى (جى تى آر فايف) وهى التى تحدد هوية السفينة ليبرتى وهذه الحروف اختصار لعبارة المركز العام للأبحاث الفنية وهو الاسم الكودى لاسطول سفن التجسس التابعة لوكالة الأمن القومى الأمريكى . وبعد أن عبرت السفينة ليبرتى أمام العريش واصلت طريقها نحو قطاع غزة . وحتى الساعة ٨,٣٠ صباحا استدارت ليبرتى بطريقة غريبة وبزاوية تكاد تصل إلى ١٨٠ درجة لتعود مرة أخرى فى اتجاه العريش وابطأت سرعتها . إلى خمس عقد فقط وكان السبب فى هذه المناورة التى قامت بها السفينة إلى أنها وصلت إلى النقطة (الفا) التى تمثل أقصى نقطة فى منطقة عملياتها ويتعين عليها أن تعود فى الاتجاه الآخر .

وقد أحس الكابتن ماك جوناجل قائد السفينة ليبرتى فى بعض الفترات بالقلق من اقتراب السفينة من الساحل واحتمال أن تتعرض للخطر لذلك سأل مساعده ديفيد لويس رئيس عمليات وكالة الأمن

القومى على السفينة عما إذا كان ابتعادها قليلا عن الشاطىء يمكن أن يؤثر على مهمتها .

ورد لويس بالايجاب قائلا أن ذلك لن يتيح لهم التقاط الاتصالات والبرقيات والترددات المطلوبة وسوف تفقد السفينة ٨٠٪ من قدرتها على أداء مهمتها .

لذلك قال قائد السفينة (حسنا سوف نمضى فى طريقنا) .

وقد تكررت طلعات الاستطلاع الإسرائيلية فوق السفينة كل ٣٠ دقيقة تقريبا خلال ذلك الصباح . وفى إحدى المرات اقتربت إحدى الطائرات الإسرائيلية للغاية فوق السفينة ثم عادت مرة ثانية متجهة إلى سيناء ويقول أحد أفراد طاقم ليبرتى ويدعى لارى ويفر (لقد شاهدنا نجمة داوود ضخمة بوضوح فوق هذه الطائرة والتى كاد جناحها أن يصطدم بالسفينة ثم اتجهت بعد ذلك إلى سيناء) . ويقول ويفر أنه لوح بيده لمساعد الطيار الذى كان يجلس على الجهة اليمنى من الطائرة ورد عليه مساعد الطيار الإسرائيلى بالتلويح أيضا وهو يبتسم .

لم يكن أفراد طاقم ليبرتى يشعرون بالخطر من اقتراب الطائرات الإسرائيلية لتأكدهم بأن إسرائيل دولة حليفة لأمريكا .

وفى الساعة ٩,٣٠ صباحاً كان بوسع أفراد طاقم السفينة ليبرتى رؤية مئذنة مسجد العريش بالعين المجردة وكأنها صارى مركب وحيد وسط بحر من الرمال . كانت الرؤية شديدة الوضوح لمسافة ٢٥ ميلا أو أكثر وباستخدام النظارات المكبرة كان يمكن رؤية مبانى العريش .

فى تلك اللحظات بالتحديد وبالقرب من مئذنة مسجد العريش كان هناك مشهد مروع وكانت القوات الإسرائيلية ترتكب مذبحة إجرامية . فمنذ اللحظة الأولى للهجوم الإسرائيلى المفاجىء كانت القوات الجوية

الإسرائيلية قد احكمت سيطرتها على سماوات الشرق الأوسط .

وخلال الساعات الأولى من الهجوم كانت الطائرات الحربية الإسرائيلية قد دمرت ٢٥ قاعدة جوية عربية تمتد من دمشق فى سوريا وحتى مطار مصرى كان مكدسا بقاذفات القنابل أعلى النيل فى الأقصر . بعد ذلك استخدم الإسرائيليون المدافع الرشاشة ونيران المورتار والدبابات وسلاح الطيران واستولت آلة الحرب الإسرائيلية على القطاع العربى من مدينة القدس بالاضافة إلى الضفة الغربية لنهر الأردن وتمكنت زوارق الطوربيد الإسرائيلية من الاستيلاء على شرم الشيخ فى البحر الأحمر .

وفى سيناء اندفعت الدبابات وناقلات الجنود المدرعة الإسرائيلية نحو قناة السويس عبر الطرق الثلاث التى تخترق الصحراء .. وحول الإسرائيليون الرمال الملتهبة إلى منطقة للقتل الجماعى . وقدر أحد الجنرالات الإسرائيليين خسائر المصريين بما يتراوح بين ٧٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ قتيل بالمقارنة مع ٢٧٥ قتيلا بين القوات الإسرائيلية . وبينما كانت القوات الإسرائيلية تندفع فى سيناء كانت وحدة هندية من قوات حفظ السلام الدولية ترفع علم الأمم المتحدة على سياراتها وهى فى طريقها إلى غزة . والتقت هذه الوحدة مع طابور مدرع إسرائيلى على الطريق .

وعندما اقترب الإسرائيليون التزمت سيارات الأمم المتحدة بجانب الطريق لتتيح لها المرور ولكن إحدى الدبابات الإسرائيلية وجهت مدفعها من مسافة قريبة جداً لا تتجاوز عدة أقدام نحو إحدى السيارات الدولية وفتحت النار ثم اقتربت لتهبط بماسورة المدفع فوق الزجاج الأمامى للسيارة الجيب وبداخلها جنود دوليون من الهند وسحقتها تماماً . وعندما توجهت مجموعة من الجنود الهنود لمساعدة

رفاقهم فى السيارة الأولى حصدتهم نيران المدافع الرشاشة الإسرائيلية .

وبعد ذلك قامت دبابة إسرائيلية أخرى بإدخال ماسورة مدفعها إلى إحدى السيارات الدولية ورفعتها فى الهواء ثم سحقتها على الأرض لتقتل وتصيب كل من كان فيها . وفى مدينة غزة قصفت الدبابات الإسرائيلية مقر الأمم المتحدة الذى كان يرتفع فوقه علم المنظمة الدولية مما أسفر عن مصرع ١٤ من الجنود الدوليين . ووصف أحد العسكريين الهنود فى المنطقة ما فعله الإسرائيليون معهم بقوله إنه جريمة قتل بدم بارد مع سبق الاصرار والترصد راح ضحيتها جنود دوليون عزل من السلاح . ولكن ما فعلته القوات الإسرائيلية مع الجنود الدوليين فى سيناء كان مجرد مؤشر على ما سيفعله الإسرائيليون بعد ذلك .

بحلول يوم ٨ يونيو أى بعد ثلاثة أيام من شن إسرائيل للحرب أصبح الأسرى المصريون مصدراً لضيق الإسرائيليين . فلم يكن هناك مكان لاحتجازهم فيه ولم يكن هناك ما يكفى من الجنود الإسرائيليين لمراقبتهم ولا سيارات كافية لنقلهم لمعسكرات الاعتقال ولكن كانت هناك طريقة أخرى للتعامل معهم !

وبينما كانت السفينة ليبرتى على مرمى البصر من العريش تقوم بالتقاط الاتصالات فى هذه المنطقة قام الجنود الإسرائيليون بتحويل هذه المدينة إلى سلخانة لذبح أسراهم المصريين بشكل منظم . وفى ظل مسجد العريش ، قام الجنود الإسرائيليون بصف حوالى ٦٠ أسيرا مصريا عزل من السلاح وربطوا أيديهم وراء ظهورهم ثم فتحوا عليهم نيران المدافع الرشاشة حتى تحول لون رمال الصحراء الأصفر الباهت إلى لون الدم الأحمر القانى بعد ذلك أجبر الجنود

الإسـرائيليـون مـجـمـوعـة أخرى من الأسـرى المصـريين على دفن ضحاياهم فى قبور جماعية .

ويقول أحد شهـود العيان على هذه الجريمـة : (شاهدت بعينى صـفـا من الأسـرى المصـريين المدنيين والعسكريين الذين أمـرهم الإسرائيليون بحفر القبور ثم أطلقوا عليهم النار دفعة واحدة وطلبوا من الباقين أن يهيلوا عليهم الرمال) .

وعلى مسافة قريبة كانت مجموعة أخرى من الجنود الإسرائيليين تقتل ٣٠ أسيرا مصريا ثم طلبوا بعد ذلك من بعض البدو تغطيتهم بالرمال .

وفى حادث آخر بالعريش يقول الصحفى الإسرائيلى « جابى برون » : إنه شـاهد ١٥٠ أسـيـرا مـصـريا يجلسـون على الأرض ويتكدسـون فوق بعضهم وقد وضـعوا ايديهم وراء أعناقـهم . ثم أمر الإسرائيليون أسرى الحرب بحفر قبور وبعد ذلك أطلقوا عليهم النار وقـتلوهم . ويضـيف « جـابى برون » قـائلا : (لقـد شـاهدت هذه الإعدامات بأم عينى فى صباح الثامن من يونيو ١٩٦٧ بمنطقة مطار العريش) .

ويقول المؤرخ العسكرى الإسرائيلى « إرين إسحاقى » والذى عمل فى إدارة تسجيل الوقائع التاريخية بالجيش الإسرائيلى بعد الحرب : قمت مع مجموعة من الضباط الآخرين بجمع شهادات عشرات الجنود الإسرائيليين الذين اعترفوا بقتل اسرى الحرب المصريين .

ويؤكـد المورخ العـسكرى الإسـرائيلى صـراحـة (أن القـوات الإسـرائيلية قـتلت بدم بارد حوالى ١٠٠٠ من الأسرى المصـريين فى سيناء بينهم ٤٠٠ فى منطقة الكثبان الرملية بالعريش) .

ومن المثير للسخرية أن « إيريل شارون » الذى كان يقود القوات

التى استولت على المنطقة جنوب العريش فى ذلك الوقت الذى حدثت فيه المذبحة كان قريبا للغاية من مواقع المذابح الأخرى التى ارتكبت فى مراحل مختلفة من الصراع العربى الإسرائيلى .

وقد اعترف أحد رجال شارون خلال حرب السويس عام ٥٦ وهو آرى بيرو وهو جنرال احتياطى الآن بأنه شارك فى قتل ٤٩ أسيرا مصريا فى سيناء دون أى مبرر عام ٥٦ .. ويقول بيرو عن هذه المذبحة الإجرامية (كنت أحمل سلاحى وهو رشاش من طراز كرل جوستاف الذى حصلت عليه من أحد المصريين أما زميلى الضابط الإسرائيلى الآخر فكان يحمل رشاشا إسرائيليا من طراز عوزى وكان الأسرى المصريون يجلسون على الأرض ووجوههم نحونا واقتربنا منهم بأسلحتنا وأخذنا نطلق عليهم النار وكلما فرغت خزائن الرصاص كنا نقوم باستبدالها . ولم يكن أمام الأسرى المصريين أى فرصة لابداء أى رد فعل) . ويقول بيرو بعد ذلك أنه شاهد الأسرى المصريين وهم يكادون يموتون من الظمأ وقام بصب المياه أمامهم على الرمال ثم قتلهم . وبكل صفاقة يقول الضابط الإسرائيلى القاتل (إذا كان هناك من يريد محاكمتى على ما فعلت فسوف يكون من الضرورى أن تحاكموا أيضا نصف الجيش الإسرائيلى على الأقل لأنهم فى ظروف مشابهة فعلوا ما فعلته . » .

أما ارييل شارون الذى يزعم أنه علم بمذابح الأسرى المصريين سنة ١٩٥٦ بعد حدوثها فقد رفض أن يقول ما إذا كان قد اتخذ أى إجراء ضد من تورطوا فى هذه الجرائم أو حتى أبدى اعتراضه على هذه المذابح .

وفى مرحلة تالية من حياته العسكرية بالتحديد عام ١٩٨٢ اعتبر أرييل شارون مسئولا بشكل (غير مباشر) عن ذبح ٩٠٠ طفل وامرأة

ورجل بأيدى الميليشيات المسيحية اللبنانية فى مخيم صابرا وشاتيلا للاجئين بعد الغزو الإسرائيلى للبنان . ورغم ماضيه الرهيب والمروع ، وربما أيضا بسبب هذا الماضى ، تم تعيين شارون فى أكتوبر ١٩٩٨ وزيرا لخارجية إسرائيل فى الحكومة اليمينية برئاسة بنيامين ناتانياهو . وقد استولى شارون بعد ذلك على حزب الليكود المحافظ .

وفى ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠ أشعل أشد المواجهات الدموية بين القوات الإسرائيلية والفلسطينيين خلال جيل بأسره مما أسفر عن انهيار عملية السلام التى استمرت ٧ سنوات . وقد تفجرت هذه المعارك التى قتل خلالها مئات الفلسطينيين والعديد من الإسرائيليين فى أعقاب زيارة استفزازية قام بها شارون للحرم الشريف . وفى عام ١٩٩٥ قال شارون بخصوص قضية جرائم الحرب الإسرائيلية (إن إسرائيل لا تحتاج لذلك وليس بوسع أحد أن يقدم لنا المواعظ بشأنها : ليس بوسع أحد على الإطلاق) .

وبالنسبة لمذابح سيناء ١٩٦٧ يقول اربيل اسحاقى المؤرخ العسكرى الإسرائيلى « إن كل قيادات الجيش الإسرائيلى بما فى ذلك موشى دايان الذى كان وزيرا للدفاع وإسحاق رابين الذى كان رئيسا للأركان وغيرهم من جنرالات إسرائيل كانوا يعلمون بهذه المذابح ولم يعبأ واحد منهم بمجرد استنكارها أو إدانتها . ويمضى إسحاق قائلا إن هذه المذابح لم تكن فقط معروفة بل إن كبار المسئولين الإسرائيليين بذلوا أقصى ما بوسعهم للتغطية عليها من خلال حظر نشر تقرير قام بإعداده هو شخصيا حول هذه المذابح عام ١٩٦٨ .

لقد كانت جرائم الحرب الإسرائيلية واسعة النطاق مجرد أحد الأسرار الخطيرة التى سعت إسرائيل لإخفائها منذ بداية الصراع مع

العرب . فمنذ اللحظات الأولى لهذا الصراع كان هناك عنصر هام فى خطة المعركة الإسرائيلية وهو إخفاء أكبر قدر ممكن من تفاصيل الحرب وراء ستار كثيف من الأكاذيب التى نسجها الإسرائيليون بمنتهى العناية والدقة . أكاذيب حول التهديدات المصرية : أكاذيب حول من بدأ الحرب ! أكاذيب للرئيس الأمريكى ! أكاذيب لمجلس الأمن ! أكاذيب للصحافة ! أكاذيب للرأى العام . وهكذا وكما يقول الدكتور ريتشارد سميث المؤرخ بالبحرية الأمريكية فى مقال له حول حادث السفينة ليبرتى (إن أى وسيلة سعت لاختراق ستار الدخان الإسرائيلى الذى اطلقته إسرائيل حول ضباب الحرب الطبيعى ١٩٦٧ كان ولابد أن يتم إحباطها وتدميرها) .

ووسط هذا البحر من الأكاذيب والخداع والمذابح الإسرائيلية كانت سفينة التجسس الأمريكية يو اس اس ليبرتى تبحر . هذه السفينة التى يمكن وصفها بأنها مصنع ضخم للتجسس يحمل على متنه أحدث معدات وأجهزة التنصت والتى تصل قيمتها إلى ١٠,٢ مليون دولار .

وفى الساعة ١٠,٣٩ صباحاً كانت مئذنة مسجد العريش تلوح فى الأفق أمام بحارة ليبرتى على مسافة ١٧ ميلاً وكانت ليبرتى تبحر بسرعة ٥ عقد فى الساعة .

وبحلول الساعة ١٠,٥٥ دقيقة صباحا كان كبار المسئولين الإسرائيليين يعلمون على وجه اليقين بوجود سفن تجسس اليكترونى أمريكية بالقرب منهم حيث كانت السفينة مرئية تماماً بل وتم التعرف عليها بدقة من جانب قيادة الأسطول الإسرائيلى .

وقد نقل قائد إحدى طائرات الاستطلاع الإسرائيلية التى حلقت فوق ليبرتى كل المعلومات المتعلقة بها إلى بنحاس بن شاسنى ضابط

الاتصال البحرى فى قيادة القوات الجوية الإسرائيلية والذى اعترف بأنه نقل هذه المعلومات إلى قيادة الأسطول الإسرائيلى وأعرب عن اعتقاده بأن قيادة الأسطول الإسرائيلى تلقت نفس هذا التقرير من قنوات أخرى . وبمجرد أن تلقى بن شاسى هذه المعلومات عن السفينة ليبرتى قام بالتقاط موسوعة جينيس للسفينة الحربية فى العالم وبحث عن الرموز المكتوبة على جانبى السفينة وهى (جى تى آر - ٥) .

وتأكد من هويتها ثم أرسل بتقرير عنها إلى القائم بأعمال رئيس العمليات البحرية بقيادة الأسطول الإسرائيلى فى حيفا وقال التقرير صراحة إن السفينة التى تبحر بسرعة بطيئة أمام العريش هى سفينة مراقبة اليكترونية تابعة للاسطول الأمريكى اسمها ليبرتى . ولم تكن هذه الرموز فقط هى التى تحدد هوية السفينة الأمريكية بل كان اسمها مكتوبا بوضوح شديد وبحروف كبيرة ضخمة سوداء على جانبيها : (يو اس اس ليبرتى) . فى تلك الساعات من صباح ٨ يونيو ١٩٦٧ كانت طائرة الاستطلاع الأمريكية من طراز أى سى - ١٢١ تتجه من قاعدته فى أثينا إلى منطقة العمليات الحربية شرقى المتوسط وكان من المخطط أن يقوم سرب من طائرات تى كيو-٢ بمهام استطلاع يتراوح عددها بين ٦ إلى ١٢ طلعة شهريا فوق إسرائيل والدول العربية فى الشرق الأوسط وكان عدد هذه الطلعات يتزايد فى ظروف خاصة مثل إجراء مناورات بحرية سوفيتية فى البحر المتوسط .

وكانت المعلومات تتدفق على مركز تحليل المعلومات الأمريكى بمطار أثينا والذى تم دعمه بثلاثة مدنيين خبراء فى اللغة العبرية تابعين لوكالة الأمن القومى وكانت طائرات التجسس الأمريكية تلتقط

أى إشارة مهما كانت ضعيفة فى هذه المنطقة وتقدمها إلى مركز تحليل المعلومات لدرجة أن أحد خبراء وكالة الأمن القومى وصف ما تقوم به طائرات التجسس الأمريكية بما فى ذلك سى-١٣٠ بأنه كان أشبه بمكنسة كهربائية تقوم بشفط كل ما تجده فى طريقها .

وكان على متن طائرة أى سى -١٢١ التى انطلقت من اثينا إلى شرق المتوسط ٦ خبراء فى التنصت على الرادار وجمع المعلومات السرية . وكان هؤلاء الخبراء يقومون بتسجيل كل الإشارات والبرقيات السرية . وعند الظهر تقريبا كانوا قد وصلوا إلى منطقة عملياتهم حيث بدأت أجهزتهم تعمل بشكل مكثف لتلتقط تطورات المعارك والموقف على الأرض وكان من الواضح أن الإسرائيليين يقصفون المواقع السورية فى مرتفعات الجولان .

وعلى مسافة ٦٠ ميلا شمال تل أبيب كان يوجد مقر القيادة البحرية الإسرائيلية فى قاعدة جوية بريطانية سابقة بنيت فى العشرينيات فوق جبل الكرمل . كان هذا الموقع يعرف باسم ستيلاماريس وبه غرفة عمليات عسكرية على أحد جدرانها خريطة لإسرائيل وسواحلها البحرية موضح عليها مواقع جميع السفن فى المنطقة وفقا لتقارير الاستطلاع الجوى .

وكان الإسرائيليون يتابعون السفينة ليبرتى منذ ساعات الصباح المبكرة .

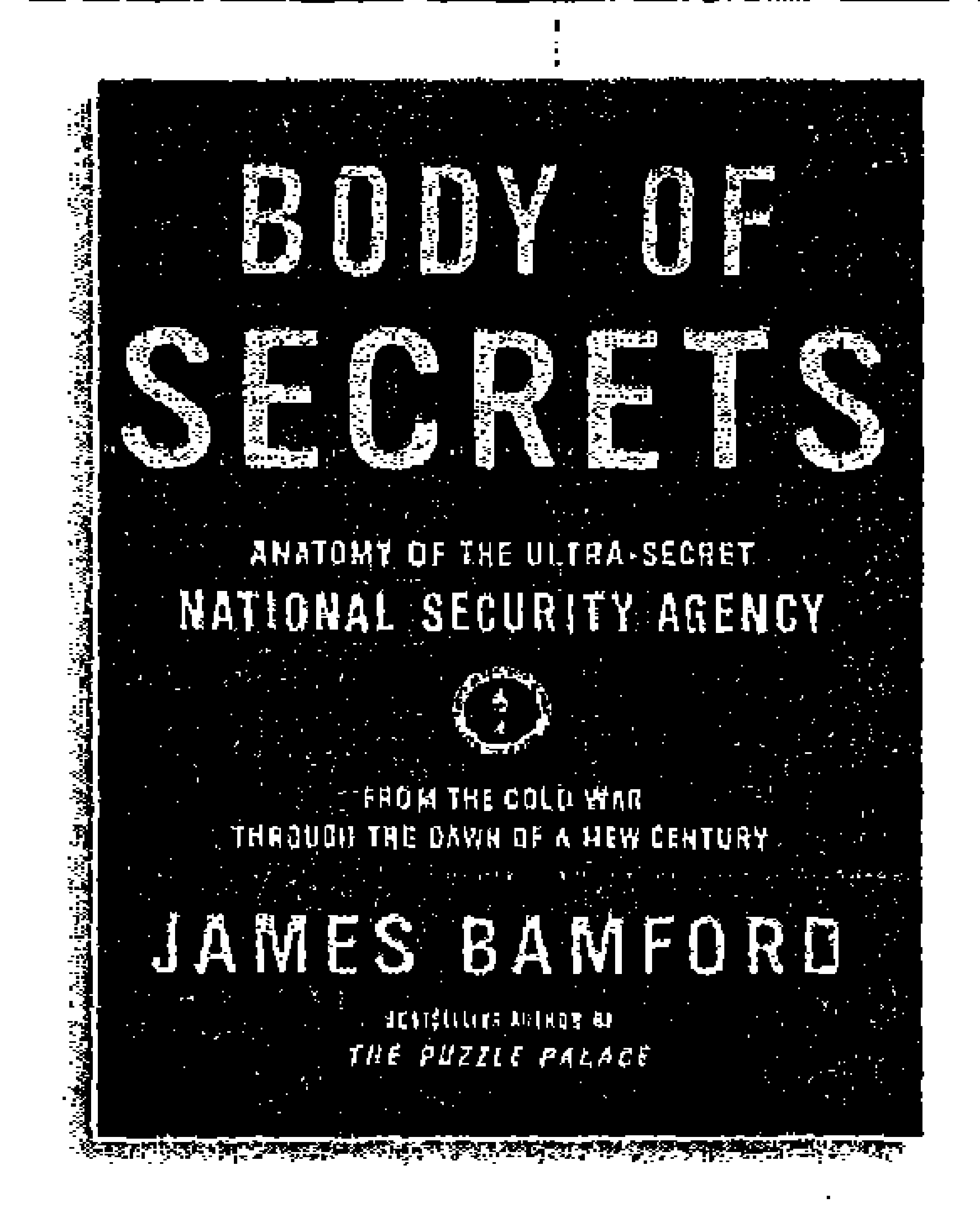
وبلغ عدد الطلعات الجوية فوق السفينة خلال الفترة من الخامسة صباحا وحتى بعد الظهر أكثر من ١٣ طلعة جوية .

وعند الظهر وبينما كانت ليبرتى أمام شاطىء العريش وبينما كانت مذابح إسرائيل تجرى ضد الأسرى المصريين تلقى الضباط الإسرائيليون فى ستيلا ماريس تقريراً من أحد قادة الجيش بأن

إحدى السفن تقصف القوات الإسرائيلية من البحر . ولكن ذلك كان مستحيلا . فالسفينة الوحيدة التى كانت تبحر قرب العريش كانت هى السفينة ليبرتى وكانت مهمتها هى التجسس والتنصت وليس إطلاق النار . وبالاضافة إلى ذلك فإن المدافع الرشاشة الأربعة الصغيرة من عيار ٥٠ مللى متر والتى كانت مخصصة على الدفاع عن ليبرتى لم تكن قادرة على الوصول بطلقاتها إلى الشاطىء الذى يبعد ١٣ ميلا ناهيك عن مبانى مدينة العريش حيث لم يكن مدى هذه المدافع يتجاوز ٢٢٠٠ ياردة أى حوالى ميل واحد فقط . أما السفينة نفسها فقد كانت سفينة نقل قديمة ترجع إلى الحرب العالمية الثانية ولا يمكن أن تشكل تهديداً لأحد سوى بالتنصت على الأسرار فقط .

فى ذلك الحين كانت القوات البحرية والجوية الإسرائيلية قد قامت بأكثر من ٦ ساعات من الاستطلاع القريب فوق السفينة ليبرتى أمام سواحل سيناء والتقطت الطائرات الإسرائيلية الصور للسفينة وتعرفت عليها تماماً باعتبارها سفينة أمريكية للتجسس الإليكترونى . وكان الإسرائيليون يعرفون على وجه اليقين أن ليبرتى هى السفينة الحربية الوحيدة فى المنطقة . ورغم كل ذلك صدرت الأوامر بتدمير هذه السفينة .

الفصـــل السـادس



مأساة السفينة ليبرتى

• بعد أن هاجمت المقاتلات وزوارق الطوربيد الإسرائيلية السفينة الأمريكية ليبرتى ، كانت هناك ٨٠٠ فتحة فى جسم السفينة بينها واحدة قطرها ٤٤ قدماً .. ووسط دماء القتلى والجرحى الأمريكيين ، وبينما كانت السفينة تحترق ، كان قائدها الكابتن ماك جو ناجل يفكر فى إغراقها ثم الانتحار خوفاً من عودة الكوماندوز الإسرائيليين للصعود إلى سطح السفينة وقتل أى شخص ما زال على قيد الحياة .. •

فى تمام الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق بعد ظهر الثامن من يونيو ١٩٦٧ انطلقت ثلاثة زوارق طوربيد من ميناء اشدود الإسرائيلى متجهة إلى السفينة ليبرتى على مسافة ٥٠ ميلاً . وانطلقت مقاتلات تابعة للسلاح الجوى الإسرائيلى ومسلحة بمدافع عيار ٣٠ مللى متراً وصواريخ وحتى النابالم فى طريقها أيضا إلى ليبرتى وكانت الأوامر الصادرة لها هى العودة بدون ذخيرة . وفى الساعة الواحدة وإحدى وأربعين دقيقة مساءً أى بعد ساعة ونصف من مغادرة ميناء أشدود رصدت زوارق الطوربيد الإسرائيلية ليبرتى أمام ساحل العريش وطلبت ضربها فوراً بواسطة المقاتلات الإسرائيلية .

كان قائد السفينة الكابتن ماك جوناجل ينظر إلى شاشة الرادار ويثبت موقع السفينة على مسافة ٢٥,٥ ميل بحرى من مئذنة مسجد العريش التى كانت تقع فى الجنوب الشرقى .

وكان الضابط المناوب الملازم لويد بنتر ينظر أيضا إلى الرادار ويرى أن السفينة على مسافة ١٧,٥ ميل من الأرض وكانت الساعة تشير إلى الثانية بعد الظهر .

كان الكابتن ماك جوناجل قائد ليبرتى بحارا من النوع الكلاسيكى يحب أن يقضى حياته كلها فى البحر ويتعجل الرحيل من كل ميناء إلى الميناء التالى كان يشتاق للبحر كما يصفه ضباط ليبرتى . وقد

ولد فى مدينة ويشيتا بولاية كانساس الأمريكية فى ٢٩ نوفمبر ١٩٢٥ وكان من بين الدفعات الأولى التى التحقت بالأسطول الأمريكى بعد الحرب العالمية الثانية وشارك كضابط على كاسحة ألغام خلال الحرب الكورية حيث حصل على العديد من الأوسمة والميداليات ثم تولى فى النهاية قيادة العديد من السفن الصغيرة وأصبح قبطاناً للسفينة ليبرتى فى أبريل ١٩٦٦ .

وقد وصف أحد كبار ضباط الأسطول الأمريكى ذات يوم السفينة ليبرتى بأنها (أقبح سفينة أمريكية) ويرجع ذلك إلى حد بعيد للهوائيات العديدة التى تنتشر على سطحها وتجعل شكلها مختلفا عن بقية سفن الأسطول التى تميزها فوهات المدافع . ورغم الخطر الذى كان يقترب من ليبرتى إلا أن أفراد طاقمها كانوا يقومون بمهامهم العادية بينما كان خبراء التنصت والمترجمون والمتخصصون فى فك الشفرات يتابعون عملهم بمراقبة كل صغيرة وكبيرة تتعلق بالحرب العربية الإسرائيلية . وكانت أبرز هذه المهام هى معرفة ما إذا كانت الطائرات السوفيتية الصنع بالسلاح الجوى المصرى مثل القاذفة تى يو – ٩٥ التى يعتقد أن قواعدها فى الاسكندرية تشارك فى الحرب بقيادة طيارين روس .

وكان الحصول على معلومات بشأن احتمال مشاركة الروس فى الحرب يشكل أحد الأسباب الرئيسية لإرسال السفينة ليبرتى لهذه المسافة القريبة جدا من منطقة العمليات العسكرية .

وكان أفراد طاقم ليبرتى يتعايشون مع مهمتهم تماماً لدرجة أن أحد المترجمين المتخصصين فى اللغة العربية أصبح عاشقا لمصر وصنع لنفسه علما مصريا وضعه فوق مكتبه . وكان رفاقه يمزحون معه كل صباح ويحضرون إلى مكتبه متسائلين (إيه : كيف حال

الجمهورية العربية المتحدة الآن) ثم يشعل أحدهم النار فى العلم الموضوع على المكتب وهو يضحك .

وكان السبب الأساسى لذلك هو أن غالبية بحارة ليبرتى كانوا موالين لإسرائيل باعتبارها الحليف الأمريكى لدرجة أنهم كانوا يغيظون زميلهم عاشق مصر برسم نجمة داود ضخمة وتركها على مكتبه كل صباح .

وبينما كان الكابتن ماك جوناجل يتابع عمله فى قيادة السفينة شاهد عدداً من الطائرات الحربية وهى تندفع بقوة فى وضع هجومى نحو السفينة فقال لمساعده الملازم بنتر أعتقد أنها سوف تهاجمنا ودوى صوت أول انفجار ثم دوت انفجارات أخرى وطلقات نيران تصيب السفينة وصفها أحد أفراد الطاقم بأنها كانت وكأن أحدا يلقى بالحجارة على السفينة وتحطمت الهوائيات وسقطت على سطح السفينة . لقد هاجمت الطائرات الإسرائيلية ليبرتى دون أى تحذير وقصفتها مقاتلات الميراج الإسرائيلية الفرنسية الصنع والتى لم تكن تحمل أىَ علامات بهدف إخفاء هويتها . وحاول أحد ضباط السفينة الاتصال بالفريق المسئول عن المدفعية بالسفينة والمكون من شخصين وتوجه إليهما ولكنه وجدهما وقد مزقا إرباً بينما بدأت سحب الدخان ترتفع من السفينة .

وعادت المقاتلات الإسرائيلية لتقصف الجسر وهو منطقة قيادة السفينة وتساقط البحارة الأمريكيون قتلى وجرحى . وكانت المقاتلات الإسرائيلية تقاتل والشمس خلفها وهو وضع مثالى للهجوم وأخذت طائرات الميراج تقصف ليبرتى بالصواريخ وتشعل فيها النار والتقطت أجهزة المراقبة الأمريكية رسالة من طيار إسرائيلى بإحدى طائرات الميراج لقاعدته يقول فيها (إن الوقود يتدفق من السفينة إلى البحر).

وحاول تشارلز راولى وهو خبير اليكترونيات التقاط صور للطائرات المهاجمة بالكاميرا الخاصة به ولكن إحدى الطائرات أطلقت عليه النار . وبدأ بحارة السفينة ليبرتى يحاولون ارسال برقية استغاثة للأسطول السادس رغم التشويش المكثف الذى قام به الإسرائيليون على اتصالات السفينة .

وأخذ عامل اللاسلكى فى السفينة ليبرتى يصرخ (إلى أى محطة هنا روك تسار ، وهو الاسم الكودى لليبرتى ، نحن نتعرض للهجوم من جانب طائرات مجهولة ونطلب المساعدة العاجلة) وفى نفس الوقت كانت هناك رسالة أخرى من طيار اسرائيلى تم التقاطها وتقول كلماتها (عظيم : رائع إن السفينة تحترق إنها تحترق) .

رغم استمرار الهجوم الإسرائيلى إلا أن السفينة فى غرف المتابعة للسفينة ليبرتى حاولوا معرفة هوية الطائرات المهاجمة بينما بدأ بعض الضباط والبحارة فى تدمير الوثائق والمستندات التى يخشى من وقوعها فى أيدى العدو وكان يتم وضعها داخل حقائب طول الواحدة منها ٥ أقدام وبها أثقال من الرصاص لضمان غرقها بمجرد القائها فى الماء .

ووضعت فى هذه الحقائب أيضاً شرائط التسجيل التى تحتوى على البرقيات التى التقطتها السفينة فى الأيام الماضية .

وفى الساعة الثانية وتسع دقائق كانت حاملة الطائرات الأمريكية يو اس اس ساراتوجا تبحر قرب جزيرة كريت وتلقت رسالة الاستغاثة من ليبرتى فى الوقت الذى عادت فيه الطائرات الإسرائيلية لتكمل تدمير هوائيات السفينة بهدف إسكات صوتها تماما حتى لا تطلب المساعدة أو تلتقط أى رسائل أخرى . وقال الكابتن ديف لويس المسئول عن عمليات وكالة الأمن القومى على متن ليبرتى أن الطيارين

الإسرائيليين الذين هاجموا ليبرتى كانوا يعرفون تماما ما يعملون ويوجهون ضرباتهم إلى الهوائيات والأطباق الخاصة بالسفينة لتدميرها تماما ومنعها من الحصول على معلومات وإذا كان الإسرائيليون قالوا بعد ذلك إن هجومهم على ليبرتى حدث بطريق الخطأ فسوف يكون هذا هو الخطأ الذى تم تدبيره والإعداد له بأفضل طريقة ممكنة فى تاريخ الجنس البشري . وقد كرر عامل اللاسلكى بالسفينة ليبرتى رسالة الاستغاثة نظرا لأن حاملة الطائرات ساراتوجا لم ترد على رسالته الأولى وبعث ببرقية تقول (نحن ما زلنا نتعرض للهجوم من جانب طائرات مجهولة الهوية ونحن نطلب مساعدة عاجلة) وردت ساراتوجا على هذه الرسالة لطلب تأكيدها فما كان من عامل اللاسلكى فى ليبرتى إلا أن صرخ قائلا (ألا تسمعون دوى هذه الصواريخ الملعونة يا أولاد العاهرة) .

وتم التقاط رسالة شفرية من أحد قادة الجيش الإسرائيلى فى العريش حيث كان الإسرائيليون يرتكبون جرائم الحرب ضد الأسرى المصريين وكانت هذه الرسالة تقول (لقد ضربناها بما فيه الكفاية هناك دخان أسود كثيف يتصاعد منها ويتدفق الوقود أيضا إلى مياه البحر) . ورغم ذلك عادت الطائرات مرة أخرى لتقصف منطقة الجر فى السفينة وتدمر تماماً قدرتها على الاتصال وتقتل وتجرح المزيد من أفراد طاقمها . وهكذا أصبحت ليبرتى بكماء صماء عمياء عاجزة عن الحركة بل وعاجزة أيضاً عن الاستغاثة . واستمر الطيارون الإسرائيليون فى عملة قتل أفراد طاقم السفينة درجة أن الثقوب التى أحدثتها طلقبات الرشاشات فى سطح السفينة كانت تشبه ثقوبا سوداء صغيرة فى قطعة من الزبد .

وكانت أيضا شظايا القنابل تخترق غرف معيشة بحارة السفينة

لتذبحهم وتقضى عليهم . وتم التقاط رسالة من مقر القيادة الإسرائيلى إلى أحد الطيارين المهاجمين تقول كلماتها (مناحم هل قضيتم عليها تماماً) .

وبينما كان الإسرائيليون يواصلون مذبحتهم لم تكن لديهم فكرة لا هم ولا أفراد طاقم ليبرتى بأن هناك شاهداً آخر على الجريمة يحلق على ارتفاعات عالية فى السماء . ووفقا للوثائق السرية لوكالة الأمن القومى الأمريكية فإن أحدا لم يكن يعرف حقيقة أن إحدى طائرات التابعة للوكالة كانت تحلق فوق منطقة الحادث وتسجل كل ما يجرى تحتها .

وتعتبر المعلومات التى حصلت عليها هذه الطائرة والتى تجيب على الكثير من التساؤلات حول الهجوم الإسرائيلى على ليبرتى من أخطر أسرار وكالة الأمن القومى الأمريكى .

فقبل ساعتين من الهجوم على ليبرتى كانت الطائرة وهى من طراز اى سى - ١٢١ تقلع من أثينا إلى شرق المتوسط فى منطقة عمليات تمتد عبر مثلث رؤوسه هى كريت وقبرص والعريش . ويقول مارفن نويكى ضابط وكالة الأمن القومى الأمريكى على هذه الطائرة :

(عندما وصلنا إلى منطقة العمليات كان من الواضح أن السوريين يمطرون مرتفعات الجولان السورية بالقصف وبدأنا نلتقط اتصالات بالعبرية والعربية بشكل مكثف كاد يصيبنا بالجنون وبعد ساعات قليلة التقط أحد مترجمى اللغة العبرية على الطائرة رسالة تقول شيئاً عن سفينة ترفع العلم الأمريكى . ومضى المترجم يقول إن الطائرات الإسرائيلية تضرب شيئا فى البحر) .

وبعد أن انتهت موجة الهجوم الأولى بطائرات الميراج الإسرائيلية جاءت موجة أخرى من طائرات السوبر ميستير وبالاضافة إلى

الصواريخ والمدفعية وطلقات الرشاشات هاجمت طائرات الميستير ليبرتى بقنابل زنة ألف رطل وأيضاً بقنابل النابالم .

وكانت الانفجارات هذه المرة تصيب بحارة السفينة بالصمم من قوتها وعنفها وسقط قائد ليبرتى ماك جوناجل جريحا بعد أن اصابته إحدى الشظايا وغطت الدماء جسده .

وجاءت موجة أخرى من طائرات الميستير تطلق المزيد من الصواريخ وقنابل النابالم على ليبرتى . وتم التقاط برقية من القيادة الجنوبية الإسرائيلية فى العريش حيث كان الإسرائيليون يحاولون إخفاء آثار مذبحة الأسرى المصريين تحت الرمال . وكانت كلمات هذه الرسالة تقول (إنهم ينقضون عليها ويضربونها بالنابالم) . كانت الطائرات الإسرائيلية تنقض على ليبرتى بمعدل مرة كل ٤٥ دقيقة وإلى جانب قنابل النابالم كانت طائرات الميستير تلقى على السفينة بعبوات ذات لون فضى معدنى تحتوى على الجازولين مما حول السفينة إلى محرقة . ولم يكتف الإسرائيليون بذلك فقد تم التقاط رسالة من قائد السرب الإسرائيلى المهاجم إلى قيادته يقول فيها (سوف يكون الأمر ميتزفا - أى مباركاً - إذا قمنا بقصف السفينة بقنابل الحديد وإلا فإن الأسطول يمكن أن يأتى إلى هنا ليستكمل مهمة القصف) .

كان هدف الطيار الإسرائيلى من استخدام قنابل الحديد أن يكون للطائرات الإسرائيلية الفضل فى إغراق السفينة قبل أن تحضر سفن إسرائيل لإكمال المهمة ، فخلال الحرب العالمية الثانية بالتحديد أثناء معركة ميدواى استطاعت الطائرات الأمريكية إغراق ثلاث حاملات طائرات يابانية بهذا النوع من القنابل خلال عشر دقائق فقط .

وعلى متن السفينة ليبرتى تولى الملازم بنتر القيادة بعد أن أصيب

الكابتن ماك جوناجل وقتل ضابط العمليات وأصيب القائد التنفيذى بجراح قاتلة . وفى نفس اللحظة التقط الأمريكيون بوسائلهم الخاصة برقية إسرائيلية من أحد الطيارين تقول (انتبهوا فالسفينة عليها علامة (س تى أر – ٥) والحقيقة أن العلامات كانت (جى تى آر – ٥) والتى كانت تعنى أنها أمريكية ومضى الطيار الإسرائيلى فى رسالته لمركز قيادته قائلا : على أية حال هذه السفينة لا ترفع أى علم . وكان ذلك طبيعيا لسبب بسيط هو أن الإسرائيليين كانوا قد دمروا العلم الأمريكى فى أولى موجات هجومهم .

هذه الرسالة كانت من آخر طيار إسرائيلى يقصف ليبرتى وكان الرد عليه من قيادته هو (اتركها الآن وعد إلى القاعدة) . وبينما كانت آخر طائرة إسرائيلية تبتعد عن ليبرتى بعد أن أفرغت حمولتها الكاملة من القنابل والصواريخ والنابالم كانت السفينة قد تحولت إلى كتلة ملتهبة من الجبن السويسرى الملىء بالثقوب وكان العشرات من أفراد طاقمها سقطوا بين قتيل وجريح بينما يحاول الأحياء الهروب من الدخان الخانق والحرارة الشديدة . واشارت تحليلات الخبراء بعد ذلك إلى أن ما حدث للسفينة ليبرتى لا يمكن أن يتم إلا باستخدام ١٥ طائرة حربية على الأقل .

فى الساعة ٢,٢٤ دقيقة تعرضت ليبرتى لموجة جديدة من الرعب وشاهد بحارتها ثلاثة زوارق طوربيد زنة الواحد منها ٦٢ طناً تندفع بقوة نحو السفينة فى تشكيل هجومى بسرعة ٤٠ عقدة فى الساعة .

ويحمل كل زورق من هذه الزوارق الفرنسية الصنع طاقما من ١٥ شخصا ومسلح بمدفع عيار ٤٠ مللى مترا وأربعة مدافع عيار ٢٠ مللى متراً واثنين من الطوربيدات : واصطفت الزوارق الثلاثة فى صف واحد وكأنها فرقة إعدام ووجهت مدافعها وطوربيداتها نحو

ليبرتى . وأمر الكابتن ماك جوناجل قبطان ليبرتى رجاله برفع علم أمريكى أبيض فوق السفينة بعد أن دمرت الطائرات الإسرائيلية العلم الأول فى بداية الهجوم .

وتم اختيار أكبر علم أمريكى موجود على ظهر السفينة ورغم رفعه فوقها إلا أن الزوارق الإسرائيلية فتحت نيران مدافعها بشراسة مما أسفر عن مصرع أربعة من البحارة فوراً . فى ذلك الحين كانت طائرة التجسس أى سى -١٢١ تحلق فوق المنطقة والتقطت إشارات حول الهجوم الإسرائيلى الجديد وكانت هذه الإشارات الإسرائيلية تشير إلى العلم الأمريكى الجديد الذى تم رفعه فوق السفينة .

كما أوضحت هذه الإشارات أن الهجوم الجديد على ليبرتى لا تقوم به الطائرات وإنما زوارق طوربيد إسرائيلية . وفى الساعة ٢,٣٧ دقيقة مساءً أطلق أحد الزوارق الإسرائيلية طوربيداً واندفع هذا الطوربيد نحو ليبرتى وتبعته أربعة طوربيدات أخرى وهو عدد أكبر مما يكفى لاغراق أكبر حاملة طائرات فى العالم وحدثت معجزة عندما أصيبت ليبرتى بطوربيد واحد فقط ورغم ذلك فقد كانت الإصابة مدمرة .

اخترق الطوربيد الجانب الأيمن للسفينة وشاهده البحارة قبل أن ينفجر وصدرت الأوامر بالاستعداد لإخلاء السفينة واخذ البحارة يحاولون إنزال زوارق النجاة إلى المياه بينما كانوا يخوضون فى دماء زملائهم التى حولت سطح السفينة إلى ما يشبه نهراً أحمر من الدم واكتشف البحارة بأن بعض زوارق النجاة قد دمرت واستمرت الزوارق الإسرائيلية تطلق نيرانها على السفينة وبدأت مياه البحر تتدفق من الفتحة الضخمة التى أحدثها الطوربيد وكان سطح الماء المحيط بالسفينة يشتعل بعد أن تدفق الوقود إلى البحر .

وكان بعض البحارة يحاولون إطفاء النيران على سطح السفينة وانقاذ زملائهم ولكن الزوارق الإسرائيلية امطرتهم بوابل من النيران بل وأخذت تركز قصفها على زوارق النجاة لمنع أى شخص من النجاة بحياته . وعندما نجح البحارة فى إنزال بعض قوارب النجاة إلى المياه أخذ الإسرائيليون فى إطلاق النار عليها ليغرقوا ويقول أحد ضباط السفينة : (كان من الواضح تماما أن خطة الهجوم تقضى بقتل كل من على ظهر ليبرتى وحتى احتمال القفز إلى المياه للهروب من السفينة لم يكن ممكناً لأن الإسرائيليين كانوا سيطلقون النار علينا فى الماء ولم يكن لدينا شك فى أنهم لا يعتزمون الاحتفاظ بأسرى من طاقم السفينة) .

وفي وقت مبكر من ذلك اليوم كان الإسرائيليون يذبحون المدنيين والأسرى المصريين فى الصحراء والآن كانوا يعملون على ضمان عدم نجاة أى أمريكى بحياته من السفينة ليبرتى التى كانت تغرق . ويصف أحد أفراد طاقم السفينة ويدعى فيليب تورنى هذا الموقف بقوله :

(بمجرد أن لامست زوارق النجاة سطح الماء تم إغراقها وكانت زوارق الطوربيد الإسرائيلية تطلق النار علينا وكأنها فى تدريب على الرماية . كانوا يريدون قتل وتشويه وذبح أكبر عدد ممكن من طاقم ليبرتى . وأخذت زوارق الطوربيد الإسرائيلية تنطلق فى دوائر حول السفينة ثم ابتعدت وكان الخوف الأكبر الذى سيطر على بحارة ليبرتى هو أن يعود الكوماندوز الإسرائيليون مرة أخرى للإجهاز على من تبقى حيا) .

لم يعرف الإسرائيليون بالمعلومات التى التقطتها وكالة الأمن القومى ولكنهم كانوا يشكون فى أن تكون الوكالة قد سجلت الأدلة

على المذابح الوحشية التى ارتكبوها فى صباح ذلك اليوم على مسافة أميال قليلة فى منطقة العريش .

فمثل هذه التسجيلات كانت ستصبح أدلة دامغة على المئات من جرائم الحرب المروعة التى ارتكبها الإسرائيليون ووافق عليها كبار قادة إسرائيل . والحقيقة أنه تم بالفعل التقاط العديد من الاتصالات الإسرائيلية وهذه المعلومات من المفروض أنها ترسل لتحليلها فى محطة عمليات سرية فى أثينا أو فى مقر وكالة الأمن القومى .

وبينما كانت النيران ما زالت تشتعل فى ليبرتى والمياه تتدفق إليها من فتحة قطرها ٤٤ قدما فى جانبها كان البحارة يبذلون جهداً أخيراً لإنقاذها . ورغم ذلك فكر قائدها القبطان ماك جوناجل فى الانتحار . وقد شاهد بنفسه علم إسرائيل على أحد زوارق الطوربيد وخشى من أن يقوم الإسرائيليون بمحاولة للصعود إلى سطح السفينة وقتل أى شخص ما زال على قيد الحياة والاستيلاء على الأسرار والوثائق الخاصة بوكالة الأمن القومى الأمريكية التى لم يستطع البحارة إلقاءها فى الماء بسبب استمرار الهجمات الإسرائيلية .

وأبلغ قائد السفينة كبير المهندسين الملازم جورج جولدن بعلم إسرائيل الذى شاهده على زورق الطوربيد وقال له إنه يفكر فى إغراق السفينة ورد عليه كبير المهندسين بأن ذلك مستحيل لأن السفينة فى مياه ضحلة وحتى يمكن إغراقها يجب التحرك إلى مياه عميقة .

كانت طائرة التجسس أى سى - ١٢١ ما تزال تتنصت على الاتصالات فى منطقة العمليات الحربية وبينما كانت الطائرة فى طريق عودتها إلى قاعدتها فى أثينا تأكد طاقمها من أن سفينة ترفع العلم أمريكى قد هوجمت بواسطة الطائرات وزوارق الطوربيد الإسرائيلية وبعد هبوط الطائرة فى القاعدة العسكرية فى العاصمة اليونانية كانت

تقارير عديدة قد وصلت تؤكد بأن السفينة التى تعرضت للهجوم هى يو اس اس ليبرتى . وسلم طاقم الطائرة شرائط التسجيل التى حصلوا عليها للاتصالات والبرقيات الشفرية فى منطقة العمليات . وبدأ خبراء وكالة الأمن القومى فى تحليل ودراسة ما تضمنته المعلومات .

وأخيراً وصلت رسالة الاستغاثة التى بعثت بها ليبرتى بعد تعرضها للهجوم إلى الأسطول السادس جنوبى جزيرة كريت . وفى الساعة ٢,٥٠ دقيقة مساءً أى بعد ٥٠ دقيقة من بدء الهجوم على ليبرتى وبينما كان الهجوم ما زال مستمراً على السفينة تم اتخاذ قرار بارسال مساعدة إليها وصدرت الأوامر لحاملة الطائرات يو اس اس أمريكا التى كانت تبحر قرب كريت بارسال أربع مقاتلات من طراز سكاى هوك إيه - ٤ وفى نفس الوقت صدرت الأوامر لحاملة الطائرات يو اس اس ساراتوجا بارسال أربع مقاتلات أخرى من طراز إيه - ١ للدفاع عن السفينة . وفى الساعة السادسة وخمس دقائق مساءً أرسلت برقية إلى ليبرتى يقول نصها (أرسلنا طائرات لتغطيتكم والسفن فى الطريق إليكم) .

وفى الساعة الثالثة مساءً بتوقيت ليبرتى تم ارسال برقية شفرية من وكالة الأمن القومى إلى جميع المحطات والمواقع التابعة لها تقول (وردت تقارير حول تعرض السفينة يو إس إس ليبرتى لهجوم بالطوربيدات من جانب جهة مجهولة فى شرق البحر المتوسط . نطلب فحص كل الاتصالات المتعلقة بهذا الموضوع وابلاغنا فوراً) . وتم ابلاغ وزارة الدفاع الأمريكية بنتاجون بنفس المعنى .

فى تلك اللحظة كان الرئيس ليندون جونسون فى مكتبه بالبيت الأبيض يتحدث تليفونيا بانفعال شديد مع بعض زعماء الكونجرس

ويطالبهم بتأييد موقفه من أحد مشروعات القوانين المطروحة على الكونجرس . ورن جرس التليفون الآخر على مكتب جونسون وكان المتحدث هو والت روستو الذى أبلغه فى انفعال شديد بأن ليبرتى قد هوجمت بالطوربيدات فى البحر المتوسط . وبعد دقيقة واحدة كان مستشار الأمن القومى يندفع إلى المكتب البيضاوى بالبيت الأبيض ويبلغ الرئيس جونسون بأن السفينة موجودة على مسافة تتراوح بين ٦٠ ميلاً و ١٠٠ ميل شمال مصر وأن طائرات الاستطلاع اقلعت من الأسطول السادس فى اتجاه المنطقة وأكد روستو للرئيس جونسون عدم وجود أى معلومات حول الغواصات أو السفن الحربية التى ارتكبت هذا العمل .

وفى البنتاجون ، اتصل روبرت مكنمارا وزير الدفاع بوكالة الأمن القومى وطلب معلومات دقيقة عن موقف السفينة وطاقمها .

ووفقا لوثائق وكالة الأمن القومى التى تحمل خاتم « سرى للغاية » فإن تعليمات صريحة قد صدرت للكابتن « توردیلا » نائب مدير مركز القيادة فى وكالة الأمن القومى الأمريكى بأن بعض كبار المسئولين فى واشنطن يريدون قبل أى شىء آخر حماية إسرائيل من أى مضايقات ومن أجل تحقيق هذه الهدف بدأ التفكير ، بناء على تعليمات من مسئولين كبار فى واشنطن ، فى إغراق ليبرتى حتى لا يستطيع رجال الصحافة التقاط صور لها واشعال الرأى العام ضد الإسرائيليين . وقد علق مسئول وكالة الأمن القومى على هذه الفكرة بعبارة وصفها بأنها (غير مهذبة) .

كان القلق يتزايد حول الأسرار التى تحملها السفينة وكيفية تأمين الوثائق والمستندات والأجهزة التى تحملها وفى حالة غرق السفينة أو إغراقها كان يتعين تأمين موقعها ومنع أى طرف من الوصول إليها .

وربما تدعو الضرورة إلى القيام بمهمة غوص لانتشال الأسرار الحساسة من السفينة في هذه الحالة .

أما بالنسبة للطائرات التي أقلعت من حاملتي الطائرات أمريكا وساراتوجا ، فقد كانت التعليمات التي يحملها الطيارون هي التصدي لأي مهاجمين يعتدون على السفينة ليبرتي .

وفي الساعة الرابعة مساءً (العاشرة صباحاً بتوقيت واشنطن) كان أفراد طاقم ليبرتي ما زالوا يصرخون طلباً للمساعدة ، وكان معنى ذلك أن الإسرائيليين قد التقطوا هذه الاستغاثات وعرفوا بأن المقاتلات الأمريكية في طريقها إلى المنطقة .

ومن غرفة الأزمات بالبيت الأبيض اتصل والت روستو تليفونيا بالرئيس جونسون ليبلغه بأن السفينة ليبرتي في حالة سيئة جدا وأن هناك طائرات أمريكية في الطريق إليها . وأعرب جونسون عن مخاوفه من أن تكون مقاتلات وغواصات سوفيتية هي التي قامت بالهجوم الأمر الذي يعني أن الولايات المتحدة على وشك الدخول في حرب مع روسيا . وقد اتصل جونسون في وقت لاحق بجميع مستشاريه ودعاهم لاجتماع طارئ في غرفة الأزمات . في نفس هذا التوقيت تقريبا تم استدعاء القومندان « أرنست كاستل » الملحق البحري الأمريكي في تل أبيب لاجتماع عاجل بمقر وزارة الدفاع الإسرائيلية وهناك تم إبلاغه بأن القوات الجوية والبحرية الإسرائيلية قد هاجمت بطريق الخطأ السفينة ليبرتي . وعاد « كاسل » بسرعة إلى السفارة الأمريكية ليرسل برقية عاجلة إلى واشنطن بهذه المعلومات .

والغريب أن وكالة الأمن القومي قالت إنها علمت بتورط إسرائيل في الهجوم على ليبرتي قبل ١٥ دقيقة من استدعاء الملحق البحري

الأمريكى لوزارة الدفاع الإسرائيلية وقبل ١/٢ ساعة من الرسالة التى بعث بها لواشنطن بهذا المعنى .

ولم يعرف أحد حتى الآن كيف اكتشفت وكالة الأمن القومى الأمريكى تورط إسرائيل فى هذا الهجوم . وفى البيت الأبيض شعر الرئيس جونسون بالارتياح عندما علم بأن الهجوم على ليبرتى لم يكن سوفيتيا أو مصريا وبالتالى فلن تكون هناك حرب مع روسيا كما كان يخشى . ورغم ذلك كان جونسون يشعر بالقلق من أن يعرف السوفيت أن هناك سرياً من الطائرات المقاتلة الأمريكية ينطلق نحو منطقة القتال وأنه إذا شك الروس بأن أمريكا قررت فجأة التورط فى الصراع فربما يشنون هجوماً . لذلك أرسل جونسون فى الساعة ١١,١٧ دقيقة صباحاً بتوقيت واشنطن (٥,١٧ مساءً بتوقيت شرق المتوسط) برقية عبر الخط الساخن إلى كوسيجين فى موسكو وكان نص الرسالة :

(علمنا للتو بأن « يو اس اس ليبرتى » وهى سفينة معاونة قد تعرضت للقصف على سبيل الخطأ من جانب القوات الإسرائيلية أمام بورسعيد . ولقد أصدرنا أوامرنا لحاملة الطائرات ساراتوجا وهى فى البحر المتوسط الآن لإرسال طائرات إلى موقع الحادث للتحقيق . ونأمل أن تعرفوا أن التحقيق هو الهدف الوحيد لمهمة هذه الطائرات كما نأمل منكم اتخاذ الخطوات الملائمة لاطلاع الأطراف الملائمة بهذا الموضوع . ولقد بعثنا ببرقية إلى « تشيرنى ياكوف » ولكننا شعرنا بضرورة إحاطتكم علماً بهذه التطورات وبشكل عاجل) .

بعد وصول الرسالة إلى الكرملين رد كوسيجين برسالة أخرى بعد ٤٥ دقيقة أكد فيها أنه أبلغ الرئيس ناصر .

كان الدخان الأسود مازال يتصاعد من أكثر من ٨٠٠ فتحة فى

جسم السفينة ليبرتى بينما بدأت جهود التغطية علي الحادث . في خلال ساعات قليلة من الهجوم طلبت إسرائيل من الرئيس جونسون بأن يدفن الحادث بهدوء . كما أوصت السفارة الأمريكية بتل أبيب بعدم إعلان تفاصيل الحادث نظرا لأن اقتراب أى سفينة من الموقع سيشعل الشكوك العربية حول تورط الولايات المتحدة فى مساعدة إسرائيل . وبعد فترة قصيرة أصدر البنتاجون أمرا بحظر نشر أى معلومات عن كارثة السفينة ليبرتى ومنع أى شخص من الإدلاء ببيانات حول هذا الهجوم الإسرائيلى .

وفى الساعة ١١,٢٩ دقيقة صباحاً (٥,٥٩ دقيقة مساءً بتوقيت شرق المتوسط) أصدر الرئيس جونسون أوامره بعودة جميع المقاتلات الأمريكية التى كانت متوجهة إلى ليبرتى بينما كانت السفينة تغرق ويعيش أفراد طاقمها حالة من الرعب خوفا من تعرضها لهجوم جديد . وأثارت هذه الأوامر التى أصدرها جونسون غضب الأدميرال « لورانس جايس » قائد الأسطول السادس فى البحر المتوسط الذى احتج لدى وزير الدفاع « روبرت مكنمارا » .

ووفقا للمعلومات السرية التى لم تعلن فإن الرئيس ليندون جونسون قال صراحة « إن غرق السفينة ليبرتى لا يهمه بقدر ما يهتم بعدم مضايقة حلفاء أمريكا » .

كانت الفتحة التى أحدثها الطوربيد فى جانب ليبرتى تكفى لدخول أتوبيس بأكمله وقد دمرت معظم معدات السفينة وقتل ٣٢ من أفراد طاقمها خلال الهجوم بينما مات اثنان آخران فى وقت لاحق .

وأصيب ثلثا بقية البحارة بجراح . ورغم كل ذلك أمكن سحب السفينة إلى منطقة آمنة وبعد ١٦ ساعة ونصف من الهجوم وصلت النجدة أخيراً إلى السفينة ليبرتى . وبدأت طائرات الهليوكوبتر فى

إخلاء الجرحى ذوى الإصابات الأكثر خطورة ونقلهم إلى السفينة أمريكا التى كانت ما تزال على مسافة ١٣٨ ميلاً . بعد ذلك تم نقل الجرحى بالطائرة إلى اثينا ثم إلى مستشفى البحرية الأمريكية بميناء نابولى الإيطالى . أما ليبرتى نفسها فقد وصلت بعد ذلك إلى مالطا .

كان اهتمام وكالة الأمن القومى بعد إخلاء الجرحى يتركز على الوثائق الحساسة التى كانت موجودة على ليبرتى لذلك صدرت الأوامر لزوارق من المدمرات الأمريكية بالبحث حول السفينة ليبرتى عن أى وثائق . وبينما كانت السفينة تبحر إلى مالطة كانت التعليمات للأسطول السادس هى عمل كل شىء ممكن لإبعاد السفن السوفيتية ومنعها من الوصول إلى أى وثائق أو أسرار ربما تكون قد فقدت من السفينة .

وكما ينجذب سمك القرش لرائحة الدم اقتربت مدمرة سوفيتية حاملة صواريخ من ليبرتى ولكن السفينة الأمريكية الأخرى فى المنطقة كانت تحيط بليبرتى لالتقاط أى وثائق أو مستندات قد تسقط منها وكان ذلك يتم باستخدام الشباك . وبالنسبة لمترجمى اللغة العربية الثلاث على متن السفينة ليبرتى فقد قتل أحدهم وأصيب الآخر ونجا الثالث .

ومع وصول ليبرتى إلى مالطة يوم ١٤ يونيو كانت جهود اخفاء الحادث ، أو دفنه وفقا للتعبير الإسرائيلى قد وصلت إلى ذورتها . وتم فرض حظر كامل على النشر .

وتم أيضاً تهديد جميع أفراد الطاقم بتقديمهم إلى المحاكم العسكرية إذا فتح واحد منهم فمه وتحدث مع أى شخص حول ما وقع للسفينة وشمل هذا الحظر عائلات أفراد الطاقم بل وزملاءهم أيضاً . ويقول « لارى ويفر » أحد ضباط السفينة ليبرتى انهم ابلغوه بأنه إذا فتح فمه إلى أى شخص آخر فإنه سوف يتم ايداعه فى

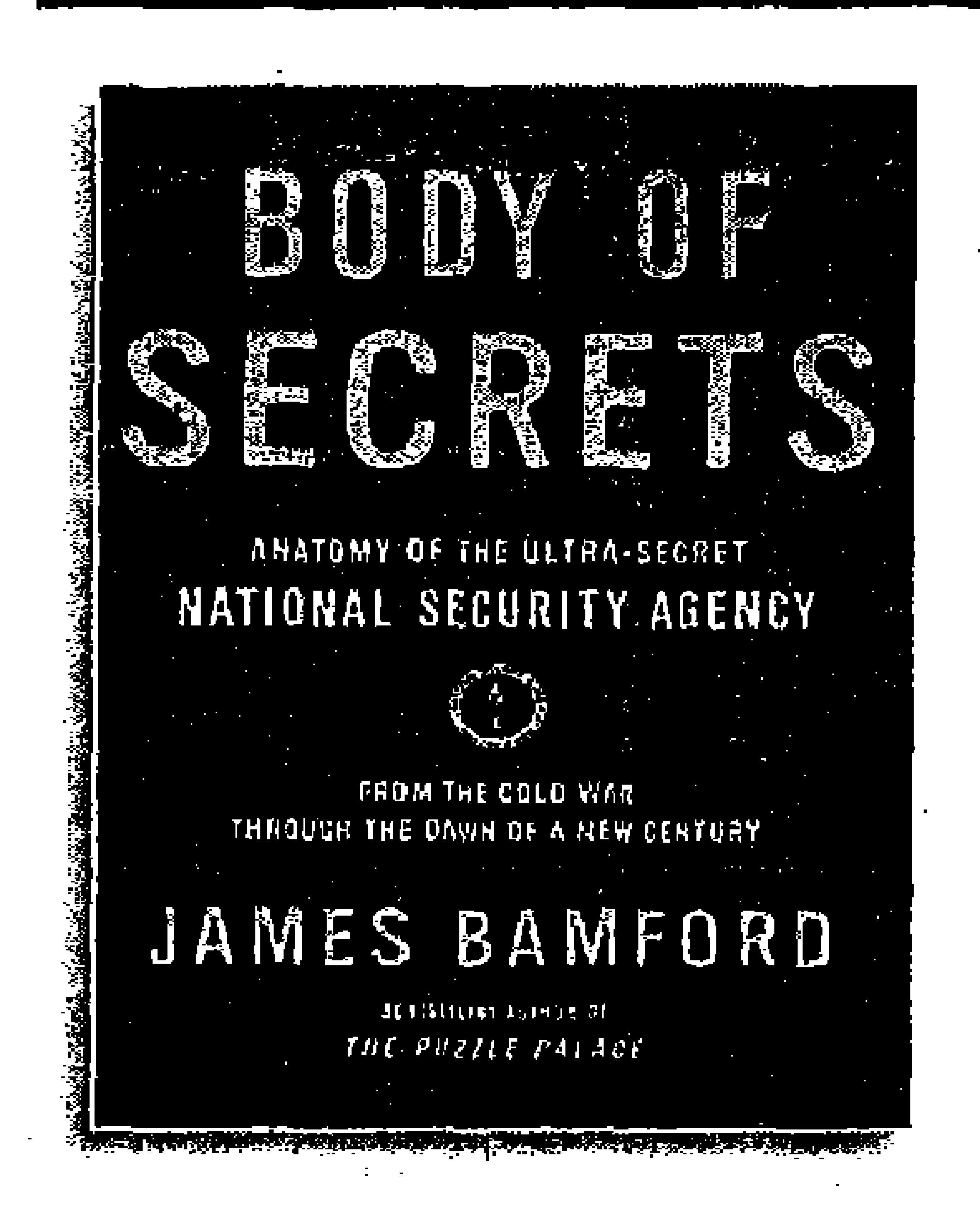
السجن . وفى يوليو ١٩٦٧ عادت ليبرتى إلى قاعدة « نورفولك » الأمريكية وطلبت وكالة الأمن القومى من البنتاجون مبلغ ١٠,٢ مليون دولار لإصلاح السفينة وإعادتها للعمل ولكن هذا الطلب قوبل بالرفض وتقرر خروج ليبرتى من الخدمة فى ٢٨ يونيو ١٩٦٨ . وفى عام ١٩٧٠ تم تسليم السفينة إلى الإدارة البحرية الأمريكية وبيعت بمبلغ ١٠١,٦٦٦ ألف دولار .

وفى عام ١٩٧٣ كانت نهاية السفينة ليبرتى عندما تم تقطيعها ، وهو ما فشل الإسرائيليون فى تحقيقه ، وبيعت كخردة . وفى ٢٨ أبريل ١٩٦٩ أى بعد عامين تقريبا من الهجوم دفعت الحكومة الإسرائيلية ٢٠,٠٠٠ دولار تعويضا لكل جريح و ١٠٠,٠٠٠ دولار لأسرة كل قتيل من أفراد طاقم ليبرتى .

وقد طلبت الحكومة الأمريكية من إسرائيل تعويضا قدره ٧ ملايين و ٦٤٤ ألف دولار عن تدمير السفينة رغم أن نفقات تحويلها إلى سفينة تجسس فقط بلغت أكثر من عشرين مليون دولار بالاضافة إلى ١٠,٢ مليون دولار ثمن الأجهزة والمعدات المتطورة التى كانت على متنها . ورغم تفاهة المبلغ الذى طلبته واشنطن من إسرائيل إلا أن الحكومة الإسرائيلية ظلت تراوغ وترفض الدفع لمدة ١٣ سنة !

وبحلول شتاء ١٩٨٠ كانت الفوائد فقط على مبلغ التعويض الذى طلبته أمريكا قد بلغت ١٠ ملايين دولار . واقترح « إفرايم ايفرون » السفير الإسرائيلى فى واشنطن تخفيض مبلغ التعويض إلى ٦ ملايين دولار فقط وإلغاء الفوائد بالكامل وقال إن إسرائيل فى هذه الحالة قد تكون مستعدة للدفع ! وفى ديسمبر ١٩٨٠ وافق الرئيس « جيمى كارتر » قبل خروجه من البيت الأبيض على هذا العرض الإسرائيلى الغريب لتدفع إسرائيل ٦ ملايين دولار فقط .

الفصـــل السابع



الأيدى القـــذرة

• ومنذ الـهـجـوم الإسـرائيلى على السفـينة الأمـريكيـة لـيـبـرتى ، حصلت إسرائيل على مائة مليار دولار من أموال دافعى الضرائب الأمـريكيـين .. لذلك يجب فـتح التـحـقـيق مـرة أخـرى فى حـادث لـيـبـرتى.. وفى نفس الوقت ، يجب إعـلان كل أسـرار هذا الحـادث وكشف كل الجـرائم التى ارتكبتـها إسرائيل يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ . •

خلال الأيام التى اعقبت الهجوم على ليبرتى قدمت الحكومة الإسرائيلية إلى حكومة الولايات المتحدة تقريرا سريا حاول تبرير الإدعاء بأن الهجوم تم على سبيل الخطأ . وعلى أساس هذا التقرير نفسه برأت التحقيقات الإسرائيلية تماما حكومة إسرائيل وجميع المتورطين فى الهجوم على ليبرتى ولم يقدم شخص واحد لمحكمة عسكرية ولم يتم تنزيل رتبة أحد أو حتى توجية اللوم إليه . على العكس من ذلك قررت إسرائيل تكريم طاقم زورق الطوربيد رقم ٢٠٣ الذى أطلق الطوربيد المدمر على ليبرتى .

ورغم الأدلة الواضحة والمؤكدة على أن إسرائيل هاجمت السفينة وقتلت أفراد طاقمها الأمريكيين عن عمد ومع سبق الاصرار والترصد إلا أن الرئيس جونسون والكونجرس قاموا بتغطية الحادث كله .

كان جونسون يخطط لخوض انتخابات الرئاسة لفترة ثانية فى العام التالى وكان بحاجة لأصوات مؤيدى إسرائيل . إن مافعلته إدارة جونسون كان مخزيا . فرغم أن الكونجرس قدم للكابتن ماك جوناجل قائد ليبرتى ميدالية الشرف على بطولته فى انقاذ السفينة إلا أن مسئولى البيت الأبيض حرصوا على أن تتم هذه المناسبة بهدوء شديد . ولأن هذه الميدالية والتى تمثل أعلى مستويات التكريم ولا

تقدم لأحد إلا نادرا فقد جرت العادة على أن يقدمها الرئيس الأمريكى بنفسه فى احتفال كبير بالبيت الأبيض .

أما بالنسبة للكابتن ماك جوناجل فقد سلمه الميدالية وزير البحرية فى احتفال متواضع تم ترتيبه على عجل فى إحدى القواعد البحرية الصغيرة .

وكان ذلك يمثل صفعة قاسية لكل أفراد طاقم السفينة ليبرتى ولكن الرئيس جونسون كان يخشى من رد فعل اللوبى الإسرائيلى .

وقد فسر أحد ضباط البحرية هذا الموقف الغريب من جانب الحكومة الأمريكية بقوله (إن الحكومة لديها حساسية شديدة تجاه إسرائيل . ووصلت الأمور إلى حد أن وزارة الخارجية الأمريكية سألت السفير الإسرائيلى عما إذا كانت حكومته لديها أى اعتراضات على منح الميدالية للكابتن « ماك جوناجل » قائد السفينة ليبرتى . !) وكان رد السفير الإسرائيلى هو أن إسرائيل لا تمانع فى ذلك ولكن لتجنب أى إساءة يجب عدم الإشارة إلى إسرائيل على الاطلاق وأن يكون احتفال تسليم الميدالية فى أضيق نطاق ممكن .

ولم يجرؤ محقق أمريكى واحد على أن يسأل لماذا ارتكبت إسرائيل هذه الجريمة بل وافق الجميع على ذلك التبرير الإسرائيلى الغريب على أن ماحدث (كان مجرد خطأ) .

والغريب أن التقرير الذى أرسلته إسرائيل إلى واشنطن حول الحادث زعم أن السفينة ليبرتى وهى سفينة نقل من أيام الحرب العالمية الثانية حاولت الهرب بسرعة ٣٠ عقدة عندما اقتربت منها زوارق الطوربيد الإسرائيلية . ويعلم الجميع أن أقصى سرعة لليبرتى يستحيل أن تتجاوز ١٧ عقدة .

وذكر هذا التقرير الإسرائيلى الغريب أن خبراء البحرية الإسرائيلية عندما بحثوا عن مواصفات السفينة فى موسوعة جينيس للسفن الحربية خلطوا بينها وبين السفينة المصرية « القصير » .

ورغم ذلك فإن موسوعة جينيس نفسها تؤكد أن أقصى سرعة للسفينة « القصير » لا تتجاوز ١٤ عقدة ؟ . إلى جانب ذلك فإن موسوعة جينيس تحتوى على تفاصيل عديدة عن ليبرتى مما يؤكد أن الإسرائيليين تعرفوا عليها منذ الوهلة الأولى وهذا ماذكره « بنحاس بن شاسي» فى قيادة البحرية الإسرائيلية فى برقية التقطتها وكالة الأمن القومى الأمريكى .

ويقول التقرير الإسرائيلى أيضا أن سبب الهجوم كان هو منع ليبرتى من قصف مدينة العريش ولا يمكن وصف ذلك إلا بأنه هراء وذلك لسبب بسيط هو أن ليبرتى لم يكن عليها سوى أربعة رشاشات قصيرة المدى لايمكن أن يصل مداها إلى المسافة بينها وبين العريش والتى كانت ١٢ ميلا .

باختصار حاول معظم المحققين الأمريكيين تقبل التفسيرات الإسرائيلية تحت ضغط البيت الأبيض ووافقوا على نظرية (الخطأ) .

ولم يعقد الكونجرس أى جلسة اجتماع حول الحادث الذى قتل فيه ١٤ جنديا أمريكيا وأصيب ١٧١ آخرون واغرقت تقريبا فيه سفينة أمريكية بشكل لم يحدث أبدا لأى سفينة ترفع علم الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية ، والمبرر الوحيد لذلك كان ببساطة هو سنة الانتخابات الأمريكية القادمة حيث لم يشأ أحد فى البيت الأبيض أو مجلس الشيخ استفزاز جماعات الضغط القومى الموالية لإسرائيل أو المجازفة باحتمال خسارة مساهماتها الدسمة فى الحملات الانتخابية .

ولكن وفقا للوثائق السرية فإن كبار قادة وكالة الأمن القومى الأمريكى الذين اطلعوا على الشرائط السرية والمراسلات الشفرية كانوا جميعا متفقين فى اعتقادهم بأن الهجوم كان متعمدا وكان اعتقادهم الجازم أن إسرائيل ضربت ليبرتى خوفا من المعلومات التى ربما تكون قد توصلت إليها ولذلك كانت الأوامر التى صدرت للطائرات وزوارق الطوربيد الإسرائيلية هى تدمير السفينة وقتل جميع أفراد طاقمها . وهناك نقطة حرجة أخرى وهى ما زعمته إسرائيل بأن أحدا لم يلحظ أى علم فوق ليبرتى سواء خلال القصف الجوى أو البحرى . والحقيقة التى يجمع عليها جميع الأحياء من طاقم ليبرتى أن العلم الأمريكى كان يرفرف فوق السفينة عندما بدأ الهجوم عليها بل وتم رفع علم آخر عندما دمر الإسرائيليون الأول ، والأكثر من ذلك أن « مارفن نويكى » خبير اللغة العبرية الذى كان على متن طائرة التجسس الأمريكية أى . سى ١٢١ التى كانت تحلق فوق منطقة الحادث أكد بما لا يدع مجالا للشك أنه تم تسجيل وقائع الهجوم الإسرائيلى وأنه سمع بنفسه برقيات متبادلة بين الطيارين الإسرائيليين تتحدث عن سفينة ترفع العلم الأمريكى .

ومن الجدير بالذكر أن مارفن نويكى الذى حصل بعد ذلك على الدكتوراه فى العلوم السياسية ويقوم بالتدريس فى الجامعات الأمريكية يعتبر من أنصار إسرائيل المتحمسين وكان يعتقد فى البداية أن البرقية التى التقطها وترجمها سوف تساعد على تبرئة ساحة إسرائيل ولكن بدلا من ذلك كانت هذه البرقية دليل إدانة آخر ضد الحكومة الإسرائيلية . وإذا كان الإسرائيليون قد شاهدوا العلم

الأمريكى بالفعل فإن هجومهم على ليبرتى كان غادرا وبدم بارد تماما مثل جرائم القتل العديدة التى ارتكبها الإسرائيليون فى نفس اليوم ضد الأسرى المصريين فى العريش .

باختصار يقول « والترديلى » أحد كبار رجال وكالة الأمن الأمريكى صراحة (بالنظر إلى قدرات إسرائيل فى مجال المخابرات وجمع المعلومات والاستطلاع فليس هناك مفر من الاعتراف بأنهم كانوا يعرفون أن ليبرتى سفينة أمريكية وأن مافعلوه كان نوعا من القتل العمد) . ويتفق « مارشال كارتر » مدير وكالة الأمن القومى مع هذا الرأى قائلا : (لم يكن هناك أى احتمال آخر سوى أن هذا العمل كان مدبرا وعمدا) ولكن الغريب أن هذا الرأى الحاسم الذى أدلى به مدير وكالة الأمن القومى الأمريكى لجيمس بامفورد مؤلف هذا الكتاب عام ١٩٨٠ قد وافقته رغبة بألا يعلن قبل موته والتزم المؤلف بذلك بالفعل .

أما الدكتور لويس توردیلا نائب مدير وكالة الأمن القومى فقد أعرب أيضا عن اعتقاده بأن الهجوم الإسرائيلى على ليبرتى كان متعمدا وأن الحكومة الإسرائيلية كانت تحاول تغطية ما فعلته . ووفقا للوثائق السرية للوكالة فإن توردیلا سجل هذا الرأى فى مذكرة داخلية بل وأبلغ وجهة نظره « لجورج ماهون » عضو الكونجرس الذى كان ينقب وراء الهجوم الإسرائيلى .. وقال «توردیلا » إنه يعتقد أن الأمر بشن الهجوم على ليبرتى أصدره قائد إسرائيلى كبير فى شبه جزيرة سيناء بعد أن ساوره الشك فى أن تكون ليبرتى تراقب ما يفعله . ووصف توردیلا التقرير الأمريكى حول الحادث ساخرا بأنه (محاولة ظريفة لغسيل الأيدى القذرة) .

أما الميجور جنرال « جون موريسون » نائب رئيس العمليات لوكالة الأمن القومى وقت الهجوم على ليبرتى فهو أيضا لم يبتلع التفسير الإسرائيلى ويقول صراحة (لا يمكن أن يصدق أحد هذا التفسير والأمر الوحيد المعقول هو أن الإسرائيليين لم يرغبوا فى أن تتنصت أمريكا على اتصالاتهم فى ذلك الوقت) .

وعندما تطرق المؤلف فى حديثه مع الجنرال موريسون إلى موضوع مذابح الأسرى المصريين فى العريش قال الجنرال (هذا سبب كاف فالإسرائيليون لم يرغبوا فى أن نعرف شيئا عن هذا الموضوع هذا هو الدافع) .

وحتى دون معرفة جرائم القتل التى كان الإسرائيليون يرتكبونها فى الصحراء فإن الكثيرين من خبراء وكالة الأمن القومى الذين قاموا بتحليل الاتصالات الإسرائيلية التى أرسلتها ليبرتى وطائرة التجسس أى سى - ١٢١ كانوا مقتنعين أن الهجوم على السفينة لم يحدث على سبيل الخطأ وكان هناك إجماع بين الجميع على أن الإسرائيليين قتلوا بحارة ليبرتى غدرا يوم ٨ يونيو ٦٧ هذا بالتحديد ما يقوله فيليب تورنى رئيس اتحاد المحاربين القدماء من بحارة السفينة ليبرتى .

الذى أضاف قائلا (هناك شكوك عميقة فى أن مسئولين منتخبين سوف يقدمون على أى خطوة تستفز اللوبى الإسرائيلى القوى من منطلق الخوف ولكن يجب الآن التحقيق فى هذه التغطية على الحادث).

وقد ظل الكابتن ماك جوناجل قائد السفينة ليبرتى لأكثر من ثلاثين عاما يرفض التفوه بكلمة حول ما إذا كان رجاله قد قتلوا غدرا.ولكن

أخيرا وفي نوفمبر ١٩٩٨ كان يحتضر بعد إصابته بالسرطان وهنا فقط كسر حاجز الصمت ليقول بكل وضوح (بعد كل هذه السنوات اعتقد بشكل حاسم أن الهجوم كان متعمدا ولا اعتقد أن تحقيقا ملائما قد جرى بهذا الشأن : كان العلم الأمريكي يرفرف على السفينة قبل الهجوم الإسرائيلى) . وبعد أربعة شهور من هذا التصريح الخطير وفي يوم ٣ مارس ١٩٩٩ مات الكابتن ماك جوناجل عن عمر يناهز الثالثة والسبعين .

وحتى خارج إطار وكالة الأمن القومي كان الكثيرون فى الإدارة الأمريكية لا يصدقون التقرير الإسرائيلى بأن ما حدث مع ليبرتى كان على سبيل الخطأ . ويقول « جورج كريستيان » السكرتير الصحفى للرئيس جونسون (بصراحة كانت هناك شكوك هائلة فى البيت الأبيض فيما ذكرته إسرائيل بأن الهجوم كان صدفة وكنت على اعتقاد بأن حادثا بهذا الحجم يصعب ابتلاعه . وإذا كان الهجوم متعمداً فإن السؤال يبقى هل جاء نتيجة لقرار تكتيكي من جانب بعض القيادات العسكرية الإسرائيلية أم أنه صدر عن مسئولين على أعلى مستوى .

وأخيرا أشارت مذكرة لوكالة الأمن القومى بعد ١٥ عاما من الحادث وتحمل خاتم (سرى للغاية) بالنص إلى ما يلى :

(قدم جميع أفراد طاقم ليبرتى الذين أدلوا بشهاداتهم حول الحادث أدلة دامغة على أن السفينة كانت ترفع العلم الأمريكى وأن الأحوال الجوية كانت مثالية للتعرف عليها مما دفع وزارة الخارجية لإبلاغ الحكومة الإسرائيلية بأن الهجوم الإسرائيلى على ليبرتى غير مفهوم . وهذا الهجوم يجب إدانته على الأقل باعتباره عملا عسكريا

متهورا يعكس تجاهلا مستهترا للحياة الإنسانية) .

وبالنسبة لما ردده الطيارون وأفراد زوارق الطوربيد الإسرائيلية بأنهم خلطوا بين ليبرتي والسفينة المصرية القصير المتخصصة لنقل الجنود فإن إسرائيل كانت أول من يعلم بأن السفينة المصرية كانت وقت الهجوم على ليبرتي ترسو بميناء الإسكندرية على مسافة ٢٥٠ ميلا من موقع الحادث وظلت هناك حتى نهاية الحرب . وغني عن القول أن المخابرات الإسرائيلية كانت تعلم بموقع كل سفينة مصرية قبل أن تشن الحرب على مصر في يونيو ١٩٦٧ .

وإلى جانب كل ذلك فإن أكذوبة الخلط بين ليبرتي والقصير تتضح تماما في ضوء حقيقة أن حمولة السفينة المصرية لا تتجاوز ١/٤ حمولة ليبرتي . كما أن طولها لا يتجاوز ١/٢ طول ليبرتي وهناك اختلاف كامل في الشكل بين السفينتين . أما بالنسبة للتوقعات حول دوافع إسرائيل لضرب السفينة ليبرتي فقد اختلفت .البعض اعتقد بأن إسرائيل توقعت أن التدمير الكامل للسفينة وقتل كل أفراد طاقمها قد يدفع الولايات المتحدة لتوجيه اللوم إلى الجمهورية العربية المتحدة (مصر) وبالتالي تدخل أمريكا الحرب إلى جانب إسرائيل . والبعض الآخر يرى أن القوات الإسرائيلية أرادت أن تبعد السفينة وأفراد طاقمها من طريقها .

أما مارشال توورديلا نائب مدير وكالة الأمن القومي فيقول (اعتقد أن الهجوم جاء تنفيذا لأوامر من قائد إسرائيلي كبير في شبه جزيرة سيناء بعد أن راودته الشكوك في أن ليبرتي تراقب ما يفعله) .

وقد أدلى توورديلا بهذا الرأي رغم عدم علمه بجرائم الحرب ضد الأسرى المصريين والتي كانت إسرائيل ترتكبها في سيناء بالقرب من

هوائيات وأجهزة الاستطلاع والتجسس على متن السفينة ليبرتى . ففى صباح ٨ يونيو تلقت القيادة العسكرية الإسرائيلية تقريرا بأن سفينة تجسس أمريكية كبيرة تتنصت سرا عليهم أمام سواحل العريش . وفى هذه اللحظة كان الجنود الإسرائيليون يذبحون المدنيين والأسرى المصريين بالمئات وهى حقيقة كانت تعرفها كل قيادات الجيش الإسرائيلى . وهناك مؤرخ عسكرى إسرائيلى آخر هو «يورى مايلشيتاين» الذى أكد بدوره أيضا هذه الحقيقة أن هناك العديد من الحوادث فى حرب الأيام الستة التى قتل فيها جنود مصريون بأيدى القوات الإسرائيلية بعد أن رفعوا أيديهم علامة على الاستسلام .

ويقول المؤرخ الإسرائيلى أن هذا لم يكن يمثل سياسة رسمية ولكن كان هناك مناخ عام بأنه لا مانع منه وقد قرر بعض القادة الإسرائيليين أن يفعلوا ذلك ورفض البعض الآخر ولكن الجميع كانوا يعرفون . إن إسرائيل لم تكن تدرى بعدم وجود مترجمى لغة عبرية على السفينة وأنهم كانوا موجودين على متن طائرة تحلق على ارتفاعات عالية ورغم ذلك فالأدلة على مذبحة الأسرى المصريين سجلت لدى وكالة الأمن القومى الأمريكى ولو لم يكن الطوربيد الإسرائيلى قد أصاب ليبرتى إصابة مباشرة لربما تم اكتشاف هذا الدليل عندما نقلت أو شحنت الشرائط إلى مقر وكالة الأمن القومى . وفى نفس الوقت فإن إسرائيل كانت تصرخ بأعلى صوتها وتردد المزاعم للولايات المتحدة والأمم المتحدة والعالم بأنها كانت ضحية لعدوان مصرى وأنها الدولة الوحيدة التى تلتزم بالمبادىء الأخلاقية فى هذه المنطقة . ولم يكن القادة الإسرائيليون يريدون أن تكون هناك تسجيلات لأدلة على المذابح التى يرتكبونها فى سيناء لتصل هذه

الأدلة بعد ذلك للبيت الأبيض أو الأمم المتحدة أو صحيفة الواشنطن بوست . وإذا كانت عمليات التشويش الإسرائيلية والهجوم الجوى الأول قد تمكن من تدمير كل الاتصالات منذ اللحظة الأولى : ولو كان زورق الطوربيد قد نجح فى إغراق السفينة ليبرتى بسرعة كما كان يريد : ولو كانت المدافع الرشاشة الإسرائيلية قد نجحت فى حصد كل بحارة ليبرتى : لو كان كل ذلك قد حدث لما كان هناك أحياء لكى يقصوا حكايات أخرى مختلفة عن تلك التى ذكرتها إسرائيل .

هذه هى الخلاصة التى توصلت إليها دراسة حول موضوع ليبرتى كتبها القومندان « والتر جاكبسون » الذى قال إن إمعان الفكر فى دوافع المهاجمين واستخدامهم لطائرات غير مميزة بعلامات وضربهم لزوارق النجاة يثير احتمالات مزعجة بما فى ذلك أن الهدف كان هو قتل جميع أفراد طاقم السفينة .

ويلخص الأدميرال « توماس مورر » الذى عين رئيسا للعمليات البحرية بوكالة الأمن القومى بعد ضرب ليبرتى مباشرة بقوله (يجب أن نصل إلى نتيجة واحدة وهى أن إسرائيل كانت تنوى إغراق ليبرتى بحيث لا يبقى على قيد الحياة من بحارتها سوى أقل عدد مكن) .

ويقول الأدميرال « مورر » فى كلمة ألقاها عام ١٩٩٧ فى ذكرى مرور ٤٠ عاما على الحادث (كانت إسرائيل تعرف جيدا أن هذه السفينة أمريكية) .

وقد تلقت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تقريرا فى ٢٧ يوليو ١٩٦٧ يتضمن معلومات أبلغها مسئول حكومى إسرائيلى لأحد عملاء الوكالة .. ويقول هذا التقرير (بالنظر إلى هجوم الطائرات وزوارق الطوربيد الإسرائيلية على السفينة ليبرتى يجب أن يتذكر الجميع أنه

لا مجال ولا وقت لحدوث أى خطأ فى هذه الحرب . لقد كانت هوية السفينة معروفة قبل ٦ ساعات من الهجوم ولكن القيادة الإسرائيلية لم تكن متأكدة من عدد الأشخاص الذين بوسعهم الاطلاع على المعلومات التى تحصل عليها ليبرتى أو إلى أين تذهب هذه المعلومات ولكن فى كل الأحوال كان الإسرائيليون يعرفون جيدا نوع السفينة ليبرتى وطبيعة المهمة التى تقوم بها أمام سواحل العريش .

ويشير تقرير آخر لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية تم إعداده ١٩٧٩ إلى أن إسرائيل لم تكن فحسب تعرف الكثير عن التنصت الاليكترونى فى حرب ١٩٦٧ بل كان هذا الأسلوب مصدرا أساسيا لمعلوماتها عن العرب . وخلال حرب الأيام الستة نجح الإسرائيليون فى اختراق واعتراض والتقاط حجم هائل من الاتصالات العربية بسرعة وبدقة بما فى ذلك محادثة تليفونية على أعلى مستوى بين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والملك حسين ملك الأردن . بل وكانت إسرائيل أيضا تتجسس على الاتصالات السلكية العربية وفى بعض الأحيان كانت تدمر خطوط الاتصالات السلكية للعرب .

ويشير تقرير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إلى أن إسرائيل كانت تضع التجسس على الولايات المتحدة فى المرتبة الثانية بعد العالم العربى . وكانت الأهداف الرئيسية للمخابرات الإسرائيلية هى جمع المعلومات السرية حول السياسة الأمريكية أو قرارات واشنطن المتعلقة بها .

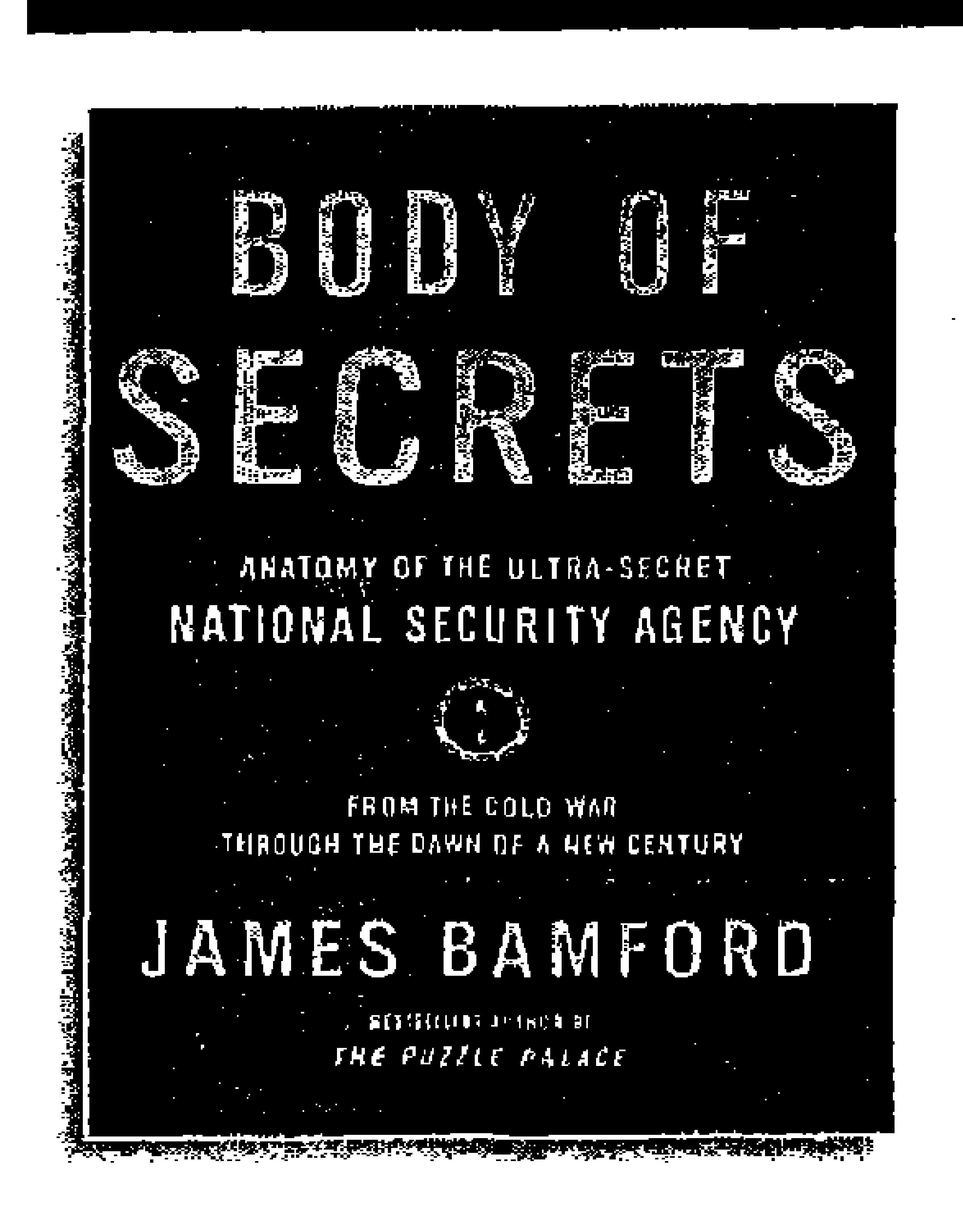
لقد ظلت إسرائيل طوال تاريخها تحاول إخفاء سجلها البغيض والأسود فى مجال انتهاكات حقوق الإنسان وراء مزاعم دينية . وكان يتم إسكات كل من ينتقد إسرائيل من خلال اتهامه بمعاداة السامية

بما فى ذلك بعض الذين نجوا من الهجوم الإسرائيلى الدموى على السفينة ليبرتى وواتتهم الجرأة بأن يطالبوا بالتحقيق . وهناك أدلة على ارتكاب إسرائيل لجرائم القتل العمدى للمدنيين والتى مازالت مستمرة حتى اليوم .

ومنذ الهجوم الإسرائيلى على السفينة ليبرتى قدم دافعوا الضرائب الأمريكيون دعما ماليا لإسرائيل وصلت قيمته إلى مائة مليار دولار على الأقل . لذلك يجب فتح التحقيق مرة أخرى فى حادث السفينة ليبرتى وفى نفس الوقت يجب على وكالة الأمن الأمريكى أن تعلن كل المعلومات التى لديها والتى حصلت عليها من طائرة التجسس أى سى ١٢١ وأى مصدر آخر كان يراقب ما فعلته إسرائيل فى ٨ يونيو ١٩٦٧ . كل هذه الوثائق والمستندات الدامغة موجودة الآن فى أحد الأدراج بمكتب المجموعة ٦٤٣ وهى القسم المختص بالشئون العسكرية الإسرائيلية فى وكالة الأمن القومى الأمريكى .

لقد انتهى وقت إضفاء السرية على حادث ليبرتى سواء فى إسرائيل أو الولايات المتحدة وبناء على كل ما سبق فهناك بالتأكيد أكثر من سبب كاف لإجراء تحقيق جاد فيما حدث ولماذا حدث .

الفصــل الثامن



احترام الحريات ومطاردة الإرهاب الدولى

● من خلال الأقمار الصناعية والطائرات والسفن ومواقع التنصت البرية تقوم وكالة الأمن القومي الأمريكي بمطاردة منظمات الإرهاب الدولي وزعمائها لمدة ٢٤ ساعة كل يوم .. ويقول المسئولون في الوكالة : إن أسامة بن لادن الذى تتهمه واشنطن بأنه أخطر إرهابى فى العالم يتم رصده وتسجيل اتصالاته ومكالماته التليفونية بما في ذلك تلك التى يجريها عبر تليفونه المحمول مع والدته ●

عندما يتردد اسم وكالة الأمن القومي الأمريكي « إن اس إيه » يثور دائما سؤال هام ومزعج في نفس الوقت وهو هل تتجسس هذه الوكالة على المواطنين الأمريكيين ؟ والحقيقة أن السجل القديم لوكالة الأمن القومي في هذا المجال يثير الخزى ليس فقط لما فعلته بل لكيفية تورطها في بعض الأفعال . ففي أواخر الستينيات كانت وكالة الأمن القومي عبارة عن جهاز لا تحكمه القوانين أو التشريعات ويقودها رجل يسيطر عليه هاجس السرية والسلطة . في ذلك الحين « لويس torديلا » نائبا لمدير الوكالة لمدة تزيد على عشر سنوات نجح خلالها في تحويلها من جهاز هامشي متخلف لتصبح أضخم منظمات المخابرات وأشدها سرية وغموضا في تاريخ الولايات المتحدة . ولم يحدث قبل ذلك أن تمتع شخص واحد بكل هذه السلطة والنفوذ في عالم المخابرات الأمريكية كما حدث مع « توردیلا » ولكن بينما كان كبار المسئولين الأمريكيين ينجذبون إلى تلميع انفسهم أمام الرأى العام كما تنجذب الفراشات إلى مصابيح الشوارع ، كان « لويس توردیلا » ينجذب نحو الغموض والظلام . وكان الظلام والغموض الذى يحيط بعالم « توردیلا » كثيفا إلى الحد الذى جعله يضيع أو يتوه داخله . ولم يعد قادراً على تمييز الحدود أو الفوارق بين

المواطنين الأمريكيين والأعداء الأجانب أو بين حكم القانون المعلن وسلطة الطغيان السرية . كان « تورديلا » يتصرف وفق ما تسمعه أذناه فقط دون استخدام عينيه ولذلك قاد وكالة الأمن القومي إلى الجحيم وأسقطها في هاوية بلا قرار .

وهكذا ففي خريف عام ١٩٦٧ عندما طلب الجيش الأمريكي التنصت على مواطنين أمريكيين وجماعات أمريكية نفذت الوكالة هذا الطلب بطريقة عمياء ودون مناقشة .

في ذلك الحين كانت المؤسسة العسكرية الأمريكية تشعر بالقلق الشديد من المسيرات والمظاهرات التي كانت تندلع أمام مبنى البنتاجون (مقر وزارة الدفاع الأمريكية) والتي تم تنظيمها احتجاجاً على الحرب في فيتنام . وأعد المسئولون العسكريون قائمة بزعماء حركة الاحتجاج وطلبوا من وكالة الأمن القومي وضع كل من ورد اسمه في هذه القائمة تحت المراقبة . وخلال الشهور التالية تورطت منظمات مخابرات أمريكية أخرى مثل المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي في هذا الموضوع . وشملت القائمة أسماء مثل «جوان بايز » المغنية الشعبية التي اعتبرت مصدراً للتهديد وطبيب الأطفال « بنجامين سبوك » والممثلة الشهيرة « جين فوندا » والدكتور « مارتن لوثر كينج » وغيرهم كثيرون ، وبمرور الوقت تضخمت هذه القائمة رويداً رويداً لتشمل أشخاصاً آخرين من الأمريكيين بمجرد الاشتباه في علاقتهم بقيادات حركة الاحتجاج على حرب فيتنام .

وقد اكتسبت قائمة الأمريكيين المطلوب مراقبتهم أهمية إضافية في أول يوليو ١٩٦٩ عندما اطلق عليها اسم كودي هو « مينيريت Minaret » . وكان كل اسم في هذه القائمة يخضع لكل وسائل

المراقبة خاصة « الاتصالات » التى يقوم بها ولم يقتصر ذلك على الأفراد فقط بل إمتد ليشمل المنظمات والجمعيات أيضاً . وشملت هذه القائمة من وصفتهم بالمتورطين فى أعمال العصيان المدنى والحركات المناهضة للحرب والمشاركين فى المظاهرات ومن يرفضون أداء الخدمة العسكرية ويشاركون فى الجماعات المعارضة للحرب . وفى نفس الوقت حاولت وكالة الأمن القومى إبعاد وإخفاء أى دليل يشير إلى تورطها فى هذه العملية غير المشروعة قانونياً . ولذلك كان هناك حرص على عدم إعلان علاقة وكالة الأمن القومى بعملية « مينريت » وقد أعرب « فرانك راڤين » المسئول عن المجموعة «G» والمختصة بالتجسس عن العالم الشيوعى عن استيائه من هذا التحول الفجائى لوكالة الأمن القومى نحو التنصت الداخلى أى على المواطنين الأمريكيين ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً لوقف ذلك التدخل . وذات مرة احتج « رافين » بقوة عندما أعطوه اسم مواطن أمريكى وطلبوا منه مراقبته والتنصت على اتصالاته . ويتحدث « رافين » عن هذه الواقعة بقوله (لقد حاولت الاعتراض على ذلك على أسس دستورية وتساءلت عما إذا كان التجسس على مواطن أمريكى يعد أمراً مشروعاً أم لا ؟ وما إذا كان يعد أمراً مشروعاً أم لا وما إذا كان يتعين علينا أن نفعل ذلك أم نرفض ذلك أم نرفض بشدة . وكان ردهم أن هذا أمر غير قابل للمناقشة وصدر عن أعلى المستويات فى الولايات المتحدة) ويسخر هذا المسئول بشدة من هذه الأوامر الصادرة عن أعلى المستويات بقوله إن بعض الأهداف التى طلبوا منا التجسس عليها كانت حمقاء ولا يمكن أن تصدر إلا عن (حمير) والدليل على ذلك أن « إدجار هوفر » مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى

طلب من وكالة الأمن القومى فرض رقابة كاملة على جميع أفراد طائفة « الكويكرز » (الصاحبيون) فى الولايات المتحدة الأمريكية رغم أن الرئيس « ريتشارد نيكسون » نفسه ينتمى إلى هذه الطائفة وهو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية .

ومن الواضح أن « هوفر » كان يؤمن بأن هذه الطائفة الدينية تقوم بشحن الأغذية والمؤن لجنوب شرقى آسيا .

ومنذ تولى الرئيس « ريتشارد ميل هاوس نيكسون » منصبه كرئيس لأمريكا فى يناير ١٩٦٩ قام بشن حرب على جبهتين .. الأولى فى جنوب شرقى آسيا ضد فيتنام الشمالية والثانية كانت على الجبهة الداخلية الأمريكية ضد جيش المواطنين المناهضين للحرب . وفى إطار قناعته بوجود قوى اجنبية تمول حركة مناهضة الحرب فى أمريكا ، التقى « نيكسون » يوم ٥ يونيو ١٩٧٠ بمكتبه البيضاوى مع الأدميرال « نويل جايلر » الذى كان مديراً لوكالة الأمن القومى فى ذلك الحين ومعه رؤساء وكالة المخابرات المركزية ووكالة مخابرات الدفاع ومكتب التحقيقات الفيدرالى .

وخلال هذا الاجتماع قال « نيكسون » : (وفقا لمراجعتى للمعلومات التى نتلقاها فى البيت الأبيض أصبحت مقتنعا بأننا لا نعطى حاليا الاهتمام الكافى لمجتمع المخابرات من أجل جميع المعلومات حول أنشطة تلك المنظمات والجماعات الثورية) .

ووفقا لما قاله الجنرال « دونالد بينيت » رئيس وكالة مخابرات الدفاع فإن « نيكسون » قد وبخهم بشدة وسخر منهم .

وبالنسبة « لتورديلا » مدير وكالة الأمن القومى فقد أعتبر هذا التغيير فى السياسة فرصة أرسلتها السماء للوكالة التى يرأسها .

فأخيرا سيكون بوسعه توجيه الهوائيات وأجهزة التنصت والتقاط الرسائل نحو الداخل تجاه بيوت الأمريكيين ومكاتبهم . وقدم مسئولو أجهزة المخابرات الأمريكية مذكرة للرئيس « نيكسون » حول مقترحاتهم بهذا الشزن للتوقيع عليها وتضمنت هذه المذكرة كيفية مشاركة وكالة الأمن القومى فى عمليات المراقبة والتنصت داخل أمريكا .

وأعطت هذه المذكرة تفويضا لوكالة الأمن القومى لتغطية اتصالات المواطنين الأمريكيين عبر الوسائل الدولية . ومن أجل تحقيق ذلك لم تكن الوكالة بحاجة إلى إذن قضائى أو أى تصريح آخر وكان بوسعها التنصت على المكالمات والبرقيات الدولية لأى شخص على عكس مكتب التحقيقات الفيدرالى الذى لم تكن لديه سلطة مراقبة الاتصالات الدولية وما زالت وكالة الأمن القومى حتى الآن تقوم بهذه العملية ولكن فى إطار قيود معينة كما أن المعلومات التى تحصل عليها تكون ذات فائدة كبرى وجزء منها يستفيد منه البيت الأبيض نفسه .

وإذا كان « توردیلا » قد سعد كثيرا بهذه السلطات الجديدة فإن « ادجار هوفر » مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى قد اشتعل غضبا بعد أن قرأ هذه المذكرة لأنه أدرك أنها تعطى وكالة الأمن القومى ووكالات المخابرات الأخرى الحق فى الدخول إلى منطقته إلى الحد الذى يشكل تهديدا لسيطرته الشاملة على الأمور الداخلية . لذلك اندفع « هوفر » إلى مكتب المدعى العام « جون ميتشل » وطالب بسحب ما ورد فى هذه المذكرة باعتباره يشكل انتهاكا للحريات المدنية وقال إن التجاوزات والانتهاكات القانونية الواردة فى هذه المذكرة لا يمكن أن تشكل سياسة رئاسية . وأخيرا نجح « جون ميتشل » فى

اقناع نيكسون بإلغاء هذه المذكرة .. وبعد خمسة أيام من التوقيع عليها قرر الرئيس سحب موافقته .

وأدى ذلك إلى إثارة غضب « تورديلا » والجنرال « جايلز » بسبب احتجاج « هوفر » وإلغاء المذكرة . ولكن « تورديلا » و« جايلر » استمرا في القيام في أعمال المراقبة والتنصت الداخلية دون أى تفويض ولسنوات طوال ولم يجدا أى سبب للتوقف لمجرد أن الرئيس قد سحب موافقته رسميا . والحقيقة أن مراقبة الأشخاص الذين تضمنتهم (قائمة المشبوهين الأمريكيين) استمرت وبسرعة أكبر مما كانت عليه من قبل رغم أن الخطة الأصلية التى أقرها نيكسون ثم ألغاها كانت وضعت فى خزانة « جون ويسلى دين » مسئول الأمن الداخلى بالبيت الأبيض .

وبعد ثلاث سنوات عادت هذه المذكرة مرة أخرى لتطارد الرئيس «نيكسون » وكأنها جثة خرجت من قبرها . ففى ذلك الحين كانت رئاسة « نيكسون » تواجه كارثة بسبب فضيحة « ووتر جيت » وكان المكتب البيضاوى بالبيت الأبيض وهو المخصص لرئيس الولايات المتحدة يشبه خندقا دمرته القذائف وهدمته القنابل . وكان كل يوم جديد يأتى معه بشرخ آخر فى جدار رئاسة « نيكسون » . وكان من بين أخطر المشكلات من شقاق « جون دين » مسئول الأمن الداخلى بالبيت الأبيض . لذلك أعطى « جون دين » المذكرة التى كانت مدفونة فى خزانته لسلطات الادعاء فى قضية ووتر جيت وذلك فى إطار صفقة يحصل بمقتضاها على الحصانة . وفى ١٦ مايو ١٩٧٣ التقى الرئيس ريتشارد نيكسون الذى كان فى حالة شديدة من القلق والانزعاج بمحاميه « فريد بوجارت » لمناقشة التطورات الجديدة فى

القضية وبادر نيكسون محاميه بسؤال : (ما هذا بحق الجحيم) ورد المحامي بقوله (سيدى الرئيس هناك مذكرة بخصوص قيام المخابرات بجمع معلومات على الصعيد الداخلى أى عن مواطنين داخل الولايات المتحدة) .

واشتم « نيكسون » رائحة ابتزاز وقال (حسنا هى إذن فى المنطقة الداخلية .. إنه يعتقد أن بوسعه أن يخيفنا .. بحق الله ما هذا ؟ فى اعتقادك لماذا لعب هذه اللعبة) ورد المحامى قائلاً (ليس لدى أدنى فكرة يا سيادة الرئيس ولكننى وجدت نسخة من هذه المذكرة فى وكالة الأمن القومى إن اس إيه وقد تحدثت لتوى مع « تورديلا » بهذا الشأن) .

كان يوم ١٦ مايو يوافق يوم أربعاء وبعد ظهر ذلك اليوم كان المحامى « بوجارت » يشعر بالقلق بشكل خاص لأن هذه الوثيقة تظهر بوضوح أن الرئيس نيكسون أصدر أوامره لوكالة الأمن القومى وعلى نحو غير مشروع بمراقبة مواطنين أمريكيين . ورغم ذلك فحتى بعد مرور أربع سنوات فى البيت الأبيض لم تكن لدى « نيكسون » أى فكرة عن حقيقة وكالة الأمن القومى رغم أنه بالفعل وقع الوثيقة بنفسه . ووجه المحامى حديثه إلى الرئيس نيكسون قائلا : (الآن أصبحت على ثقة من أن « إن اس إيه » ...) .

وهنا قاطعة « نيكسون » :

(ماذا تقصد بقولك إن إس إيه ؟ ما هو العمل الذى تقوم به ؟) .

ورد المحامى على تساؤلات الرئيس « نيكسون » بقوله : (الحقيقة اننى لا أعرف على وجه الدقة أو بالتفصيل ولكنهم يراقبون الاتصالات ويسجلونها . أنهم فى حقيقة الأمر لا يقومون بأنشطة تجسس) .

ورد نيكسون قائلا :

(أى شىء فعلته إن اس إيه كان يمكن الدفاع عنه تماما) . ووافق المحامى وقال :

(أعتقد يمكن الدفاع عنه ولكنى أعتقد أيضا أنهم مضوا إلى أبعد مما ينبغى بعض الشىء فيما يتعلق بالشئون الداخلية) .

واجتاحت الحيرة نيكسون مرة أخرى وقال :

(حسنا تقصد أنهم التقطوا أو سجلوا باستخدام .. ماذا تقصد هل تقصد المراقبة الإليكترونية) . ورد المحامى :

(نعم يا سيدى اعتراض الاتصالات والتنصت عليها وهى عبارة عن محادثات لمواطنين أمريكيين تمت عبر شبكات الاتصال الدولية)

وسأل « نيكسون » محاميه :

(هل فعلوا ذلك بسبب قلقهم من أحتمال تورط هؤلاء الأشخاص فى العنف ؟) .

ورد المحامى على سؤال نيكسون بقوله :

(نعم يا سيدى) .

لم يكن نيكسون قد نسى بأنه وقع هذه الوثيقة بنفسه بل نسى أيضاً أنه ألغاها بعد خمسة أيام من توقيعها . وكانت وكالة مخابرات الدفاع هى التى لفتت نظر محامى نيكسون إلى هذه الحقيقة . وقال المحامى للرئيس نيكسون :

(لقد أبلغونى بأن هذه المذكرة ألغيت ولم يعمل بها ولكننا الآن سنحاول التأكد من هذه الحقيقة من خلال وكالة الأمن القومى وسوف يكون ردهم شديد الأهمية لسبب بسيط هو أن وكالة الأمن القومى إن إس إيه كانت هى أشد المتحمسين لهذا الموضوع) .

وعلق « نيكسون » على ذلك بقوله :

(إن إس إيه .. ربما تكون إن إس إيه هذه قد فعلت شيئاً يحسب عليها مثل التنصت الاليكتروني) .

وانتقل نيكسون مع محاميه بعد ذلك لمناقشة المعركة الطويلة بين وكالة الأمن القومي ومكتب التحقيق الفيدرالي حول قضية التنصت على السفارات الأجنبية في واشنطن . وكان توردىلا نائب رئيس وكالة الأمن القومي قد مارس ضغوطا شديدة على « أدجار هوفر » رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي لكي يقوم بالتنصت على هذه السفارات وسرقة رموز اتصالاتها والشفرات التي تستخدمها . وقد خضع هوفر لهذه الضغوط ووافق بهذه العمليات لعدة سنوات ولكن في عام ١٩٦٧ قرر التوقف تماما خوفا من تفجر فضيحة كبرى إذا تم اكتشاف رجاله وهم يقومون بهذه العمليات وفي محاولة لإجبار «هوفر» على التعاون مرة أخرى في هذا المجال عقد اجتماع بين «نويل جايلر » رئيس وكالة الأمن القومي و « ادجار هوفر » والمدعى العام « جون ميتشيل » يوم ٢٩ مارس ١٩٧١ . وفي هذا الاجتماع أكد « جايلر » رغبة « إن إس إيه » في استئناف عمليات التنصت على اتصالات السفارات الأجنبية في واشنطن .

وانفجر غضب « هوفر » قائلا أنه ليس متحمسا لذلك على الإطلاق نظراً لما يمكن أن يسببه من مشكلات لمكتب التحقيقات الفيدرالي الذي يرأسه . وانفض الاجتماع مع استمرار الخلاف بين جايلر وهوفر .

ولكن بعد وفاة « إدجار هوفر » في ٢ مايو ١٩٧٢ استأنف مكتب التحقيقات الفيدرالي مرة أخرى عمليات التنصت على السفارات الأجنبية في واشنطن لحساب وكالة الأمن القومي الأمريكي .

وخلال الاجتماع الذى عقد فى المكتب البيضاوي فى مايو ١٩٧٣ بين نيكسون ومحاميه جرت مناقشة قضية التجسس على السفارات التى أضيفت إلى قائمة المشكلات التى ربما تطفو على السطح وتواجه الرئيس الأمريكى كنتيجة لانشقاق مسئول الأمن الداخلى للبيت الأبيض « جون دين » . وقد تولى « باتريك جراى » منصب مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى بعد وفاة « هوفر » وعندما ابلغ محامى نيكسون الرئيس الأمريكى بأن المسئول الجديد فى مكتب التحقيقات استأنف عمليات التجسس على السفارات تعجب نيكسون قائلا :

(اللعنة من الذى ابلغك بذلك ؟) .

ورد المحامى :

(تورديلا فقد ذهب إليه بات لزيارته فى وكالة الأمن القومى ومعه أربعة من مساعديه وأعرب له عن استعداده لاستئناف تعاونهما معا فى مجال التنصت على السفارات) .

وقد أشار نيكسون فى حديثه إلى محاميه إلى أن هذه العمليات شملت سفارتى الهند وباكستان وربما أدى ذلك إلى فك الشفرات التى كانت تستخدم فى ارسال واستقبال البرقيات من وإلى هاتين السفارتين وطالب نيكسون بالعمل على دفن هذا الموضوع إلى الأبد .

وقد استمر اجتماع نيكسون مع محاميه بوجارت حتى ساعة متأخرة من الليل ثم استأنف فى الصباح التالى . وكان الاثنان فى حالة من القلق ليس فقط بسبب وثيقة التنصت على المواطنين الأمريكيين التى وقعها نيكسون بل أيضا من احتمال أن تكون وكالة الأمن القومى « إن إس إيه » قد سجلت سراً أى محادثات رسمية بينها وبين مسئولى البيت الأبيض حول وضع المواطنين الأمريكيين

تحت الرقابة أو التنصت على السفارات الأجنبية . وقال المحامى « بوجارت » : (لن أكون مندهشا إذا اتضح أن وكالة الأمن القومى تسجل محادثاتها واتصالاتها مع البيت الأبيض . ولا أعتقد أنهم سيعترفون بذلك) . ورد نيكسون بقوله :

(لا يجب ألا يعترفوا على الإطلاق) .

وكان معنى هذا الرد من جانب « نيكسون » هو إقتناعه بأن وكالة الأمن القومى سجلت سراً كل الاتصالات التى تمت بينها وبين البيت الأبيض . وخلال هذه المناقشة التى دارت يومى ١٦ ، ١٧ مايو ١٩٧٣ بين الرئيس نيكسون ومحاميه بوجارت جرت أيضاً مناقشة أحد أخطر الأسرار والعمليات غير المشروعة التى قامت بها وكالة الأمن القومى الأمريكى فى ذلك الحين .

وقد أطلق على هذه العملية اسم كودى هو « شامروك » . وكانت هذه العملية تتعلق باتفاق تقوم بمقتضاه شركة أمريكية كبرى للتلغراف مثل شركة « ويسترن يونيون » سراً بتسليم وكالة الأمن القومى الأمريكى نسخاً من جميع البرقيات المرسلة من وإلى الولايات المتحدة يومياً . وكانت وكالة الأمن القومى الأمريكى قد أعدت خلال السبعينيات قائمة بالأشخاص الموضوعين تحت المراقبة داخل أمريكا وتضم أسماء ٦٠٠ مواطن أمريكى .

وقد وضعت هذه الأسماء داخل أجهزة الكمبيوتر بوكالة الأمن القومى وكانت جميع الاتصالات التى تخص أى من هذه الأسماء مثل البرقيات يتم فحصها وترسل بعض ذلك إلى أى مسئول فى الحكومة الفيدرالية يطلبها .

لم يكن الرئيس نيكسون مهتماً كثيرا بهذه النقطة لسبب بسيط هو

أنها ليست مرتبطة بشكل مباشر بمشكلاته في فضيحة ووتر جيت .
ولحسن الحظ لم يتحدث نيكسون وبوجارت كثيرا عن عملية «شامروك » . ولكن في عام ١٩٧٥ ، أى بعد عامين من استقالة نيكسون بدأ تحقيق آخر يقترب من هذه العملية . وكان التحقيق هذه المرة يجريه السيناتور فرانك تشيرشى عضو مجلس الشيوخ عن ولاية « ايداهو » حول الأعمال غير المشروعة التى ارتكبتها أجهزة المخابرات الأمريكية .

وكان أحد المحققين فى هذه اللجنة هو بريت شنايدر وهو محام فى الثلاثين من عمره وقال إنه اسندت إليه مهمة محاولة كشف ما يعتبره الكثيرون الأعمال غير المشروعة التى ارتكبتها أشد أجهزة المخابرات الأمريكية غموضا إلا وهى وكالة الأمن القومى الأمريكى . وقد حذره رئيسه فى بداية هذه المهمة بقوله :

(إنهم يطلقون عليها اسم الوكالة التى لا يعرفها أحد) .

وقد بدأ « شنايدر » مهمته بسؤال مكتب الأبحاث فى الكونجرس عن المعلومات المتاحة حول وكالة الأمن القومى الأمريكى . وكان رد المكتب عليه هو إرسال فقرة قصيرة من عدة سطور وردت عن الوكالة فى كتيب حول المنظمات الحكومية الأمريكية بالاضافة إلى صورة من إحدى صفحات مجلة صادرة فى عام ١٩٧٥ وبها بعض السطور أيضا عن الوكالة . وكان السبب فى ضآلة هذه المعلومات هو أن وكالة الأمن القومى لم تكن بينها وبين الكونجرس أى علاقة معلنة وكانت المعلومات الوحيدة ذات القيمة حول اسرار وكالة الأمن القومى قد وردت فقط فى أحد تقارير التحقيقات الخاصة بأنشطة المخابرات الأمريكية وهو تحقيق كان يقوده نائب الرئيس « نيلسون روكفلر »

وأشار إلى أن مكتب هذه الوكالة فى نيويورك وقد زودتها به وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لاستخدامه فى نسخ البرقيات . وقد حصل شنايدر أيضا على معلومات تشير إلى أن المخابرات المركزية به طلبت من وكالة الأمن القومى وضع بعض المواطنين الأمريكيين النشطاء فى حركة مناهضة الحرب تحت المراقبة .

وقال شنايدر عندما وصلته هذه المعلومة :

(أخيرا وجدنا شيئا نغرس أسناننا فيه) .

ولمدة أسابيع ظل المحقق « بريت شنايدر » يطرح الأسئلة على وكالة الأمن القومى ويطلب منها الوثائق وأخيراً ردت الوكالة بأن المسألة شديدة الحساسية لدرجة أنها لن تتحدث بشأنها إلا مع رئيس اللجنة السيناتور « تشيرشى » نفسه و « جون تاور » عضو الكونجرس وزعيم الأقلية . ولكن حدثت مفاجأة فى ذلك الحين عندما نشرت صحيفة نيويورك تايمز قصة تشير إلى أن وكالة الأمن القومى تتنصت على اتصالات مواطنين أمريكيين تتم عبر شبكات الاتصال الدولية . وهكذا لفتت هذه الادعاءات أنظار الرأى العام وحاولت وكالة الأمن القومى شرح موقفها ولذلك سمحت للمحقق بريت شنايدر بالحصول على معلومات حول العملية شامروك التى كانت سرية للغاية لدرجة أن عدداً قليلاً فقط من المسئولين بالوكالة كانوا يعرفون بوجودها .

واعترف أحد مسئولى الوكالة للمحقق شنايدر بأن أشرطة تسجيل كانت تصل يوميا إلى الوكالة تحتوى على نسخ للبرقيات الاتصالات دولية مرسلة من نيويورك عبر ثلاث شركات أمريكية للتلغراف . وكان يتم تفريغ هذه الشرائط لمعرفة مضمونها ولتفسير أى رمز أو شيفرة

قد تكون موجودة فيها . ورغم أن البرقيات المرسلة من مواطنين امريكيين إلى خارج الولايات المتحدة كانت تسجل أيضاً على هذه الشرائط إلا أن الوكالة كانت تهتم أكثر بالرسائل الداخلية . وقالت الوكالة للمحقق أن هذه العملية قد انهيت بناء على أوامر من وزير الدفاع بمجرد بدء التحقيق فيها . وعندما سألهم المحقق عما إذا كان قرار إنهاء العملية قد اتخذ بعد أن علموا بإجراء التحقيق كان الرد بأن ذلك غير صحيح وأن سبب الإنهاء كان هو أن العملية لم تكن تسفر عن الحصول على معلومات ذات قيمة كبيرة .

وعندما حاول المحقق معرفة خلفيات العملية شامروك .. كيف بدأت.. ومن الذى اقرها .. وما هى المدة التى استغرقتها ؟ كان الرد دائما مبهما وغير محدد ولا يقدم اى معلومة سوى أن الوحيد الذى كانت لديه كل اسرارها هو الدكتور « لويس توردیلا » الذى تقاعد من منصبه كنائب لمدير وكالة الأمن القومى فى أبريل ١٩٧٤ .

وفى أحد أيام شهر سبتمبر توجه المحقق شنايدر إلى منزل «توردیلا» فى ولاية ميرى لاند . لم يكن مسئول الوكالة السابق مرتاحاً للحديث إلى محقق من لجان الكونجرس ولكنه قال أنه لا يشعر بالقلق وسأل المحقق عن معلوماته بخصوص العملية « شامروك » فحكى له كل ما توصل إليه وهناك تنهد الرجل وزفر زفرة حارة ثم بدأ حديثا استمر لعدة ساعات .

قال توردیلا إن جذور عملية شامروك ترجع إلى الأيام التى أعقبت الحرب العالمية الثانية وقد شاركت فيها كل الشركات الأمريكية الكبرى العاملة فى مجال الاتصالات الدولية ولكنها اشترطت أن يكون الرئيس الأمريكى فى ذلك الحين هارى ترومان والمدعى العام توم

كلارك على علم بالعملية ويوافقان على استمرارها .

وفي عام ١٩٧٣ كان وزير الدفاع الأمريكي « جيمس شليزنجر » هو المسئول الوحيد الذى تأكدت معرفته بهذه العملية السرية ورغم أن وكالة الأمن القومى من المفروض أنها تتبع وزير الدفاع من الناحية الرسمية .

ومضى توريلا يتحدث عن عملية شامروك الخاصة بالتنصت على اتصالات المواطنين الأمريكيين فقال :

(فى عام ١٩٦٦ قدمت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مكتبا لوكالة الأمن القومى لاستخدامه فى نسخ الرسائل والبرقيات التى تحصل عليها من شركات الاتصالات . واستمر هذا المكتب حتى عام ١٩٧٣ عندما انسحبت المخابرات المركزية من هذه العملية بناء على نصيحة من محاميها ورتبت وكالة الأمن القومى للاعتماد على نفسها وحصلت على مكتب فى منطقة مانهاتن . لم يكن الكثيرون من العاملين فى الوكالة يعرفون أى شىء عن العملية « شامروك » التى فكرت إدارة الرئيس نيكسون فى تحويلها إلى مكتب التحقيقات الفيدرالى ليكون مسئولا عنها ولكن المكتب رفض . وعندما سأل المحقق توريلا عما إذا كان يعتقد أن التنصت على اتصالات المواطنين الأمريكيين يعد عملا شرعياً رد قائلا : (عليك التوجه بهذا السؤال لأحد المحامين) .

وأوضح النائب السابق لمدير الأمن القومى أن شركات الاتصالات الأمريكية كانت تتعاون فى تقديم نسخ من برقيات المواطنين التى تتم من خلالها انطلاقا من دوافع وطنية لأن المسئولين فى هذه الشركات كانوا يعتقدون أن وكالة الأمن القومى تريد هذه التسجيلات للبحث

عن جواسيس أجانب وكانت هذه بالتحديد هي مهمة وكالة الأمن القومي كما يقول تورديلا . وبالنسبة لاستخدام هذه التسجيلات في مراقبة المواطنين الأمريكيين فقد كانت هذه مسألة لا تخطر على بال شركات الاتصالات الأمريكية التي كانت تفعل فقط ما طلبته منها الحكومة وعلى أساس أن ذلك شيء هام للأمن القومي .

وعندما انتهى المحقق شنايدر من إعداد تقريره أوصى بعدم نشر أسماء شركات الاتصالات التي تورطت في هذه العملية ولكن المستشار القانوني في لجنة التحقيق « فريدريك شفارتس » تمسك بضرورة إعلان أسماء هذه الشركات لأن واجبها كان يفرض عليها حماية خصوصيات زبائنها ولذلك فهي تستحق تعريفها وكشفها .

ووافقت لجنة التحقيق في النهاية على إعلان تقريرها على الرأي العام رغم اعتراضات وكالة الأمن القومي مما أدى إلى استياء الحزب الجمهوري الأمريكي الحاكم لدرجة أن الرئيس جيرالد فورد الذي تولى السلطة بعد استقالة نيكسون قد اتصل برئيس اللجنة السيناتور تشيرشي وغيره من أعضاء مجلس الشيوخ وطالبهم بإعادة النظر في هذا الموضوع ولكنهم أصروا على المضي قدماً وتم استدعاء الجنرال « ليو ألين » مدير وكالة الأمن القومي للإدلاء بشهادته أمام اللجنة في جلسة علنية وهو موقف لم يسبق له مثيل بالنسبة للوكالة . وازدحمت قاعة الجلسة بكاميرات التليفزيون ورجال الصحافة وقال المحقق شنايدر في البداية أن عملية التنصت على اتصالات المواطنين الأمريكيين غير مشروعة وأن كشفها لا يسبب أي أضرار للأمن القومي وارتفعت أصوات الاحتجاج من جانب الأعضاء الجمهوريين ومن بينهم السيناتور اليميني المتطرف « باري جولد ووتر » وتقرر بعد

ذلك أن تتم جلسات الاستماع فى هذه القضية فى جلسات سرية .

وخلال الأيام التالية بذل البيت الأبيض جهودا هائلة لحذف كل ما يتعلق بالعملية « شامروك » من التقرير وتدخل الرئيس « فورد » بنفسه ولكن أعضاء اللجنة تمشكوا بموقفهم لاستيائهم الشديد من مراقبة المواطنين الأمريكيين بواسطة إحدى وكالات المخابرات وقالوا إن هذه العملية ما كان يجب أن تتم تحت أى ظرف من الظروف .

وقررت لجنة التحقيق تجاهل اعتراضات البيت الأبيض وسجلت هذه الواقعة فى التاريخ الأمريكى باعتبارها المرة الأولى بل والوحيدة حتى الآن التى صوتت فيها إحدى لجان الكونجرس برفض اعتراض للرئيس الأمريكى ذاته وبالإصرار على نشر معلومات يعتبرها الرئيس سرية للغاية . وقد عين المحقق الشاب بريت شنايدر فى عام ٢٠٠٠ فى منصب المفتش العام بوكالة المخابرات المركزية الأمريقية ويقول :

(لم يعد أحد فى مجتمع المخابرات الأمريكى يستطيع أن يتجاهل الاعتبارات القانونية واعتقد أن التحقيق الذى قمت بإجرائه فى العملية شامروك قد افاد الجميع بمافيهم وكالة الأمن القومى الأمريكى نفسها التى لم تعد ترغب فى خوض مثل هذه التجربة مرة أخرى . وقد اتخذت الوكالة العديد من الاجراءات والقواعد الصارمة بعد هذا التقرير من أجل ضمان أن تكون عملياتها فى إطار الشرعية وأن تتم فى ظل مبدأ احترام القانون . وأستطيع أن أشهد وفقا لتجربتى الشخصية أن وكالة الأمن القومى الأمريكى أصبحت الآن ملتزمة تماما بمراعاة القانون لدرجة أن اضفاء الطابع القانونى على أى عملية لها أصبح يمثل هاجسا بالنسبة لمسئوليها وقد أدى تقرير «تشيرشى » الخاص بفضيحة التنصت على المواطنين الأمريكيين إلى

اقدام وكالة الأمن القومى على وضع نظام يضمن تماما أن تكون كل عملياتها داخل حدود القوانين المعمول بها فى الولايات المتحدة وأيضا أن تركز جهودها فقط على المهمة الأساسية التى اقيمت من أجلها) .

ومن أهم الاصلاحات التى شهدها مجتمع المخابرات الأمريكية نتيجة لهذا التقرير صدور ذلك القانون الذى عرف باسم « قانون مراقبة المخابرات الأجنبية » والذى حدد لأول مرة ماهو المسموح لوكالة الأمن القومى بأن تفعله وما هو غير المسموح به .

وحظر هذا القانون تماما قيام هذه الوكالة بالتحديد بوضع قوائم بأسماء مواطنين أمريكيين تتم مراقبتهم . وبمقتضى هذا القانون أيضا تم تشكيل محكمة فيدرالية سرية يطلق عليها اسم محكمة مراقبة المخابرات الأجنبية . وحتى يكون بوسع وكالة الأمن أن تضع أى مواطن أمريكى أو مقيم أجنبى ممن يحملون الكارت الأخضر (جرين كارد) تحت المراقبة فلابد وأن تحصل على إذن أو تصريح سرى من القضاء الأمريكى بذلك . وحتى تحصل وكالة الأمن القومى على مثل هذا التصريح يتعين عليها أن توضح أن الشخص المطلوب مراقبته إما عميل لدولة أجنبية أو متورط فى انشطة التجسس أو الارهاب . ولكن نظرا لأن مثل هذه القضايا تدخل فى نطاق مسئوليات مكتب التحقيقات الفيدرالى داخل حدود الولايات المتحدة فإن وكالة الأمن القومى نادرا ماتطلب مثل هذا الإذن القضائى أو تكون لها أى علاقة بفرض المراقبة على الأمريكيين والمقيمين الأجانب داخل الأراضى الأمريكية ويوضح مسئول بوكالة الأمن القومى أن هذه الوكالة لاعلاقة لها بالأمريكيين داخل الوطن ولذلك فهى ليست بحاجة للتقدم بطلب الإذن لها بمراقبة أى شخص . ومكتب التحقيقات

الفيدرالى هو الجهة المسئولة بمتابعة الجواسيس داخل الولايات المتحدة حتى لو كان من الأمريكيين .

ونفس الشيء ينطبق على الأجانب بمافى ذلك من يتهمون منهم بالإرهاب . ويوضح مسئول وكالة الأمن القومي هذه النقطة قائلا :

(لو افترضنا مثلا أن الإرهابى الدولى أسامة بن لادن ، والذى تعرض الولايات المتحدة الأمريكية ٥ ملايين دولار ثمنا لرأسه ، قد وصل إلى الأراضى الأمريكية وتمكن من عبور الحدود ففى هذه الحالة لن تكون لوكالة الأمن القومى الأمريكى أى علاقة به وسوف يكون مكتب التحقيقات الفدرالى هو المسئول عن التعامل معه باعتباره إرهابيا داخل الولايات المتحدة)

ربما كان هذا هو السبب فى أن عدد الطلبات التى وافقت عليها السلطات القضائية الأمريكية لوضع بعض الأشخاص تحت المراقبة والتى بلغ عددها ٨٨٦ طلبا عام ١٩٩٩ وهو أكبر رقم من نوعه فى تاريخ أمريكا قد جاءت من مكتب التحقيقات الفيدرالى .

وبمعنى آخر فإن الحماية القانونية والقضائية التى توفرها التشريعات لأى شخص من ملاحقة وكالة الأمن القومى تنتهى عند حدود الولايات المتحدة . أى أن المواطن الأمريكى لا يتمتع بها خارج حدود بلاده . وفى حالة الحاجة إلى وضع مواطن أمريكى خارج الوطن تحت المراقبة من جانب وكالة الأمن القومى فإن كل ما تحتاجه هو موافقة المدعى العام الأمريكى . ورغم ذلك فإن عدد المواطنين الأمريكيين خارج البلاد والذين يخضعون لمراقبة وكالة الأمن القومى الأمريكى يعتبر محدودا للغاية . ويقول أحد كبار مسئولى المخابرات الأمريكين أن هذا العدد ربما لا يتجاوز خمسة أشخاص وتكون هناك

مؤشرات اكيدة على أنهم عملاء لقوى أجنبية وهكذا فإن الشخص الأمريكى الذى تراقبة وكالة الأمن القومى خارج حدود الولايات المتحدة إما أن يكون جاسوسا أو إرهابيا . ويتفاخر أحد مسئولى المخابرات الأمريكية قائلا : (إننا لم نعد نراقب أشخاصا من أمثال جين فوندا !)

وتشمل أنشطة وكالة الأمن القومى الأمريكى خارج حدود الولايات المتحدة أيضا مراقبة الأشخاص الأجانب الذين يحملون تأشيرة إقامة دائمة (جرين كارد) بأمريكا خلال تواجدهم فى دولة أخرى إذا ثارت شبهات حول تورطهم فى أنشطة الجاسوسية أو الإرهاب . وفى نفس الوقت فإن وكالة الأمن القومى لا تحتاج إلى أمر قضائى من المحكمة للتجسس على السفارات الأجنبية والدبلوماسيين الأجانب داخل حدود الولايات المتحدة وكل ماهو مطلوب فى مثل هذه الحالة هو الحصول على موافقة المدعى العام والتى تظل سارية لمدة عام كامل .

والأكثر من ذلك أنه فى حالة الاشارة إلى اسم أى مواطن أمريكى فى تقارير وأعمال وكالة الأمن القومى يجب إبلاغ المفتش العام للوكالة بصرف النظر عن سبب ذكر هذا الاسم أو الاشارة إليه ، وسواء تمت الاشارة إلى الاسم بشكل مقصود أو غير مقصود . والهدف من هذه النقطة هو التعامل مع مواقف افتراضية يمكن أن يواجهها عملاء وكالة الأمن القومى فعلى سبيل المثال قد تصلهم معلومات بأن جهاز تليفون محمول معينا يستخدم فى أنشطة غير مشروعة وهم لا يعلمون من هو صاحب هذا الرقم وهل هو أمريكى الجنسية أم لا ففى هذه الحالة تتم مراقبة التليفون وبمجرد اكتشاف

أن صاحبه يحمل الجنسية الأمريكية يتم إبلاغ المفتش العام فورا لاتخاذ أى اجراءات قانونية مطلوبة .

ويقول أحد كبار المسئولين فى وكالة الأمن القومى الأمريكى أن أيام الرقابة على برقيات التلغرافات وإشارت مورس قد انتهت فالتنصت على الاتصالات فى الوقت الحالى يتركز على نوعية متطورة جدا ومعقدة للغاية وهى التى تتم من خلال الأقمار الصناعية والتى يقوم فيها خبراء الوكالة بالتعامل مع كافة أشكال الاتصالات بما فى ذلك الصوتية والمرئية أيضا . وهناك أكثر من وحدة متخصصة بالاقمار الصناعية داخل وكالة الأمن القومى الأمريكى مثل تلك المعروفة باسم « فورن سات » وهى اختصار لعبارة جمع المعلومات من الاقمار الصناعية الأجنبية وكوم سات وهى اختصار لجمع المعلومات من أقمار الاتصالات وأيضا هناك وحدات أخرى للتنصت على الاتصالات التى تتم بالتليفون المحمول وغير ذلك من الوسائل العصرية الحديثة .

ووصلت الأمور إلى حد وجود وحدة متخصصة يطلق عليها اسم « فى سات » أى الاقمار الصناعية الصغيرة للغاية وهى موجهة للتنصت على الاتصالات التى تتم باستخدام اطباق صغيرة للغاية لا يتجاوز حجمها حجم الاطباق المستخدمة فى التليفزيون . وفى بعض الاحيان تعتبر هذه الوسيلة ذات أهمية كبرى فعلى سبيل المثال فإن مؤسسة الأسلحة النووية فى الهند تستخدم هذه الوسيلة فى إرسال وإستقبال الرسائل الرقمية باستخدام القمر الصناعى .

وخلال فترة مابعد الحرب الباردة اضيفت اهتمامات أخرى لقائمة اهتمامات الحكومة الأمريكية مثل انتشار الأسلحة النووية والتقليدية .

وكان هناك قلق خاص إزاء امكانية أن تبيع الصين مكونات أسلحة نووية وصواريخ لباكستان وإيران .لهذا السبب تلقت وكالة الأمن القومى طلبات عديدة من المخابرات المركزية ووزارة الخارجية الأمريكية وغيرها لجمع معلومات حول هذا الموضوع وقدمت المخابرات المركزية قائمة بأسماء اشخاص ومواقع مطلوب وضعها تحت المراقبة والتجسس عليها وشملت القائمة ارقام تليفونات وفاكس أيضا . وتم وضع هذه القائمة داخل كمبيوتر خاص يطلق عليه اسم كودى هو (القاموس) ليقوم بالبحث عن هذه الاسماء والأرقام بين ملايين الرسائل التى تمر عبر هوائيات التنصت على الاتصالات التابعة لوكالة الأمن القومى فى جميع أنحاء العالم . وتتم هذه الطريقة تقريبا على شبكة الانترنت . وكان من ابرز الاسماء التى شملتها هذه القائمة « جين ذوكوان » رئيس إحدى الشركات الحكومية الصينية فى بكين وهو المسئول عن مبيعات الأسلحة والصواريخ الصينية للدول الأجنبية .

وبعد أن التقط أحد مواقع التنصت الأمريكية هذا الاسم فى أحد الاتصالات تم نقل جميع الاتصالات الخاصة بهذا الشخص أوتوماتيكيا إلى وكالة الأمن القومى حيث أصبحت جميع الاتصالات سواء الصادرة من أو القادمة إليه تحت السيطرة الكاملة للوكالة .

ورغم طبيعة السرية الشديدة التى تحيط بصفقات السلاح إلا أن الاتصالات الخاصة بهذه الصفقات نادرا ما تكون مشفرة لأن كل دولة لديها أنظمتها الخاصة والتى لا يمكن التعامل من خلالها مع الآخرين لذلك فإن اطراف الصفقات يضطرون للجوء إلى وسائل الاتصالات العادية مثل الفاكسات والمكالمات التليفونية والبريد

الالكترونى . وبالإضافة إلى ذلك فإن ابرام صفقات السلاح يتطلب مثل أى صفقة أخرى تبادل مستندات ورقية بالوسائل الاليكترونية مثل الفاكس والكمبيوتر وغيرها . هذه الرسائل تكون فى صورة عقود وشهادات ضمان واتفاقيات صيانة ومفاوضات على الأسعار ويتم جمع كل هذه المستندات من الموجات الفضائية من خلال عمليات التنصت الاليكترونى .

نفس الشيء يحدث أيضا بالنسبة لمنظمات الإرهاب الدولى حيث يستخدم الإرهابيون وسائل الاتصالات العادية لأن استخدام الاتصالات الشفرية الاليكترونية يتطلب أن يستخدم الطرفان نفس الأنظمة وبالتالى يكشف كل منهما للآخر أسراره الأمر الذى يكون غير مرغوب فيه .

وفى حالة الإرهاب بالتحديد يصعب استخدام نظام التشفير الاليكترونى لأن أحد الطرفين على الأقل يكون متنقلا ولا تسمح له ظروفه بحمل معدات واجهزة التشفير وفك الشفرة وتشير وثائق وكالة الأمن القومى الأمريكى إلى أن الوكالة تكثف اهتمامها بالتنصت على كل صغيرة وكبيرة فى عالم الإرهاب الدولى الذى أصبح يشكل أحد الأخطار الكبرى على الأمن القومى للدول فى العصر الراهن ومن أجل تحقيق هذا الهدف تستخدم كل الوسائل والإمكانيات المتاحة بمافى ذلك الأقمار الصناعية والطائرات والسفن والمواقع والمحطات الأرضية .

وتوضح إحدى الوثائق السرية لوكالة الأمن القومى الأمريكية أن الوكالة تراقب جميع الاتصالات الخاصة بأسامة بن لادن الذى تتهمه الولايات المتحدة بأنه أكبر زعيم للإرهاب الدولى فى الوقت الراهن

وتستمر هذه المراقبة على مدار الساعة وبشكل دائم لمدة ٢٤ ساعة كل يوم ورغم اختفاء أسامة بن لادن فى معاقل سرية بأفغانستان إلا أن جميع تحركاته مرصودة بمنتهى الدقة .

ويقول أحد مسئولى وكالة الأمن القومى الأمريكى أن اتصالات أسامة بن لادن تتم من خلال تليفون محمول طراز خاص يطلق عليه اسم اينمار سات « INMARSAT » . هذه التليفون يقوم بإرسال واستقبال المكالمات عبر مركبة فضائية خاصة تمتلكها المنظمة الدولية للاتصالات البحرية بالأقمار الصناعية . وهذا النظام هو نفسه الذى تستخدمه غالبية السفن وبعض الأشخاص الذين تقتضى طبيعة نشاطهم السفر إلى مناطق نائية مثل الرحالة والمستكشفين والعاملين فى البحث عن البترول . ووفقا لما يقوله مسئولو وكالة الأمن الأمريكى فإن بن لادن يعرف جيدا أن الولايات المتحدة تستطيع التجسس على اتصالاته عبر الشبكات الدولية ومراقبتها ولكن كما يقول مسئولو المخابرات الأمريكية يبدو أنه لا يهتم كثيرا بذلك .

وقد اعتادت وكالة الأمن القومى الأمريكى إثارة دهشة كبار زوارها بطريقة ظريفة من خلال تشغيل بعض الشرائط التى سجلتها لأسامة بن لادن وهو يتحدث مع والدته عبر تليفونه المحمول .

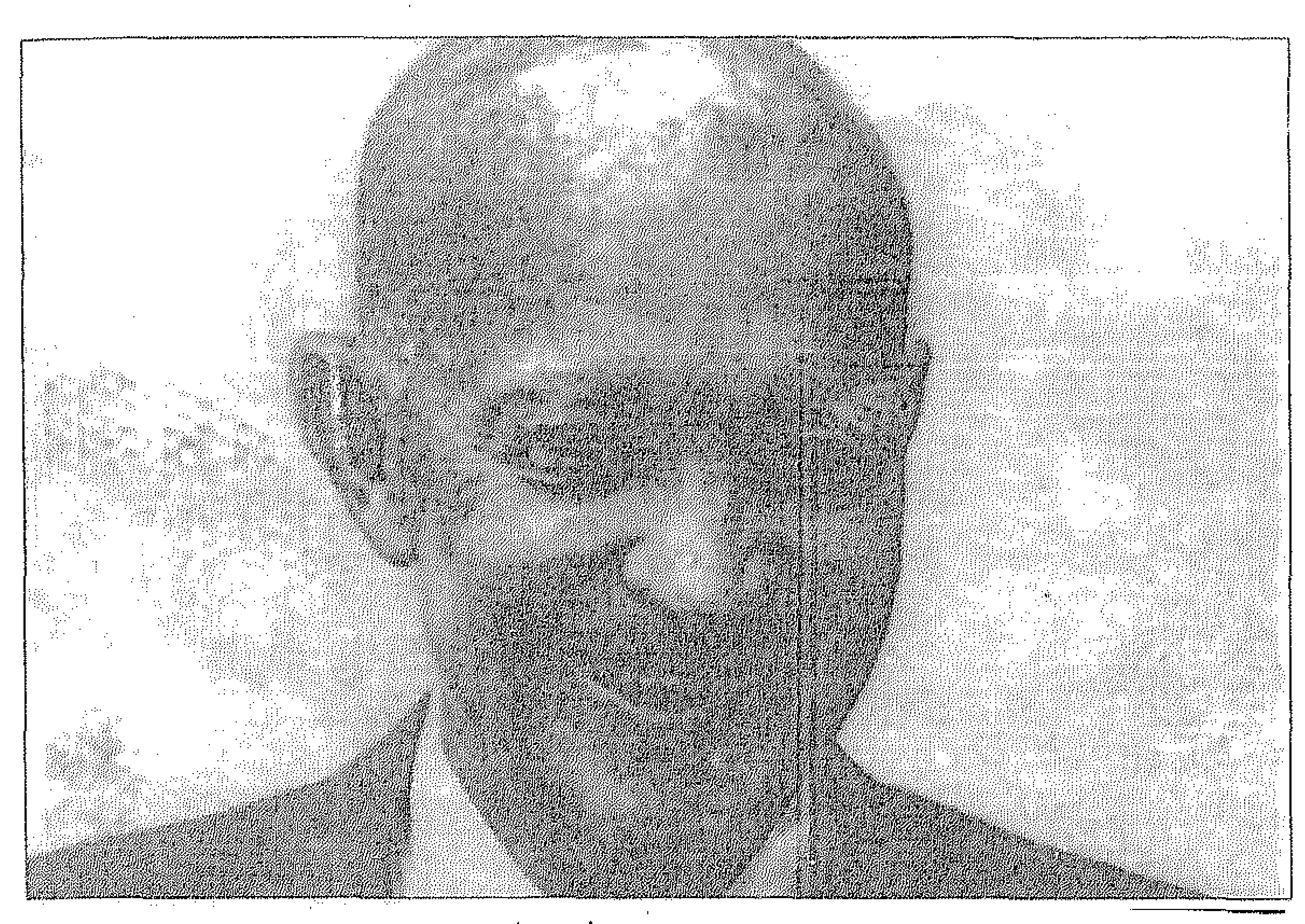
يؤكد خبراء الاتصالات فى مختلف انحاء العالم أن الاتصالات العادية لأى شخص فى العالم لم تعد تحظى بأى قدر من الخصوصية وذلك لسببين اساسيين الأول هو أن هذه الاتصالات تتم الآن عبر السماوات المفتوحة حيث تكون متاحة أمام أى طرف يمتلك الامكانيات اللازمة لمراقبتها والتنصت عليها أما السبب الثانى فهو أن تكنولوجيا التنصت على الاتصالات حققت تقدما رهيبا جعلها قادرة على التقاط دبيب النملة كما يقولون فى أى مكان على سطح الكرة الأرضية .



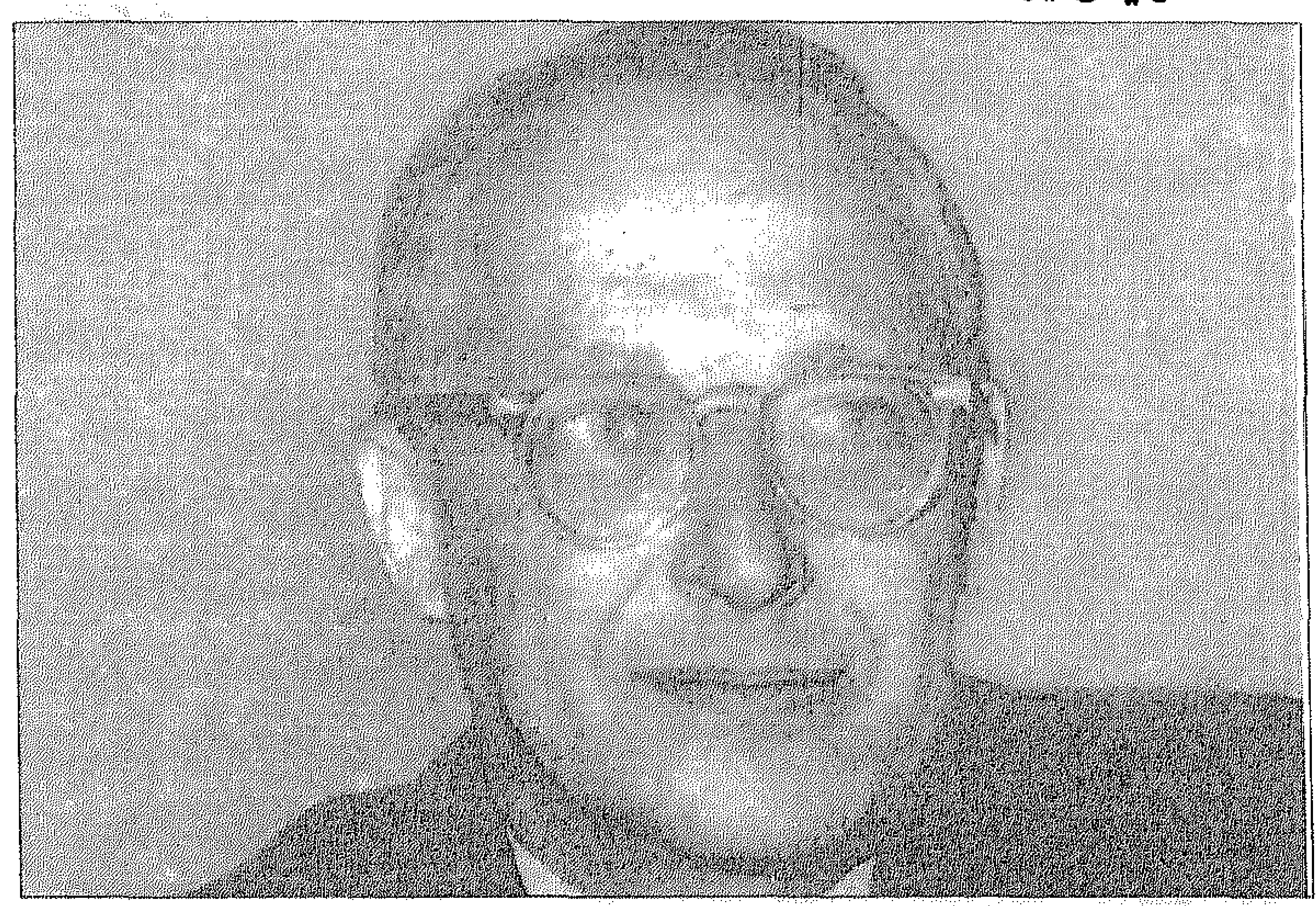
■ هتلر وعشيقته ايفا براون انتحرا بعد الهزيمة



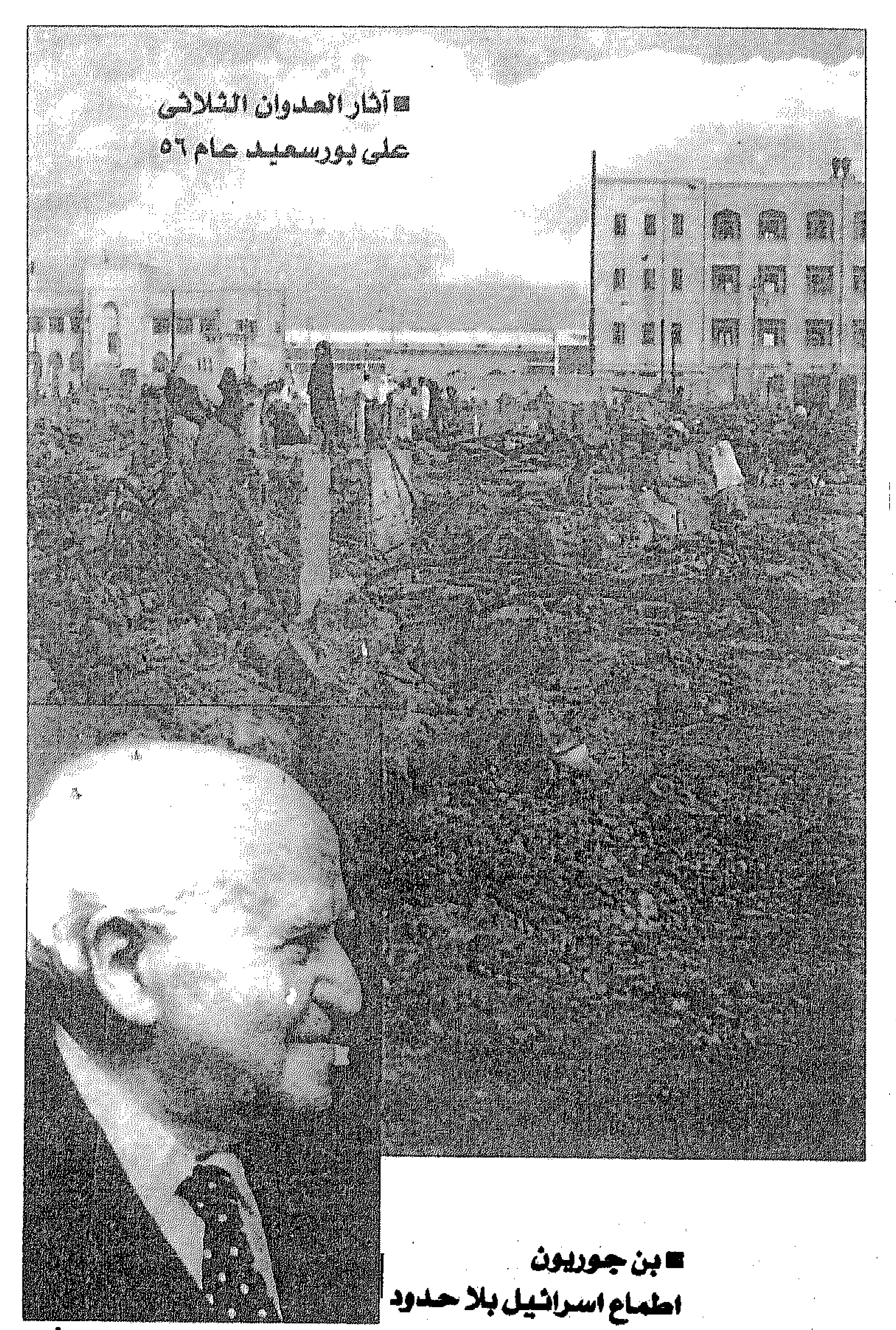
■ الرئيس هاري ترومان بدأت في عهده الحرب الباردة



■ الرئيس ايزنهاور.. موقف شريف ضد العدوان



■ والت روستو : مستشار الأمن القومى الأمريكى

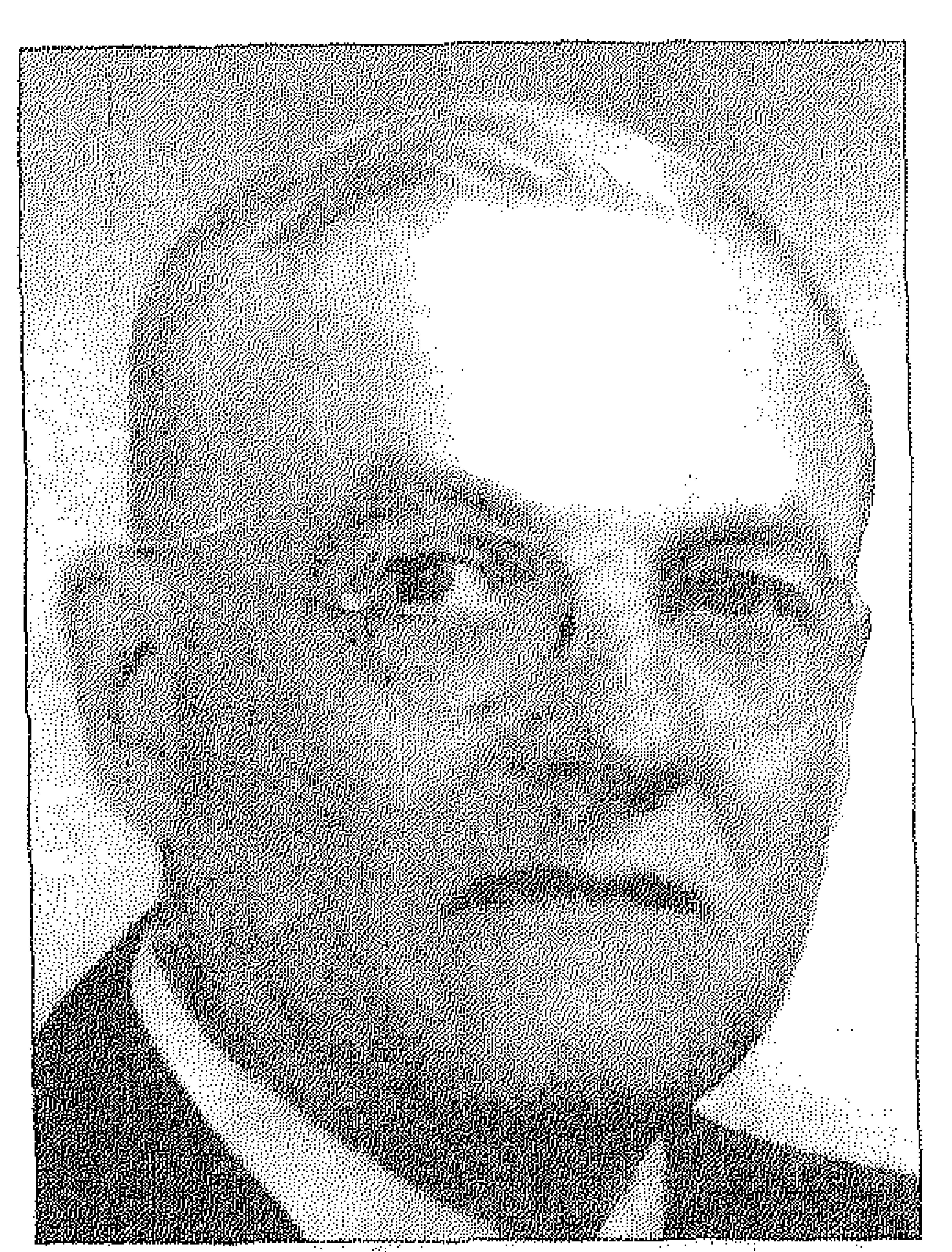


■ آثار العدوان الثلاثى
على بورسعيد عام ٥٦

■ بن جوريون
اطماع اسرائيل بلا حدود



■ القوات البريطانية والفرنسية تسعى لاحتلال قناة السويس



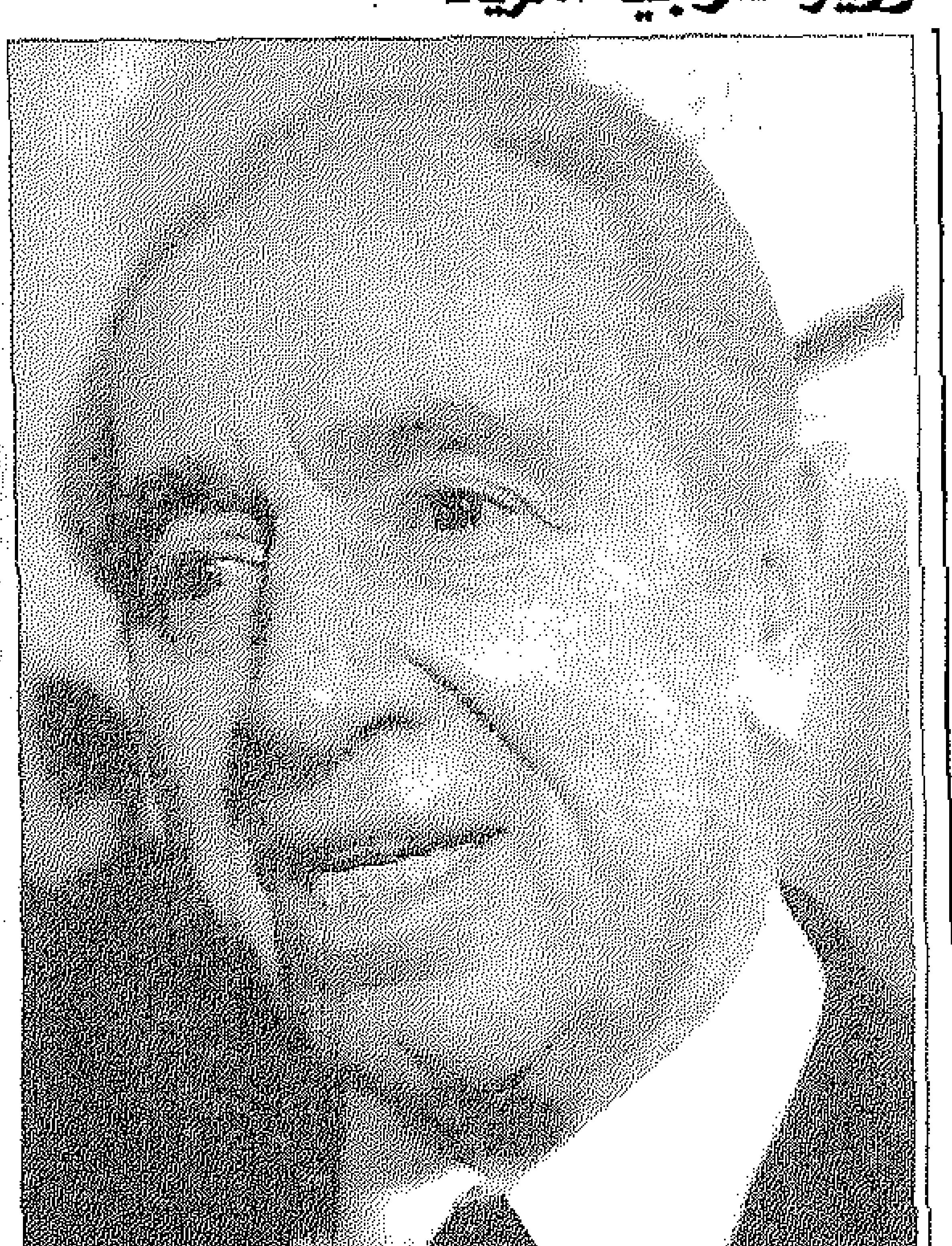
■ جون فوستر دالاس

وزير خارجية أمريكا



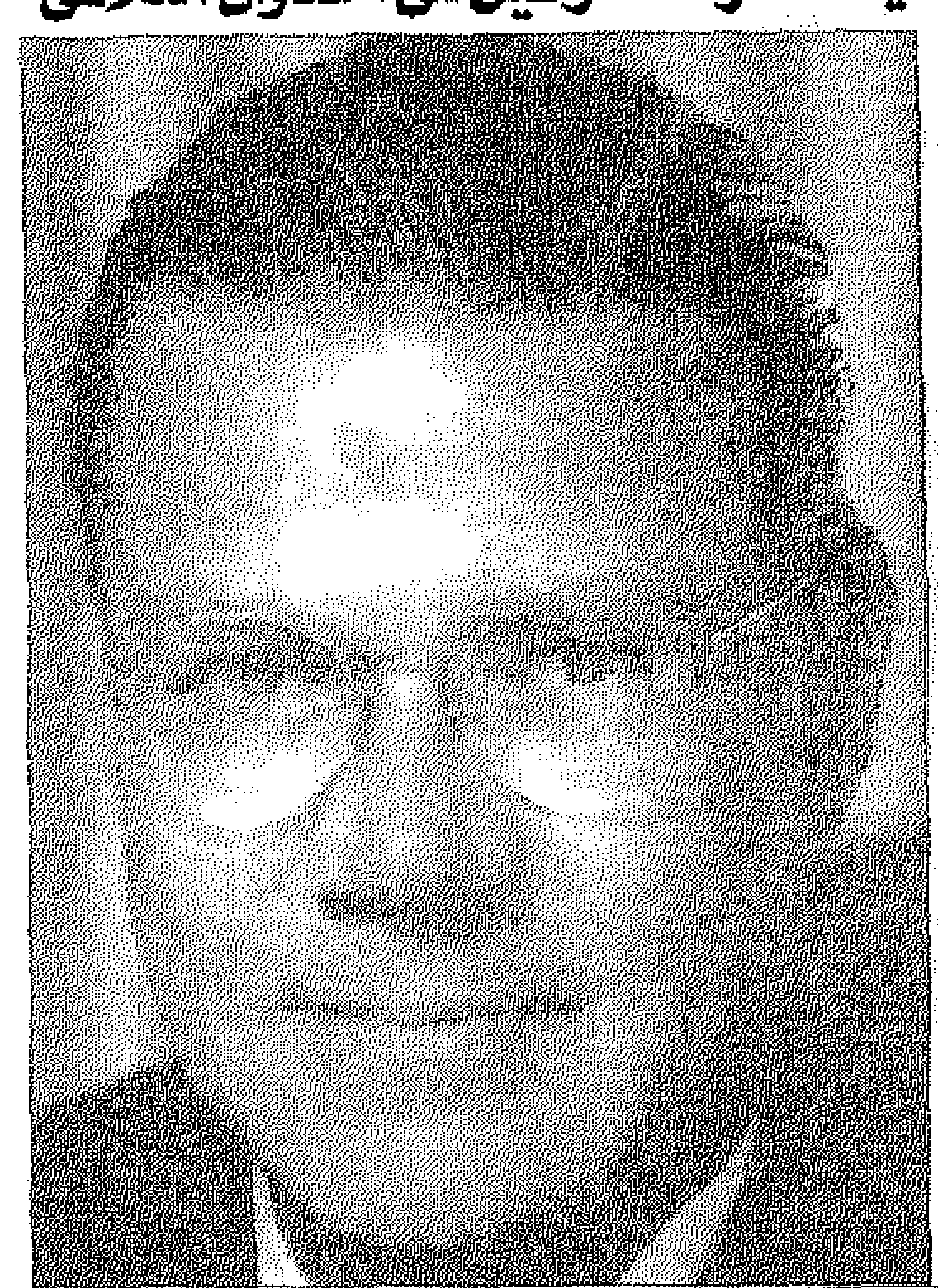
■ اسحق رابين

أيد مشاركة اسرائيل فى العدوان الثلاثى



■ شمعون بيريز

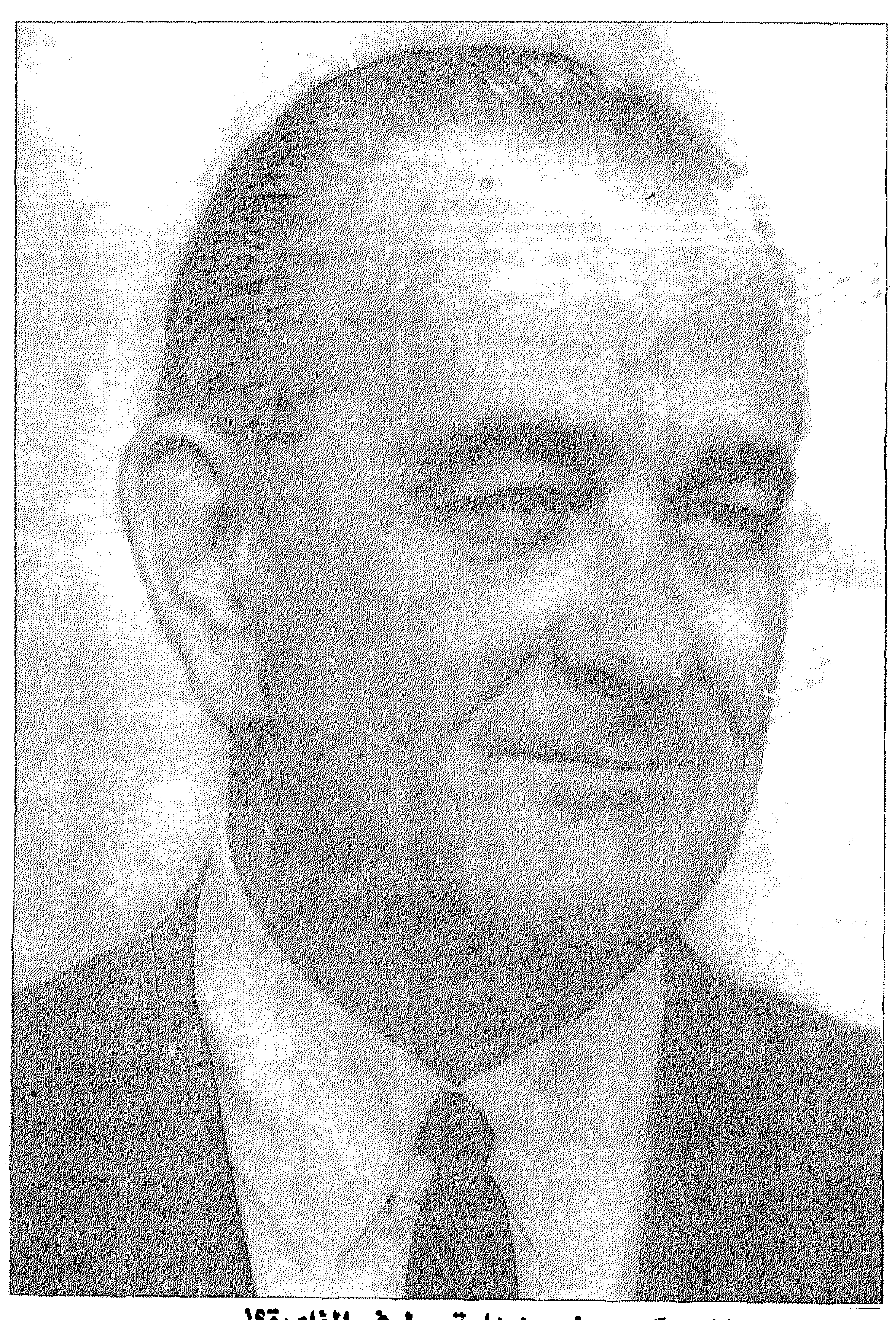
دور اجرامى فى عدوان ٥٦



■ روبرت مكنمارا



■ الرئيس جمال عبدالناصر.. لم يكن ينوى مهاجمة اسرائيل



■ الرئيس الامريكى جونسون هل تورط فى المؤامرة؟!



■ الجنود المصريون فى سيناء



■ أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل
ملك الاكاذيب فى عام ٦٧

■ دين راسك
وزير خارجية امريكا



■ دبابات مصرية فى سيناء قبل العدوان



■ تعذيب الاسرى المصريين فى اسرائيل



■ الاسرى فى معسكر اعتقال اسرائيلى



■ ديان وشارون وبن اليعازر.. ٣ من جنرالات اسرائيل الذين تورطوا فى مذابح الاسرى المصريين.



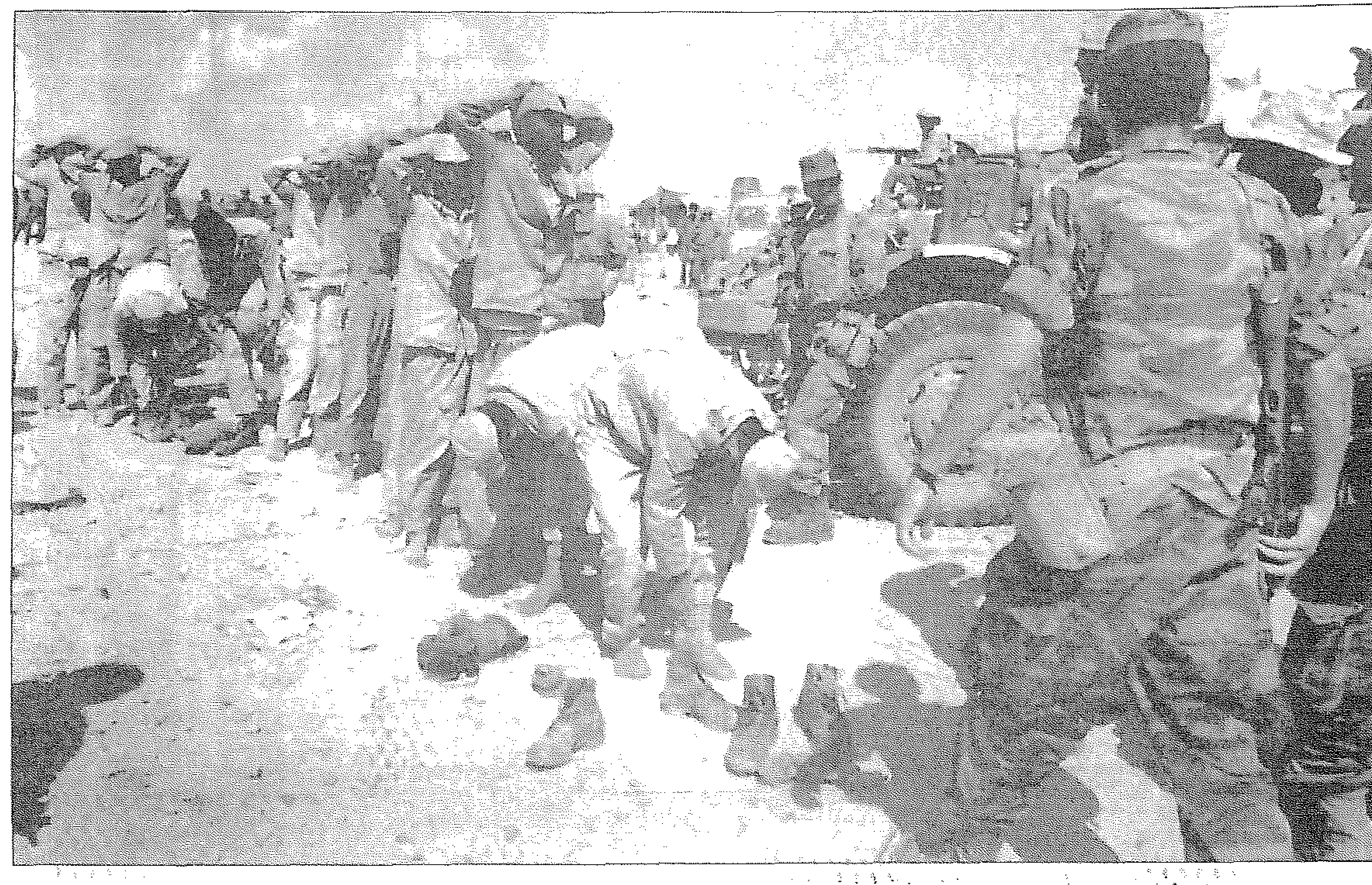
■ أحد ضحايا الوحشية الاسرائيلية



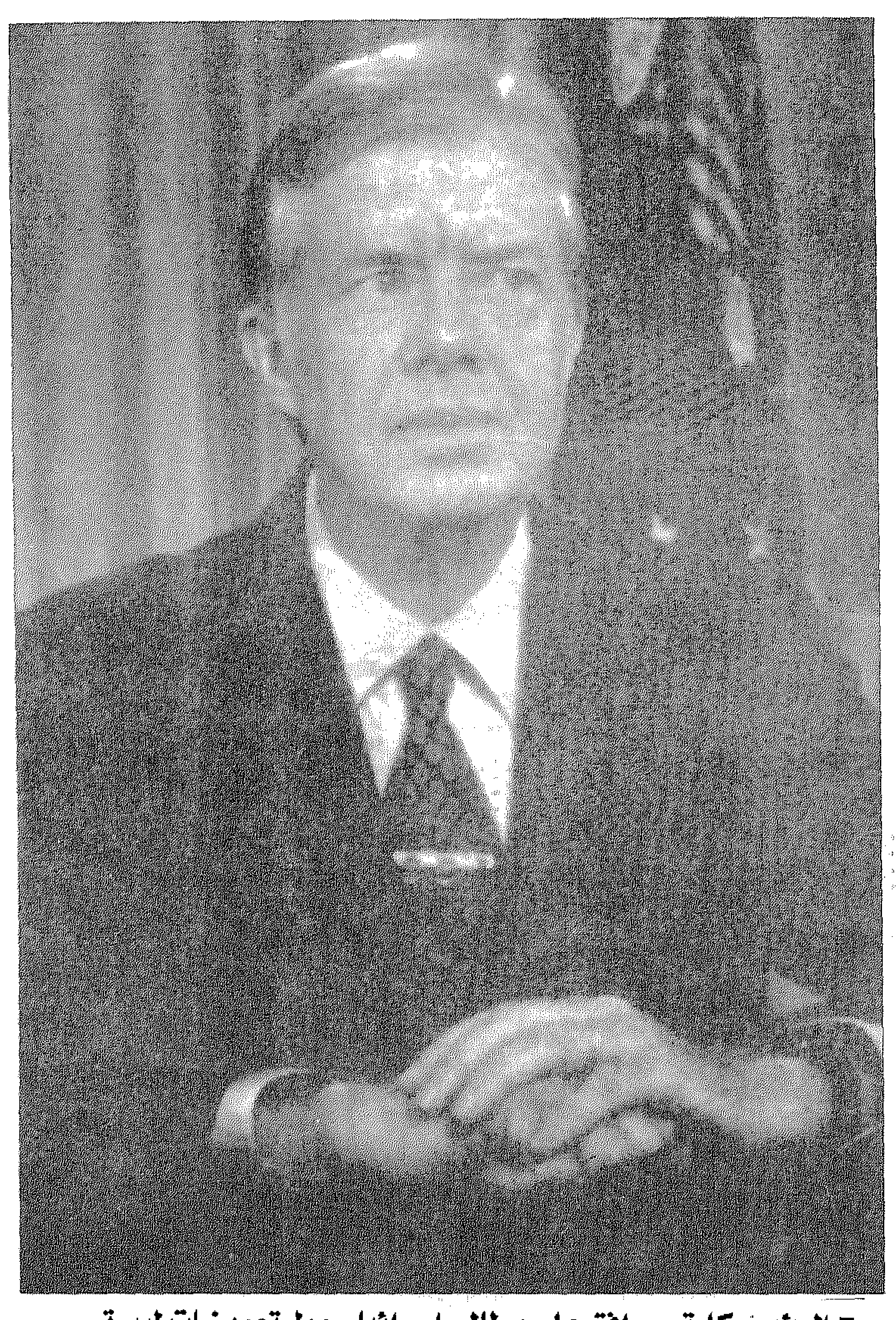
■ نتنياهو .. عنصرى اسرائيلى يستحق المحاكمة بسبب انتهاكاته لحقوق الانسان



■ شارون .. يدافع بصفاقة عن جريمة قتل الاسرى المصريين



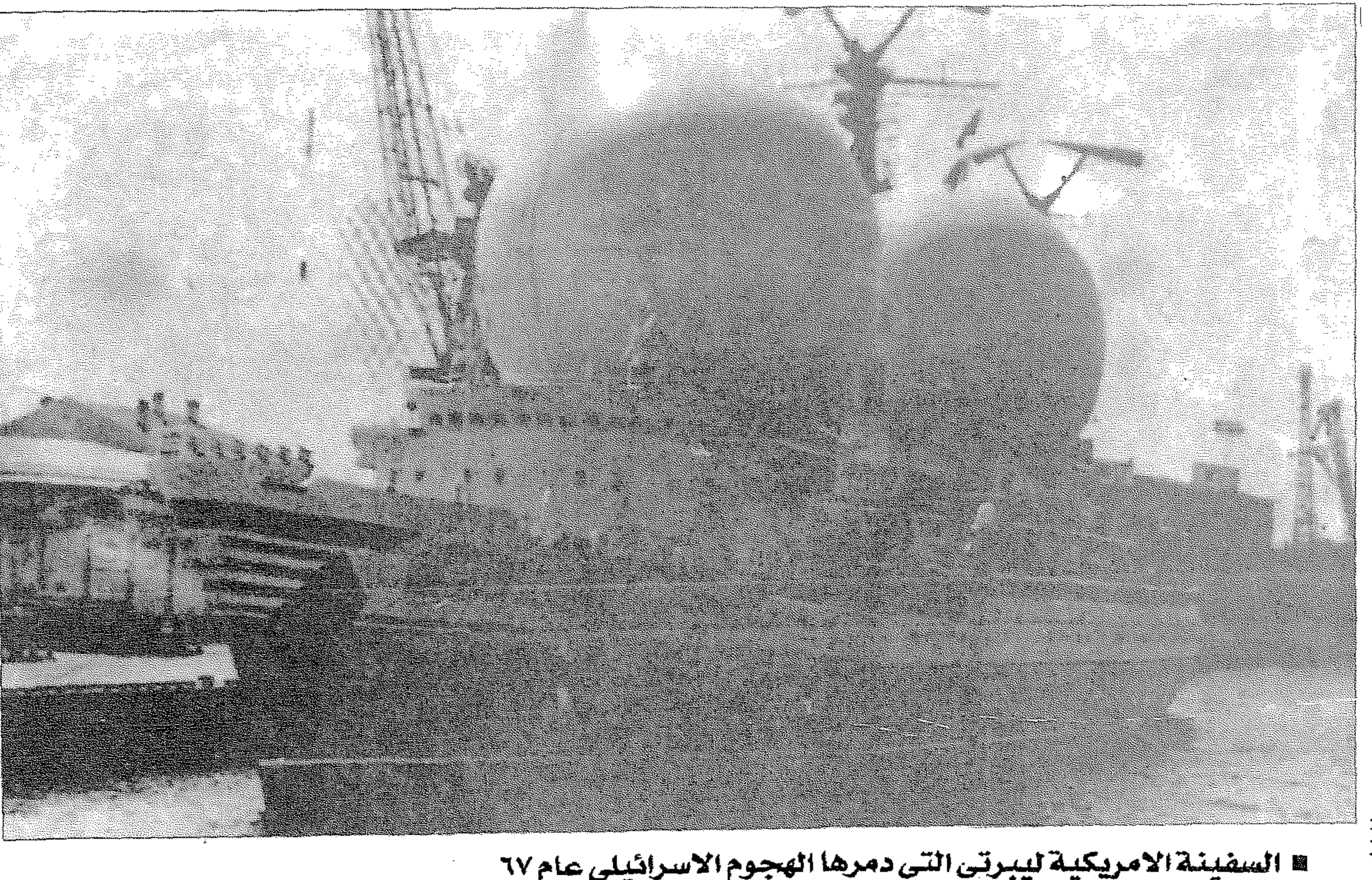
■ الاسرى المصريون فى منطقة العريش بسيناء



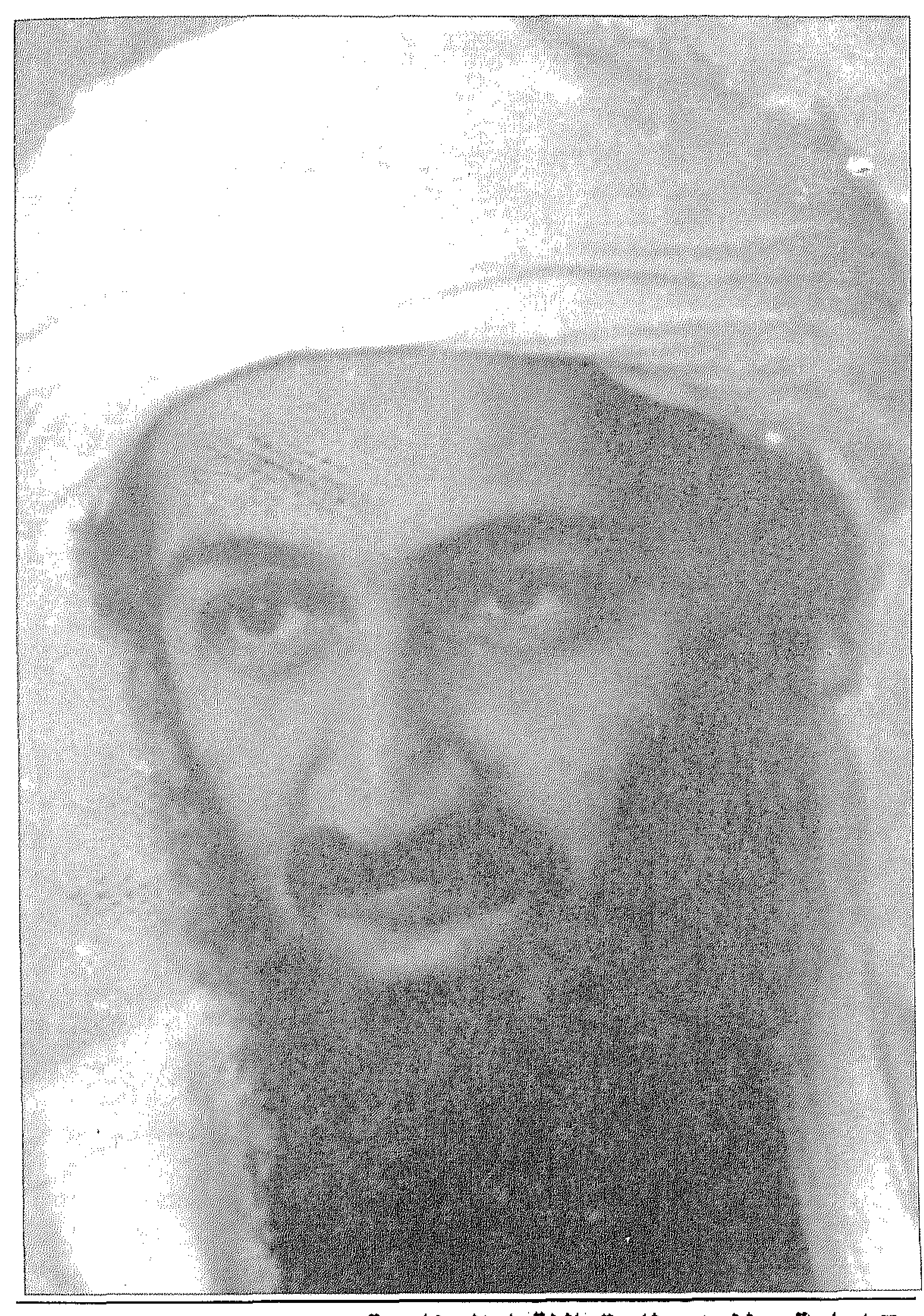
■ الرئيس كارتر: وافق على مطالب اسرائيل حول تعويضات ليبرتى



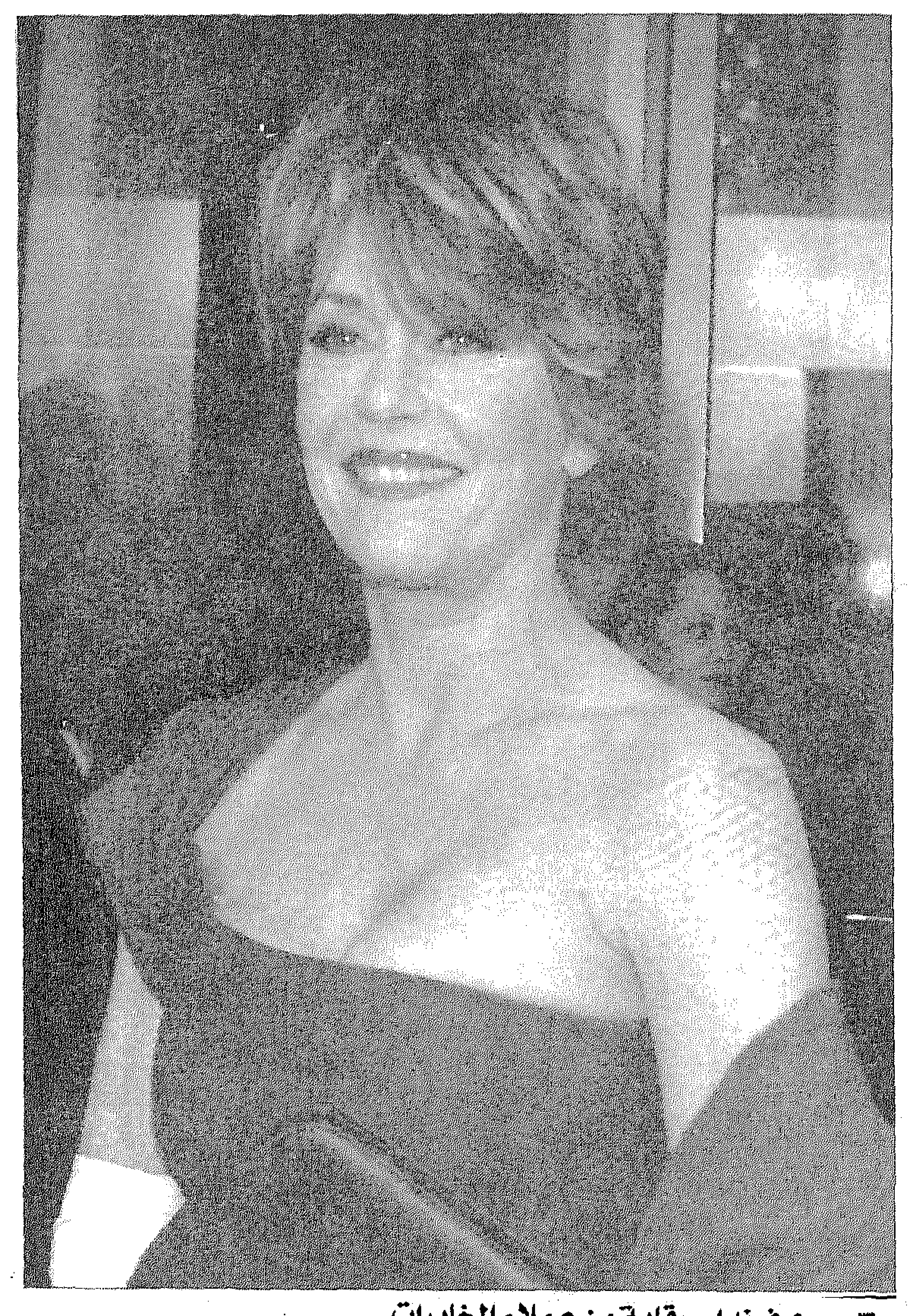
■ كوسيجين ابلغ عبدالناصر برسالة جونسون



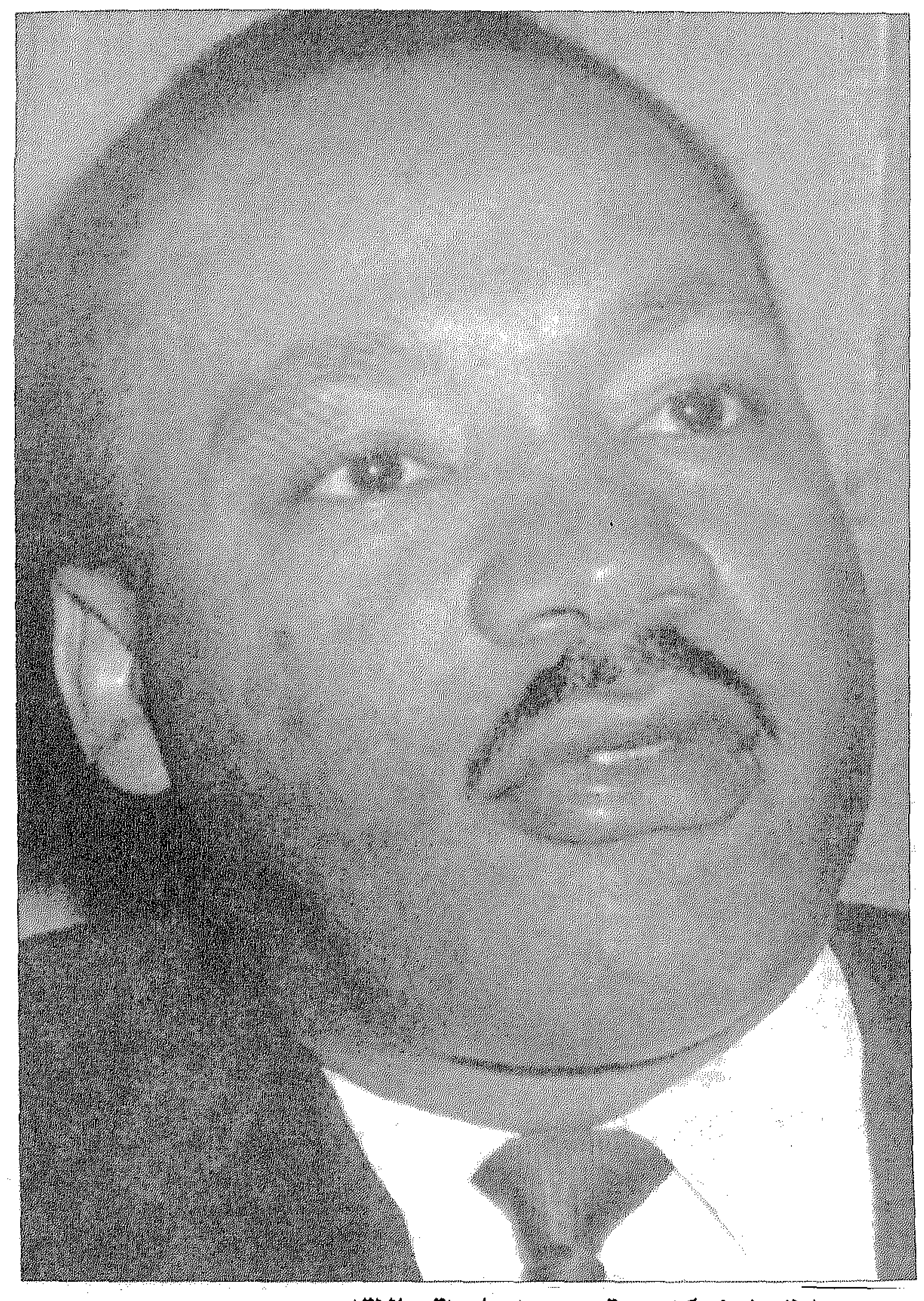
■ السفينة الامريكية ليبرتى التى دمرها الهجوم الاسرائيلى عام ٦٧



■ اسامة بن لادن مطاردة بالاقمار الصناعية



■ جين فوندا.. رقابة من عملاء المخابرات



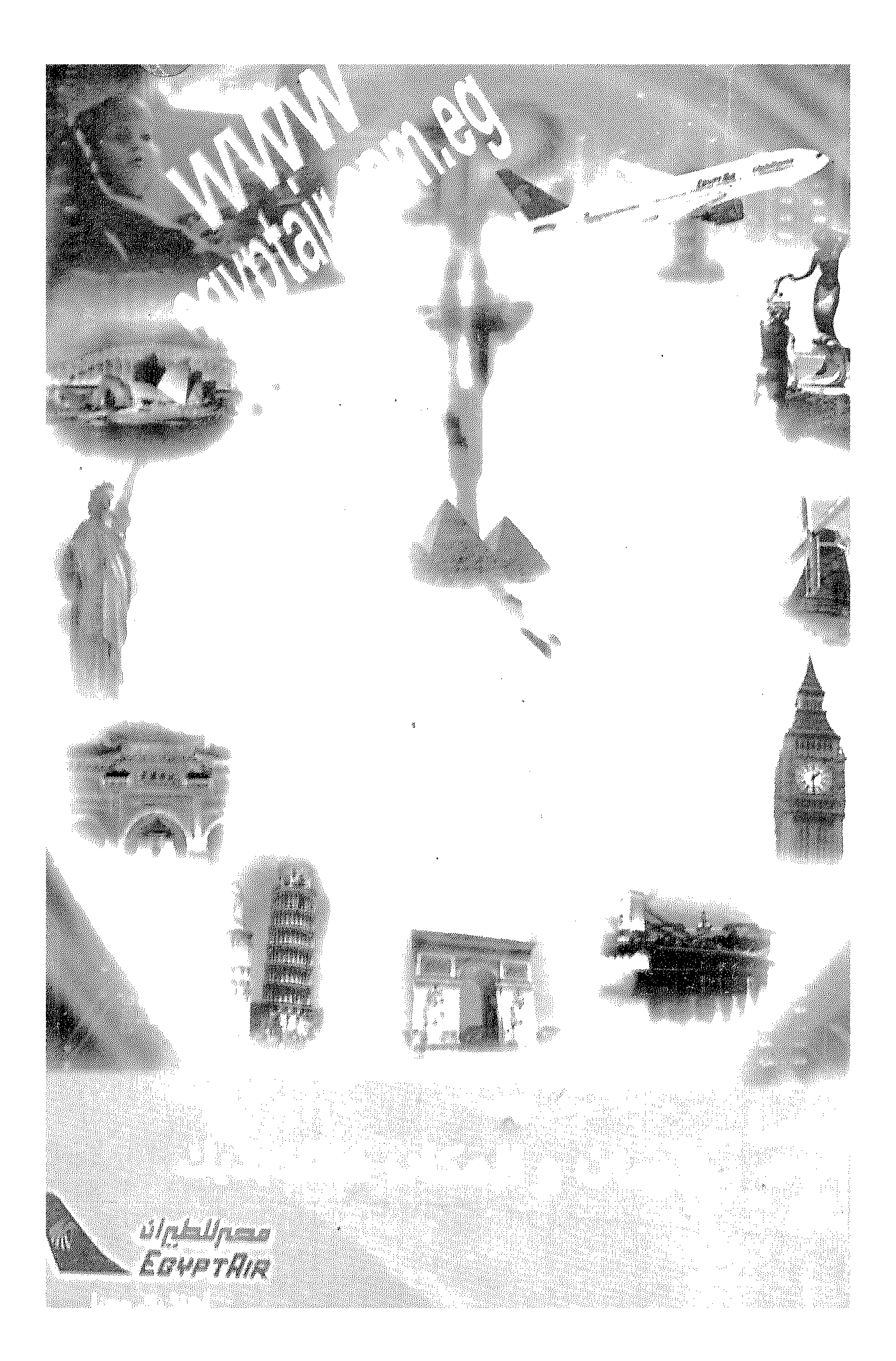
■ د. مارتن لوثر كنج.. تجسسوا على اتصالاته



■ نيكسون.. التنصت على الرئيس

الفهـــرس

رقم الإيداع
٢٠٠١/٩٠٥٣
الترقيم الدولى
977 - 08 - 1000 - 2

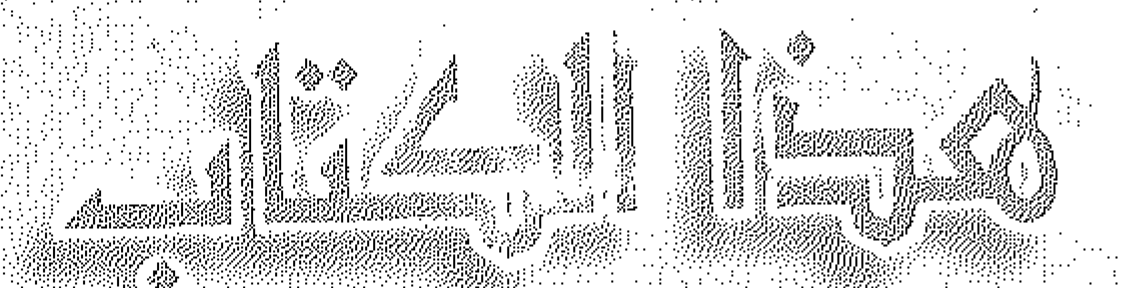

مصرللطيران
EGYPTAIR

BODY OF SECRETS

ANATOMY OF THE ULTRA-SECRET NATIONAL SECURITY AGENCY

FROM THE COLD WAR THROUGH THE DAWN OF A NEW CENTURY

JAMES BAMFORD



هذا الكتاب

التحدى الأكبر الذى يواجهه التاريخ هو أنه غالبا ما يكون عرضة للأهواء والنوازع الذاتية . والخطر الرهيب الذى يهدد الحقيقة هو أنها أحيانا تكون ضحية للتغيير والتزييف والتشويه. لذلك ، فإن حديث الوثائق يكون دائما حماية للتاريخ .. ودفاعا عن الحقيقة .. وتتزايد قيمة هذا الحديث ويتضاعف حجم الإثارة فيه إذا كانت هذه الوثائق من النوع السرى غير المعلن .. ومن ملفات أخطر جهاز للمخابرات فى العالم . فى هذه النقطة ، ربما تكمن قيمة هذا الكتاب الذى اقتحم أخطر قلعة للأسرار فى الولايات المتحدة والعالم كله ، وهى وكالة الأمن القومى الأمريكى « إن . إس. إيه ».

يقدم الكتاب للقراء الكثير من الروايات الموثقة والمسجلة للعديد من الأحداث الهامة والكبرى التى وقعت فى مناطق عديدة واختلفت الآراء بشأنها إلى حد الدفع بها إلى مجال الأساطير والحكايات الملفقة!

وأهم هذه الأحداث عمليات التجسس خلال الحرب الباردة بين الشرق والغرب وأزمة السويس عام ١٩٥٦ ، وحرب يونيو عام ٦٧ ، ومذابح إسرائيل ضد الأسرى المصريين فى سيناء ، ومسئولية كبار الجنرالات الإسرائيليين من أمثال شارون وموشى ديان عن هذه المذابح ، والهجوم الإسرائيلى على السفينة الأمريكية ليبرتى أمام ساحل العريش خلال حرب يونيو ، والجهود الرهيبة التى بذلها البيت الأبيض للتغطية على جرائم إسرائيل إلى حد تجاهل دماء الأمريكيين الذين قتلوا فى الهجوم الإسرائيلى على ليبرتى .

ويتناول الكتاب أيضا القيود التى تم فرضها على أجهزة المخابرات الأمريكية لحماية حرية الأفراد من أى تجاوزات ، و كيفية مراقبة المنظمات الإرهابية وزعماء الإرهاب الدولى باستخدام كل الوسائل مثل الأقمار الصناعية والطائرات ، للتنصت على الاتصالات .

عدد خاص الثمن ٧ جنيهات